بسم الله الرحمن الرحيم

الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب الزيات

دراسة فونولوجية

إعداد:

مشعل سليمان حامد الخوالدة

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة اليرموك

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في جامعة اليرموك- تخصص لغة عربية وآدابها- لغة ونحو.

٢٠٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب الزيات

دراسة فونولوجية

إعداد:

مشعل سليمان حامد الخوالدة

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة اليرموك

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في جامعة اليرموك- تخصص لغة عربية وآدابها- لغة ونحو.

لجنة المناقشة

١. الأستاذ الدكتور : سمير شريف ستيتية / رئيساً .....

٢. الدكتور: سلمان القضاة / عضواً .....

٣. الدكتور: سعيد الزبيدي / عضواً .....

الإهداء

إلى الحب كله والأمل والحنان:

أبي وأمي

شكر وتقدير

إلى أستاذي... ومثلي... دكتور سمير ستيتية، مع بالغ الشكر والتقدير:

يا قدوة الجيل الجديد وصاحب القلب الكبير

إنـــي عـــرفتـــك من خـــلال الـــدرس ذا عـــلم غزير

تروي جموع ظمائنا من منهل صاف نمير

بمداد عرفان الجميل نقشت في قلبي "سمير"

أنا إن شكرت... مقصراً فالحمد أولى بالجدير

تلميذك

مشعل الخوالدة

٥٣٥٠٢٧

قائمة المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة.	١
الفصل الأول: حمزة بن حبيب الزيات.	٤
أولا: حياته.	٥
- نسبه.	٥
- مولده.	٧
- أخلاقه ونسكه.	٧
- وفاته.	٩
ثانيا: علمه ودرايته.	١٠
- معارفه.	١٠
- شيوخه.	١٣
- تلاميذه.	٢١
ثالثا: قراءته.	٢٧
- إسناد قراءته.	٢٧
- موقف السلف من قراءته.	٢٨
- راويا قراءته.	٣٤
الفصل الثاني: المماثلة.	٣٧
- تعريف المماثلة.	٣٨
- أقسام المماثلة:	٤٢
أولا: من حيث مدى التجاور.	٤٣
ثانيا: من حيث اتجاه التأثير.	٤٥
ثالثا: من حيث قوة التأثير ودرجته.	٥٠
- أشكال المماثلة:	٥١
أولا: الإدغام.	٥٢
ثانيا: المماثلة في موضع النطق.	٦٠
ثالثا: المماثلة بين الجهر والهمس.	٦٢
رابعا: المماثلة بين الوقف والاستمرار.	٦٣
خامسا: المماثلة بين الإطباق والانفتاح.	٦٥

سادسا: المماثلة في مجرى الصوت. ٦٦
سابعا: المماثلة في التدوير. ٦٧
- المماثلة في قراءة حمزة: ٦٧
أولا: مماثلة الحركات. ٦٧
ثانيا: مماثلة الصوامت. ٧٩
أ. المماثلة بين الجهر والهمس. ٧٩
ب. الإدغام: ٨٥
١. إدغام صوت وقفي في صوت وقفي. ٨٦
٢. إدغام صوت وقفي في صوت استمراري. ٩٠
٣. إدغام صوت استمراري في صوت وقفي. ١٠٢
٤. إدغام صوت استمراري في صوت استمراري. ١٠٥
الفصل الثالث: الإمالة. ١١٢
- تعريف الإمالة. ١١٣
- أنواع الإمالة. ١١٩
- درجات الإمالة. ١٢٠
- غرض الإمالة. ١٢٩
- الإمالة في اللهجات العربية القديمة. ١٣٠
- الإمالة بين الأصالة والفرعية. ١٣٣
-أسباب الإمالة. ١٣٥
- موانع الإمالة. ١٣٦
- منهج حمزة في الإمالة. ١٣٨
الفصل الرابع: المد. ١٧٢
- تعريف المد. ١٧٣
- سبب المد وعلته. ١٧٨
- أقسام المد ومنهج حمزة فيها: ١٩٠
- المد مع الهمز: ١٩١
أ. المد المتصل. ١٩١
ب. المد المنفصل. ١٩٤
جـ. مد البدل. ٢٠١
- المد مع السكون: ٢٠٣

أ. المد العارض. ٢٠٣
ب. المد اللازم. ٢٠٧
- المد المعنوي ٢١١
الفصل الخامس: الوقف والسكت. ٢١٣
- تعريف الوقف. ٢١٤
- أقسام الوقف. ٢١٦
- أشكال الوقف ومنهج حمزة فيها. ٢٢١
- السكت ٢٢٣
- الوقف ٢٣٢
الخاتمة. ٢٤٤
الملخص باللغة العربية. ٢٤٧
الملخص باللغة الإنجليزية. ٢٤٩
المصادر والمراجع. ٢٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي قال: "إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون"، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، سيدنا محمد الذي قال: "إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه"، وقال: "أقرؤوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين"، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن من تيسير الله عزوجل على المسلمين، وبخاصة العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، أن أذن لهم بقراءة القرآن الكريم وتلاوته بلهجاتهم التي ألفوا التحدث بها، إذ لو كلفوا قراءته بغير ما ألفوا، فلربما كان ذلك عسيراً عليهم.

لهذا تعددت القراءات القرآنية تبعاً لتعدد هذه اللهجات، وكانت من بين هذه القراءات قراءة حمزة بن حبيب الزيات، التي هي من القراءات القرآنية السبع التي اتفق العلماء على تواترها، وصحة اتصال سندها برسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولطرافة هذه القراءة بما تحويه من ظواهر لغوية مختلفة نحوية، وصرفية، وصوتية، تستحق أن تدرس في بحوث تجلو طبيعتها، ولما للدراسات الصوتية من أهمية بالغة في فهم كثير من هذه الظواهر فهماً سليماً، من خلال تفسيرها تفسيراً علمياً دقيقاً، مبنياً على أسس علمية سليمة، تكمل ما بدأه المتقدمون، وتكشف عما لم يستطيعوا التوصل إليه حول هذه الظاهرة أو تلك، فقد كانت دراستي لهذه القراءة التي تفرد فيها حمزة باختيار وجوه من اللسان العربي

فصيحة ومقبولة، دراسة تعمد إلى جمع الظواهر الصوتية المختلفة في هذه القراءة، وردها إلى أصولها المسلم بها في فصيح اللسان العربيّ، وتحليلها تحليلاً فونولوجياً، في ضوء آراء المتقدمين، ومعطيات علم الأصوات الحديث.

وقد اشتملت هذه الدراسة فصولاً خمسة، اختص الفصل الأول منها بالحديث عن صاحب القراءة حمزة بن حبيب الزيات، بما يتضمنه ذلك من حديث عن حياته، نسبه، ومولده، ووفاته، وأخلاقه ونسكه، ثم علمه ودرايته، ومعارفه، وشيوخه، وتلاميذه، وبعد ذلك قراءته، إسنادها، وموقف السلف منها، ورواياها.

أما الفصول الأربعة الأخرى، فقد عنيت بدراسة الظواهر الصوتية في قراءة حمزة. فدرس الفصل الثاني ظاهرة المماثلة من خلال تعريفها، وبيان أقسامها وأشكالها، ثم مواضع وجودها في قراءة حمزة، التي جاءت في الأشكال الآتية: مماثلة الحركات، ومماثلة الصوامت، وتتضمن المماثلة بين الجهر والهمس، والإدغام. وقد كانت دراسته لهذه الظاهرة مقتصرة على المماثلة غير المنتمية إلى باب الإمالة؛ ليكون للإمالة باب مستقل يتناول الظاهرة بشكل موضح مفصل.

وتناول الفصل الثالث ظاهرة الإمالة، وتوسع في الحديث عنها من خلال تعريفها وعلاقتها بالفتح، وبيان أنواعها ودرجاتها، وغرضها، وأصولها في اللهجات العربية القديمة، وأصالتها وفرعيتها، وموانعها، ثم مواطنها في قراءة حمزة، ومنهجه فيها.

ودرس الفصل الرابع ظاهرة المد من حيث تعريفها، وبيان سببها وعلتها، ثم أقسامها التي عرض من خلالها لمواطن المد في قراءة حمزة، ومنهجه فيه.

أما الفصل الخامس، فقد درس ظاهرتي الوقف والسكت من حيث تعريفهما، وبيان أقسامهما وعلتهما، ثم مواطنهما في قراءة حمزة، ومنهجه فيهما.

وقد فسرت التغيرات الصوتية المختلفة السابقة بمعادلات فونولوجية، توضح هذه التغيرات وعواملها.

ثم أعقبت ذلك كله بخاتمة تضمنت النتائج التي خرج بها البحث، وتلي ذلك قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في بحثي.

وقد اعتمدت في دراستي على عدد كبير من المصادر العربية القديمة، والمراجع الحديثة، إضافة إلى بحث لأستاذي ومشرفي الدكتور سمير ستيتية بعنوان: تحليل الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب، الذي أوحى إلي تناول هذه القراءة، ودراستها دراسة تفصيلية متعمقة. ثم توجيهاته المستمرة التي ما توانى عن تقديمها لحظة واحدة، ثم ما كان لي من جهد شخصي.

هذا وأتقدم بالشكر الجزيل والامتنان إلى الأستاذين الكريمين، الدكتور سعيد الزبيدي، والدكتور سلمان القضاه، على تفضلهما بقبول مناقشة هذا البحث، وتحمل عبء قراءته.

وبعد، فإني أسال الله تعالى قبول هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب.

"ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا"

الباحث

الفصل الأول

حمزة بن حبيب الزّيّات

أولاً: حياته.

ثانياً: علمه ودرايته.

ثالثاً: قراءته.

أولاً: حـــيـــاتـــــه

نسبه:

هو أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزيّات الكوفى التيمي، أحد القراء السبعة[1]، أخو حبيّب بن حبيب[2]. أمّا (أبو عمارة) فهي كنيته التي كنى بها، وهي كنية تطلـــق على كل من كان اسمه حمزة؛ لأنّ سيّد الشهداء حمزة بن عبد المطلّب عم النبيّ -صلى الله عليه وسلّم- كان يكنّى بها[3].

وأمّا الزيّات (بتشديد الزّاي وفتحها وتشديد الياء)، فهو لقبه الذي عرف به واشتهر، وهو لقب أطلق على حرفته التي كان يقتات منها، إذ كان تاجراً يجلب الزّيت من الكوفة إلى حلـــوان، ويجلب من حلوان الجبن والجوز إلى الكوفة، فعرف بالزيّات لذلك[4]. وهو لقب يطلق على كـــل من يمتهن هذه المهنة (نقل الزيت وبيعه).

أما التيميّ، فهو نسبه الذي ينسبه المؤرخون إليه، ولكن أهذا النسب حقيقي؟ بمعنى أنّـــه ينتسب إلى هذه القبيلة؟ أم أنّها نسبة موالاة؟ بمعنى أنّه كان مولى لأحد من هذه القبيلة؟

---

[1] انظر: مراتب النّحويين، أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي ٥٢،وصفة الصفوة، أبو الفرج عبد الرحمـــن بن الجوزي، المجلّد الثاني ١٠٣/٣،والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك، أبو الفرج عبد الرحمـــن بـــن الجـــوزي ١٨٨/٨،ومعجم الأدباء، ياقوت الحموي ١٢١٩/٣،ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، شمس الدين أحمـــد بـــن محمد بن خلكان، المجلّد الثّاني ٢١٦، وتاريخ الإسلام ووفيات المشـــاهير والأعـــلام، شـــمس الديـــن الذهبـــي ٣٨٣/٩،وانظر له أيضاً: سير أعلام النبلاء ٧٢/٧، والوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبـــك الصفـــدي ١٧٢/١٣، غاية النّهاية في طبقات القرّاء، محمد بن محمد بن الجزري ٢٦١/١، وروضات الجنات في معرفة أحوال العلماء والسادات، الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري، والأعلام، خير الدين الزركلي ٣٠٨/٢.

[2] مشاهير علماء الأمصار، أبو حاتم البستي ٢٠٠.

[3] انظر: السابقة في (١)، الصفحات نفسها.

[4] انظر: السابقة في (١)، الصفحات نفسها.

مولده:

لا خلاف بين المؤرخين على أنّ حمزة ولد بالكوفة سنة ثمانين للهجرة، في خلافة عبد الملك بن مروان، فيكون بذلك قد أدرك الصحابة بالسنّ، ومن الجائز أن يكون قد رأى أحدهم[1]، فيعدّ من التّابعين. وهذا الاحتمال غير مؤكدّ لأن أحداً من الذين ترجموا له -فيما أعلم- لم يذكر أنّ حمزة التقى بواحد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلّم.

أخلاقه ونسكه:

كان حمزة عظيم الأخلاق، نبيل الصفات، ذا عفّة وزهد وصبر وتقى، يعلّم الناس القرآن، ولا يأخذ على ذلك أجراً، بل يأكل من كسب يده، وهو من العاملين، ولم يوصف أحد من السبعة القراء بما وصف به حمزة من الزهد والتحرز عن أخذ الأجر على القرآن.[2]

عرف بالصدق والورع، قيل عنه: "إنّه كان عابداً خاشعاً، زاهداً، ورعاً، قانتاً لله، عديم النّظير"[3]. قال أبو حبان: "كان من قراء القرآن والمتورعين في السر والعلن"[4]، وقيل عنه: "كان إماماً، حجّة، ثقة، ثبتاً، رضيّاً، قيماً بكتاب الله[5]، وإليه المنتهى في الصدق والورع والتقوى"[6].

---

[1] انظر: ومعجم الأدباء، ياقوت الحموي ١٢١٩/٣،وغاية النّهاية في طبقات القرّاء، ابن الجزري ٢٦١/١.

[2] إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي الشاطبي ٧.

[3] انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي ١٢١٩/٣،وغاية النّهاية في طبقات القرّاء، ابن الجزري ٢٦٣/١، وطبقات القراء، الذهبي ٩٢/١.

[4] مشاهير علماء الأمصار، أبو حاتم بن حبان البستي ٢٠٠.

[5] انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي ١٢١٩/٣.

[6] انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرّجال، الذّهبي ٢٧٧/٢.

قال عبيد الله بن موسى: "كان حمزة يقرئ القرآن حتى يتفرق الناس، ثم ينهض فيصلي أربع ركعات، ثم يصلي ما بين الظهر إلى العصر، وما بين المغرب والعشاء"[1]، وكان شيخه الأعمش إذا رآه قد أقبل قال: "هذا حبر القرآن"[2]، وقال الأعمش فيه -وقد رآه مقبلا-: "وبشر المخبتين"[3]، وقال ابن فضيل: "ما أحسب أن الله يدفع البلاء عن أهل الكوفة إلا بحمزة"[4]، وقال عنه ابن القاصح: "كان ذكيا، متورعا، متحرزا عن أخذ الأجر على القرآن، صبورا على العبادة، لا ينام من الليل إلا القليل مرتلا، لم يلقه أحد إلا وهو يقرأ القرآن"[5].

ومن طريف ما يروى في ورع حمزة، وتحرزه عن شبهة أخذ الأجر على تعليم الناس القرآن، ما حكاه ابن حجر عن حسين الجعفي قوله: "ربما عطش حمزة، فلا يستسقي كراهة أن يصادف من قرأ عليه"[6]. وذكر جرير بن عبد الحميد قال: "مر بي حمزة، فطلب ماء فأتيته به، فلم يشرب مني لكوني أحضر القراءة عنده"[7].

قال خلف بن تيم: "مات أبي وعليه دين، فأتيت حمزة يكلم صاحب الدين، فقال: ويحك، إنه يقرأ علي، وأنا أكره أن أشرب ماء من بيت من يقرأ علي"[8].

---

[1] انظر: غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري ٢٦٣/١.

[2] انظر: السابق، الصفحة نفسها.

[3] السابق، الصفحة نفسها. (الحج: آية ٣٤).

[4] معجم الأدباء، ياقوت الحموي ١٢١٩/٣.

[5] سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح ١٢.

[6] السابق، الصفحة نفسها.

[7] تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٤٨٨/١.

[8] السابق ٩٦/١.

قال أحمد بن عبد الله العجلي: "حدثنا أبي قال: حمزة سنة يكون بالكوفة وسنة بحلوان، فختم عليه رجل من أهل حلوان من مشاهيرهم، فبعث إليه بألف درهم، فقال لابنه: قد كنت أظن لك عقلاً، أنا آخذ على القرآن أجراً؟ أرجو على هذا الفردوس"[1].

وقال عبد الله العجليّ أيضاً: "ومات حمزة فترك عليه ألف درهم ديناً، فقضاها عنه يعقوب بن داود"[2].

قال أبو مسحل: "رأيت الكسائي في النوم كأن وجهه البدر، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بالقرآن، فقلت: ما فعل بحمزة الزيات؟ قال: ذاك في علّيين، ما نراه إلا كما يرى الكوكب الدرّيّ"[3].

وفاته:

توفي حمزة سنة مائة وستّ وخمسين، وقيل: سنة أربع وخمسين، وقيل: سنة ثمان وخمسين وهو وهم[4].

والأرجح أن وفاته كانت سنة مائة وست وخمسين، في خلافة المنصور[5]، لأنّ ياقوتاً، وابن خلكان ذكرا أنّه عاش ستاً وسبعين سنة[6]. وقد أجمع المؤرخون على أنه ولد سنة ثمانين.

---

[1] معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، الذهبي، المجلد الأول ١١٣.

[2] السابق، الصفحة نفسها.

[3] صفوة الصفوة، ابن الجوزي، المجلد الثاني ١٠٤/٣ - ١٠٥.

[4] غاية النّهاية في طبقات القرّاء، ابن الجزري ٢٦٣/١، وتهذيب التّهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢٨/١.

[5] انظر: المعارف، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ٥٢٩، والفهرست، ابن النديم ٤٨.

[6] انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي ١٩٢٠/٣، وانظر كذلك: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان. المجلد الثاني ٢١٦.

وكانت وفاته بحلوان في آخر سواد العراق مما يلي بـلاد الجبـل[1]، وقـبره بحلـوان مشهور. قال عبد الرحمن بن أبي حمّاد: زرته مرتين[2].

ثانياً: علمـــه ودرايتـــه

معارفه:

انصرف حمزة إلى العلم منذ صغره، وكان شديد الورع، شديد التمسك بكتاب الله وسـنة رسوله، وإلى جانب ما اشتهر به حمزة من علمه بـالقراءة، وإحاطتـه بقواعدهـا وأصولـها، ومعرفته بطرقها، فقد ذكر المؤرخون أنّه كان عالماً بالفرائض، بصيراً بالعربيّة، راوياً لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وإليه صارت الإمامة فى الكوفة بعد عاصم والأعمش[3].

قال عبد الله العجلي: "قال أبو حنيفة لحمزة: شيئان غلبتنا عليهما، لسنا ننازعك فيـهما: القرآن والفرائض"[4]، وقال سفيان الثّوري: "غلب حمزة النّاس على القرآن والفرائض"[5]، وقـال ياقوت الحموي: "كان حجّة، ثقة، ثبتاً، رضيّاً، قيماً بكتاب الله، بصيراً بالفرائض، خبيراً بالعربيّة، حافظاً للحديث"[6].

ومما يدلّ على إتقانه للقراءة، وإحاطته بالعربيّة ووجوهها ما حكاه الذهبي من أن الأسود ابن سالم سأل الكسائي عن الهمز والإدغام، ألكم فيه إمام؟ قال: نعم، هذا حمزة يهمز ويكسـر،

---

[1] روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، الميرزا الخوانساري ٢٥٣/٣.

[2] غاية النّهاية في طبقات القرّاء، ابن الجزري ٢٦٣/١.

[3] معجم الأدباء، ياقوت الحموي ١٢١٩/١، وانظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعصار، الذهبـي، المجلد الاول ١١٢، وحجة القراءات، أبو زرعة عبد الرحمن بن زنجلة ٥٩.

[4] غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري ٢٦٣/١، و معرفة القراء الكبار علـى الطبقـات والأعصـار، الذهبي، المجلد الأول ١١٣ - ١١٤، و الطبقات الكبرى، ابن سعد ٣٨٥/٦.

[5] السابقة، الصفحات نفسها.

[6] معجم الأدباء، ياقوت الحموي ١٢١٩/٣ - ١٢٢٠.

وهو إمام من أئمة المسلمين، وسيّد القرّاء والزّهّاد، لو رأيته لقرّت عينك به من نسكه (يريد بقوله يكسر أي: يميل)[1].

أمّا حفظه للحديث وروايته له، فقد قال ياقوت الحموي: "روى حمزة عن الحكم، وعدي ابن ثابت، وحبيب بن أبي ثابت، وطلحة بن مصرّف، وروى عنه: يحيى بن آدم، وحسين الجعفي، وخلق، وإليه المنتهى في الصّدق والورع والتّقوى"[2]، و قال ابن حجر العسقلاني: "روى حمزة الحديث عن: أبي إسحق السبيعي، وأبي إسحق الشيباني والأعمش، وعدي بن ثابت، والحكم بن عتيبة، وحبيب بن أبي ثابت، ومنصور بن المعتمر، وأبي المختار الطّائي، وجماعة، وروى عنه: ابن المبارك، وحسين بن علي الجعفي، وعبد الله بن صالح العجلي، وسليم بن عيسى"[3].

وممّن ارتضى رواية حمزة للحديث، وشهد له بالثقة وحسن الرّواية يحيى بن معين، والنسائي، وعبد الله العجلي، و أحمد بن حنبل. قال ياقوت الحموي: "وثّقه يحيى بن معين، وقال: حسن الحديث. وقال النّسائي: ليس به بأس"[4]. ومثل هذا جاء في تهذيب التّهذيب وزاد عليه: "قال أبو بكر بن منجويه: كان من علماء زمانه بالقراءات، وكان من خيار عباد الله عبادة، وفضلاً، وورعاً، ونسكاً، قلت: والكلام لابن حجر وذكره ابن حبّان في الثّقات، وقال فيه مثل

---

[1] تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي ٣٨٤/٩، وانظر له أيضاً: سير أعلام النبلاء ٧٢/٧.

[2] معجم الأدباء، ياقوت الحموي ١٢١٩/٣، والعبارة بنصّها في ميزان الاعتدال في نقد الرّجال، الذّهبي ٣٧٧/٢.

[3] تهذيب التّهذيب، ابن حجر العسقلاني ٤٨٨/١.

[4] معجم الأدباء، ياقوت الحموي ١٢٢٠/٣، وانظر: ميزان الاعتدال في نقد الرّجال، الذهبي ٣٧٧/٢ – ٣٧٨.

كلام ابن منجويه سواء، وقال العجلي: ثقة، رجل صالح"[1]. وروى ابن أبي حاتم بسنده عن الإمام أحمد بن حنبل قوله: "حمزة الزيّات ثقة في الحديث"[2].

وما دام الحديث عن رواية حمزة لأحاديث النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قائماً، فإنّ الأمانة تقتضي ذكر ما وجّه إليه من طعون في هذا الميدان.

قال السّاجي: "هو في الحديث: صدوق سيء الحفظ، ليس بمتقن في الحديث"[3].

والحقّ أن هذه الشهادة ينقض أولها أخرها، لأنّ كونه صدوقاً يستلزم ألاّ يتحدّث إلاّ بما وثق منه، وتأكد من صحّة نسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وكونه سيّء الحفظ يتنافى مع ما شهد له به من أنّه ثبت، حجّة، قيّم بكتاب الله، حافظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وكيف يكون سيّء الحفظ من صارت إليه إمامة الإقراء في الكوفة بعد عاصم والأعمش.

ومما سبق يمكن القول إنّ المؤرخين قد أجمعوا على صدقه وورعه وتقواه، وهذا كلّه يستلزم ألاّ يجترئ حمزة على رسول الله ،صلّى الله عليه وسلّم، فينسب إليه ما ليس متأكداً من صحّة نسبه إليه، ويكفيه -كما قال الذّهبي-: "أن شهد له الإمام سفيان الثوري بأنّه: ما قرأ حمزة حرفاً إلاّ بأثر"[4]، وشهادة الإمام أحمد بن حنبل بأنّه: ثقة في الحديث.

أما آثاره، فقد ذكر ابن النديم في الفهرست أن له من الكتب: كتاب قراءة حمزة، وكتاب الفرائض[5].

---

[1] تهذيب التّهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢٧/١ - ٢٨.

[2] الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم، المجلد الأوّل، القسم الثاني ٢١٠.

[3] ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذّهبي ٣٧٨/٢، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢٨/٣.

[4] ميزان الاعتدال في نقد الرّجال، الذهبي ٣٧٨/٢.

[5] انظر: الفهرست، ابن النديم٤٨، و تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، المجلد الأول ١٥٤/١.

شيوخه:

كانت نشأة حمزة في الكوفة، وأخذ القراءة عن أئمة الإقراء فيها، لذا فإنه حريّ بنا -في هذا المقام- أن نعرض لهؤلاء الأئمة الذين أخذ عنهم حمزة، مع ذكر رأي السلف في كل واحد منهم؛ ليتبيّن لنا مدى ما عرف به كل منهم من صلاح، وتقوى، وورع، وأمانة، وثقة، وحفظ، وضبط، ولبيان أثرهم في تكوين شخصية حمزة العلمية، وأخذه القراءة، واختياره لها.

ذكر ابن مجاهد أنّ حمزة قرأ على سليمان الأعمش، وابن أبي ليلى، وحمران بن أعين والإمام جعفر الصادق[1]. وزاد الذهبي على هؤلاء الأربعة: منصور بن المعتمر، وأبا إسحق السبيعي، وطلحة بن مصرف[2]. أمّا ابن الجزري فقد ذكر أنّ حمزة قرأ على السبعة المتقدمين، وزاد عليهم اثنين أخرين هما: المغيرة بن مقسم، وليث بن أبي سليم[3].

طلحة بن مصرّف

هو طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب بن محمد، ويقال: أبو عبد الله الهمداني اليمامي الكوفي، تابعي كبير، له اختيار في القراءة ينسب إليه. أخذ القراءة عرضا عن: إبراهيم بن يزيد النخعي، والأعمش -وهو أقرأ منه وأقدم-، ويحيى بن وثاب. روى القراءة عرضا عنه: محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وعيسى بن عمر الهمداني، وإبان بن تغلب، وعلي بن حمزة الكسائي، وفياض بن غزوان، وهو الذي روي عنه اختياره وأقرأ به في الرّيّ، وأخذ عنه النّاس هناك[4].

---

[1] انظر: السبعة في القراءات، ابن مجاهد ٧٢.

[2] انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي ٣٨٣/٩.

[3] انظر: غاية النّهاية في طبقات القرّاء، ابن الجزري ٢٦٢/١.

[4] غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري ٣٤٣/١.

جاء في غاية النهاية: "قال العجلي: اجتمع قرّاء الكوفة في منزل الحكم بن عيينة، فأجمعوا على أنّه أقرأ أهل الكوفة، فبلغه ذلك، فغدا إلى الأعمش، فقرأ عليه ليذهب عنه ذلك، وقال عنه أبو معشر: ما ترك بعده مثله، وقال عبد الله بن إدريس: كانوا يسمّونه سيّد القرّاء"[1].

وجاء في تهذيب التهذيب: "وقال عبد الله بن إدريس: ما رأيت الأعمش يثني على أحد أدركه إلاّ على طلحة بن مصرف. وثقة ابن معين وأبو حاتم العجلي، وقال عنه عبد الملك بن أبجر: ما رأيت مثله، وما رأيته في قوم إلاّ رأيت له الفضل عليهم"[2].

توفي سنة اثنتي عشرة ومائة هجريّة[3].

حمران بن أعين

هو حمران بن أعين أبو حمزة الكوفيّ، مقرئ كبير. أخذ القراءة عرضا عن: عبيد بن فضلة، وأبي حرب بن أبي الأسود، وأبيه أبي الأسود، ويحيى بن وثاب، ومحمد بن علي الباقر. روى القراءة عنه عرضا حمزة بن حبيب الزيّات[4].

قال ابن الجزري في ترجمته لحمزة: "قالوا: استفتح حمزة القرآن من حمران، وكان حمران يقرأ قراءة ابن مسعود، ولا يخالف مصحف عثمان، يعتبر حروف معاني عبد الله، ولا يخرج من موافقة مصحف عثمان، وهذا كان اختيار حمزة"[5].

قال الذّهبي عنه: "كوفي مقرئ كبير، وقال أيضاً: كان يتقن القراءة"[6].

---

[1] غاية النهاية في طبقات القراء،ابن الجزري ١/٣٤٣.

[2] تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٥/٢٦.

[3] انظر: غاية النّهاية في طبقات القرّاء، ابن الجزري ١/٣٤٣.

[4] السابق ١/٢٦٢.

[5] السّابق ١/٢٦٢.

[6] معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، الذهبي ١/٧٠.

قال أبو حاتم: شيخ[1].

قال عنه ابن الجزري: كان ثبتا في القراءة[2].

توفي حمران في حدود الثلاثين والمائة أو قبلهما[3].

أبو إسحق السبيعي

هو عمر بن عبد الله بن علي بن أحمد، أبو إسحق السبيعي الهمذاني الكوفي الإمام الكبير. أخذ القراءة عرضا عن: عاصم بن ضمرة، والحارث الهمذاني، وعلقمة، والأسود، وأبي عبد الرحمن السلمي، وزر بن حبيش، وعمرو بن شرحبيل، ورأى من الصحابة عليا بن أبي طالب، وابن عباس، وابن عمر، وغيرهم. أخذ القراءة عنه عرضا: حمزة الزيات[4].

قال ابن الجزري: "كان أبو إسحق يقرأ من حرف ابن مسعود، وحرف علي بن أبي طالب رضي الله عنهما"[5].

جاء في ميزان الاعتدال: "ولد في أيام عثمان، ورأى من الصحابة عليا، وأسامة بن زيد، وفرض له معاوية -رضي الله عنه- ثلاثمائة في الشهر. قال أبو حاتم: ثقة، يشبه الزهري في الكثرة، وقال ابن غزوان: كان أبو إسحق يقرا القرآن في كل ثلاث، وقال غيره: كان أبو إسحق صواما قواما"[6].

وقال العجلي: "تابعي ثقة"[7].

---

[1] ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي ٢/٣٧٦.

[2] غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري ١/٣٤٣.

[3] معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، الذهبي ١/٥٧.

[4] غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري ١/٦٠٣.

[5] السابق ١/٢٦٢.

[6] ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي ٣/٢٧٠، و ٥/٣٢٦.

[7] تاريخ الثقات، أحمد بن عبد الله العجلي ٣٦٦.

منصور بن المعتمر

هو منصور بن المعتمر، أبو عتاب السلمي الكوفي. عرض القراءة على الأعمش، وروى عن إبراهيم النخعي ومجاهد. عرض عليه حمزة، وروى عنه سفيان الثوري وشعبة[1].

جاء في التهذيب: "قال الآجري أبو داود: كان منصور لا يروي إلا عن ثقة، وقال علي ابن المديني عن يحيى عن سعيد: قال سفيان: كنت لا أحدث الأعمش عن أحد من أهل الكوفة إلا رده، فإذا قلت منصور: سكت،و قال عبد الرزاق عن ابن عيينة: قال لي الثوري: رأيت منصوراً، وعبد الكريم، والجزري، وأيوب، وعمرو بن دينار، هم الأعين الذين لا يشك فيهم، وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن منصور فقال: ثقة، وقال العجلي: كوفي، ثقة، ثبت في الحديث كان أثبت أهل الكوفة، وكان حديثه القدح لا يختلف فيه أحد، متعبد، رجل صالح.[2]

توفي سنة ثلاث وثلاثين ومائة[3].

الأعمش

هو سليمان بن مهران الأعمش، أبو محمد الأسدي الكاهلي، مولاهم الكوفي الإمام الجليل. ولد سنة ستين هجريّة. أخذ القراءة عن: إبراهيم النخعي، وزرّ بن حبيش، وزيد بن وهب، وعاصم بن أبي النجود، وأبي حصين، ويحيى بن وثاب، ومجاهد بن جبر، وأبي العالية الرياحي. روى القراءة عنه عرضاً وسماعاً: حمزة بن حبيب الزيّات، ومحمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى، وجرير بن عبد الحميد، وزائدة بن قدامة، وإبان بن تغلب. عرض عليه: طلحة بن

---

[1] غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري ٢/٣١٤.

[2] تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ١٠/٣١٤ - ٣١٥.

[3] غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري ٢/٣١٤.

مصرف، وإبراهيم التيمي، ومنصور بن المعتمر، وعبد الله بن إدريس، وأبو عبيدة بن معن الهذلي، وروى عنه الحرف: محمد بن عبد الله المعروف بزاهر، ومحمد بن ميمون.[1]

قال ابن الجزري: "كان الأعمش يجوّد حرف ابن مسعود"[2].

وإذا كان ابن الجزري قد ذكر في ترجمته للأعمش أنّ حمزة قد أخذ القراءة عنه (أي الأعمش) عرضاً وسماعاً، فإنّه يقول في ترجمته لحمزة: "وقيل: بل قرأ الحروف على الأعمش ولم يقرأ عليه جميع القرآن"[3]. وهذا ما رواه كل من ابن مجاهد والذّهبي.

جاء في السبعة: "حدثني ابن صداقة قال: حدثنا ابن جبير قال: حدثنا حجاج قال: قلت لحمزة: قرأت على الأعمش؟ قال: لا، ولكنّي سألته عن هذه الحروف حرفاً حرفاً"[4]، وجاء في معرفة القرّاء: "قال محمد بن يحيى الأزدي، قلت لابن داود: قرأ حمزة على الأعمش؟ قال: من أين قرأ عليه؟ إنّما سأله عن حروف"[5]، وإن كان كل من الذّهبي وابن مجاهد قد ذكرا أيضا أنّ حمزة قد قرأ على الأعمش القرآن عرضاً[6].

جاء في التهذيب: " قال ابن المديني: حفظ العلم على أمّة محمد -صلى الله عليه وسلّم- ستة هم: ..... وأبو إسحق، والأعمش بالكوفة، وقال أبو بكر بن عيّاش عن مغيرة: لما مات إبراهيم اختلفنا إلى الأعمش في الفرائض، وقال هشيم: ما رأيت بالكوفة أحداً أقرأ لكتاب الله منه، وقال ابن عيينة: سبق الأعمش أصحابه بأربع: كان أقرأهم للقرآن، وأحفظهم للحديث،

---

[1] غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري ٣١٧/١.

[2] السابق ٢٦٢/١.

[3] السابق ٢٦٢/١.

[4] السبعة في القراءات، ابن مجاهد ٧٣.

[5] معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، الذهبي ١١٨/١.

[6] انظر: السبعة في القراءات، ابن مجاهد ٧١، و معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، الذهبي ١١٢/١.

وأعلمهم بالفرائض، وذكر خصلة أخرى، وقال يحيى بن معين: كان جرير إذا حدث عن الأعمش قال: هذا الديباج الخسرواني، قال عبد الله بن داود الخريبي: كان شعبة إذا ذكر الأعمش قال: المصحف المصحف، وقال عمرو بن علي: كان الأعمش يسمّى المصحف لصدقه، وقال ابن عمّار: ليس في المحدثين أثبت من الأعمش، وقال العجلي: كان ثقة، ثبتاً في الحديث، وكان محدث أهل الكوفة في زمانه، ولم يكن له كتاب، وكان رأساً في القرآن، وقال ابن معين: ثقة. وقال النسائي: ثقة ثبت. وقد ذكره ابن حبّان فى ثقات التّابعين[1].

توفي في ربيع الأوّل سنة ثمان وأربعين ومائة[2].

ابن أبى ليلى

هو محمد بن عبد الرحمن بن ليلى، أبو عبد الرحمن الأنصاري الكوفى، أحد الأعلام. أخذ القراءة عرضاً عن: أخيه عيسى، والشعبى، وطلحة بن مصرف، والمنهال بن عمرو، والأعمش. قال: قرأت على عشرة شيوخ. روى القراءة عنه عرضاً: حمزة الزيّات، والكسائي، وبيرام الوشاء، ونعيم بن يحيى السعدي، وخالد بن عبد الله، وروى عنه: شعبة، والسفيانان، ووكيع وخلف، وكان ابن أبى ليلى يجوّد حرف عليّ رضى الله عنه[3].

جاء فى غاية النهاية: "قال حمزة: تعلّمنا جودة القراءة عند ابن أبى ليلى، قلت: تكلّم فيه من جهة حفظه، ولكنّه صدوق وإن ضعّفه يحيى بن سعد، قال أبو حاتم: محله الصدق، ولكن

---

[1] تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٤/٢٢٣ – ٢٢٤.

[2] غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري ١/٣١٧.

[3] السابق ١/٢٦١.

شغل بالقضاء فساء حفظه، وقال القاضي أبو يوسف: ما ولي القضاء أحد أفقه في دين الله، ولا أقرأ لكتاب الله، ولا أقول حقاً بالله، ولا أعفّ عن الأموال من ابن أبي ليلى»[1].

وجاء في التهذيب: "قال أبو حاتم: عن أحمد بن يونس: ذكره زائدة، فقال: كان أفقه أهل الكوفة، وقال العجلي: كان فقيهاً، صاحب سنّة، صدوقاً، جائز الحديث، وكان عالماً بالقرآن، وكان من أحسب الناس، وكان جميلاً نبيلاً، وقال السّاجي: كان الثوري يقول: فقهاؤنا: ابن أبي ليلى، وابن شبرمة»[2].

توفي سنة ثمان وأربعين ومائة في رمضان منها[3].

جعفر الصّادق

هو جعفر بن محمد الباقر بن زيد العابدين بن الحسين بن على بن أبي طالب. أخذ القراءة عن آبائه -رضوان الله عليهم-: محمد الباقر، فزين العابدين، فالحسين، فعلى رضي الله عنهم أجمعين[4].

روى ابن الجزري عن حمزة قال: قرات على أبى عبد الله جعفر الصادق القرآن بالمدينة، فقال: ما قرأ علىّ أقرا منك، ثم قال: لست أخالفك فى شىء من حروفك إلاّ فى عشرة أحرف، فإنّي لست أقرأ بها. وهي جائزة فى العربيّة، وهى قراءة على بن أبي طالب[5]، كانت ولادته (جعفر الصّادق) في العام الذي ولد فيه حمزة، (ثمانين هجريّة)[6].

---

[1] غاية النهاية في طبقات القراء،ابن الجزري ١٦٥/٢.

[2] تهذيب التّهذيب، ابن حجر العسقلاني ٣٠١/٩.

[3] غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري ١٦٥/٢.

[4] السابق ١٩٧/١.

[5] السابق، الصفحة نفسها.

[6] تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ١٠٤/٢.

جاء في تهذيب التهذيب: "وقال الدوري عن يحيى بن معين: ثقة مأمون، وقال ابن أبي خيثمة وغيره: ثقة، وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: ثقة، لا يسأل عن مثله، وقال ابن عديّ: ولجعفر أحاديث ونسخ، وهو من ثقات النّاس، كما قال يحيى بن معين، وقال عمرو بن أبي المقدام: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنّه من سلالة النبيين، وقال الساجي: كان صدوقا مأمونا، إذا حدّث عنه الثقات، فحديثه مستقيم، قال النسائي عنه في الجرح والتعديل: ثقة، وقال مالك: اختلفت إليه زمانا، فما كنت أراه إلاّ على ثلاث خصال: إمّا مصلّ، وإمّا صائم، وإمّا يقرأ القرآن، وما رأيته يحدّث إلاّ على طهارة"[1].

توفي سنة ثمان وأربعين ومائة[2].

من هذا العرض الموجز لشيوخ حمزة يتبين لنا أنّهم أئمة مشهود لهم بالعدالة، والضبط، والورع، والتّقوى، وأنّ منهم المحدث الحافظ، والقارئ الحاذق، والفقيه العالم، مما كان له أكبر الأثر في تكوين شخصية حمزة العلميّة، إذ أصبح إمام القراءة بالكوفة بعد عاصم والأعمش، وشهد له بسبقه في علم الفرائض، وحسن روايته لأحاديث الرّسول عليه الصلاة و السلام.

تلاميذه:

انتهت إمامة الإقراء في الكوفة بعد عاصم والأعمش إلى الإمام حمزة، لهذا نجد جمعا كبيراً من أئمة القراءة قد أخذوا عنه، وكان منهم: القارئ الحاذق، والفقيه المحدّث، واللغوي الإمام، وسيأتي العرض لأشهر من تتلمذ على يديه:

---

[1] تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٣/١٠٣ - ١٠٤.

[2] السابق ٢/١٠٤.

سفيان الثّوري

هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثّوري، أبو عبد الله الكوفي، الإمام الكبير، أحد الأعلام. ولد سنة سبع وتسعين على الصحيح. روى القراءة عرضاً عن حمزة بن حبيب الزّيّات، وروى عن عاصم والأعمش حروفاً، وروى عنه عبيد الله بن موسى. قال خلاد: قرأ سفيان على حمزة أربع مرّات[1].

جاء في التهذيب: "قال شعبة، وابن عيينة، وأبو عاصم، وابن معين، وغير واحد من العلماء: سفيان أمير المؤمنين في الحديث، وقال الدّوري: رأيت يحيى بن معين لا يقدّم على سفيان في زمانه أحداً في الفقه والحديث والزّهد وكل شيء، وقال عبد الله بن داود: ما رأيت أفقه من سفيان، وقال الخطيب: كان إماماً من أئمة المسلمين، وعلماً من أعلام الدّين، مجمعاً على إمامته بحيث يستغنى عن تزكيته مع الإتقان، والحفظ، والمعرفة، والضبط، والورع، والزهد، قال النسائي: هو أجلّ من أن يقال فيه ثقة، وهو أحد الأئمة الذي أرجو أن يكون الله من جعله للمتقين إماماً"[2].

توفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة[3].

سليم بن عيسى

هو سليم بن عيسى بن سليم بن غالب بن سعيد بن سليم بن داود، أبو عيسى، ويقال: أبو محمد الحنفي مولاهم، الكوفي، المقرئ، ضابط، حاذق. ولد سنة ثلاثين ومائة. عرض القرآن على حمزة، وهو أخصّ أصحابه وأضبطهم وأقومهم بحرف حمزة، وهو الذي خلفه في القيام

---

[1] غاية النّهاية في طبقات القرّاء، ابن الجزري ١/٣٠٨.

[2] تهذيب التّهذيب، ابن حجر العسقلاني ٤/١١٠ – ١١٣.

[3] غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري ١/٣٠٨.

بالقراءة. عرض عليه: حفص بن عمر الدّوري، وخلف بن هشام، وخلاد بن خالد، وأحمد بن جبير، وآخرون، وقرأ سليم القرآن على حمزة عشر مرّات حتّى أتقن قراءته، مما يجعل رفقاءه في القراءة على حمزة يقرؤون عليه من شدّة إتقانه لقراءة حمزة[1].

قال ابن المبارك: "كنّا نقرأ على حمزة ونحن شباب، فإذا جاء سليم قال حمزة: تحفظوا وتثبتوا قد جاءكم سليم"[2].

قال الدّوري: "حدثني الكسائي قال: كنت أقرأ على حمزة، فجاء سليم فتلكّأت، فقال حمزة: تهابه ولا تهابني؟ قلت: أيها الأستاذ، أنت إن أخطأت قومتني، وهذا إن أخطأت عيّرني"[3].

توفي سنة ثمانٍ وثمانين ومائة، وقيل سنة تسع وثمانين ومائة[4].

الكسائي

هو علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي مولاهم، وهو من أولاد الفرس من سواد العراق، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيّات[5].

أخذ القراءة عرضاً عن حمزة أربع مرّات وعليه اعتماده، وأخذ أيضاً عن: محمد بن أبي ليلى، وعيسى بن عمر الهمذاني، وروى الحروف عن: أبي بكر بن عيّاش، وإسماعيل،

---

[1] غاية النهاية في طبقات القراء،ابن الجزري ١/٣١٩.

[2] السابق، الصفحة نفسها.

[3] سير أعلام النبلاء، الذهبي ٩/٣٧٥.

[4] السابق، الصفحة نفسها.

[5] غاية النّهاية في طبقات القراء، ابن الجزري ١/٣٣٥.

ويعقوب، وابن جعفر، وآخرين. أخذ القراءة عنه عرضاً وسماعاً: إبراهيم بن زازان، وإبراهيم ابن الحربش، وأحمد بن جبير، وأحمد بن أبي سريح، وحفص بن عمرو الدوري[1].

جاء في غاية النهاية: "قال أبو عبيد: كان الكسائي يتخير القراءات، فأخذ من قراءة حمزة ببعض وترك بعضاً، وكان من أهل القراءة، وهي كانت علمه وصناعته، ولم يجالس أحداً كان أضبط ولا أقوم منه، قال ابن مجاهد: فاختار من قراءة حمزة، وقراءة غيره، قراءة متوسطة غير خارجة عن آثار من تقدّم من الأئمة، وكان إمام الناس في القراءة في عصره، قال يحيى بن معين عن الكسائي: ما رأيت بعينيّ هاتين أصدق لهجة من الكسائي"[2].

قال أبو بكر بن الأنباري: "اجتمعت في الكسائي أمور، كان أعلم النّاس بالنّحو، وأوحدهم في الغريب، وكان أوحد النّاس في القرآن، فكانوا يكثرون عليه حتّى لا يضبط الأخذ عليهم، فيجمعهم، ويجلس على كرسيّ، ويتلو القرآن من أوله إلى آخره، وهم يسمعون ويضبطون عنه حتّى المقاطع والمبادئ"[3].

قال الذّهبي: "اختار الكسائي قراءة مشهورة، وصارت إحدى السّبع وجالس في النحو الخليل، وسافر في بادية الحجاز مدة للعربيّة، فقيل: قدم وقد كتب بخمس عشرة قنينة حبر، وأخذ عن يونس"[4].

وقال الشافعي: من أراد أن يبحر في النّحو فهو عيال على الكسائي[5].

---

[1] غاية النهاية في طبقات القراء،ابن الجزري ١/٣٣٥ – ٣٣٦.

[2] غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري ١/٥٣٨.

[3] السابق، الصفحة نفسها.

[4] سير أعلام النبلاء، الذهبي ٩/١٣١.

[5] السابق، الصفحة نفسها.

ألف الكسائي عدداً من الكتب في النحو والقراءات والنوادر منها: كتاب معاني القـــرآن، وكتاب القراءات، وكتاب العدد، وكتاب النوادر الكبير.... وغيرها.[1]

واختلف في تاريخ وفاته، والصحيح الذي أرخه غير واحد من العلماء والحفاظ أنها سـنة تسع وثمانين ومائة[2].

إسحق الأزرق

هو إسحق بن يوسف بن يعقوب الأزرق، أبو محمد الواسطي، ويقال: الأنباري. وهو ثقة كبير القدر[3].

قرأ على حمزة الزيّات، وروى عن أبي عمرو وحروف عاصم عن أبي بكر بن عياش، وروى عن: الأعمش، وابن عون، وخلف، وروى عنه القراءة: إسماعيل بن إبراهيم بن هـــود، والحسن بن على الأبخ، وسمع منه: أحمد، وابن سعدان، وجماعة كثيرون[4].

توفي سنة خمس وتسعين ومائة، وقيل: سنة أربع وتسعين[5].

---

[1] انظر: غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري ٥٣٩/١.

[2] السابق، الصفحة نفسها.

[3] غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري ٢٤٧/١.

[4] السابق ١٥٨/١.

[5] السابق، الصفحة نفسها.

الحسين الجعفي

هو الحسين بن علي بن فتح الإمام الحبر، أبو عبد الله، ويقال: أبو علي الجعفي مولاهم الكوفي، الزّاهد، أحد الأعلام[1]. قرأ على حمزة، وهو أحد الذين خلفوه في القيام بالقراءة، وروى القراءة عن: أبي بكر بن عياش، وأبي عمرو بن العلاء. قرأ عليه أيّوب بن المتوكّل، وروى عنه القراءة: خلاد بن خالد، وأبو هشام محمد بن يزيد الرفاعي، وآخرون[2].

جاء في غاية النهاية: "قال أحمد بن حنبل: ما رأيت أفضل من حسين الجعفي، وروى هشام الرفاعي عن الكسائي قال: قال لي الرّشيد: من أقرأ الناس اليوم؟ قلت: حسين الجعفي"[3].

وقال حميد بن الربيع: حسين الجعفي، كتبنا عنه أكثر من عشرة آلاف حديث[4].

توفي سنة ثلاث ومائتين عن أربع وثمانين سنة[5].

عبد الله بن صالح

هو عبد الله بن صالح بن مسلم بن صالح، أبو أحمد العجلي الكوفي، نزيل بغداد، مقرئ مشهور، ثقة[6].

أخذ القراءة عرضاً عن حمزة الزّيات، وعن سليم عن حمزة أيضاً، وروى الحروف عن: أبي بكر بن عياش، وحفص بن سليمان سماعاً. روى عنه القراءة: ابنه أبو الحسن أحمد،

---

[1] غاية النهاية في طبقات القراء،ابن الجزري ١/٢٤٧.

[2] السابق، الصفحة نفسها.

[3] السابق، الصفحة نفسها.

[4] تذكرة الحفاظ، الذهبي ١/٢٥٥ - ٢٥٦.

[5] السابق ١/٢٥٦.

[6] غاية النّهاية في طبقات القرّاء، ابن الجزري ١/٤٢٣، وانظر: معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار، الذهبي ١/١٦٥ - ١٦٦.

وأحمد بن يزيد الحلواني، وأبو حمدون، وإبراهيم بن نصر الرّازي. وثقة ابن معين، وقال أبو حاتم: صدوق، وقال ابن حبان: مستقيم الحديث[1].

توفي عبد الله بن صالح في حدود إحدى وعشرين ومائتين[2].

ثالثاً: قراءته

إسناد قراءته:

أخذ حمزة القراءة -كما جاء سابقاً- عن: سليمان الأعمش، وابن أبي ليلى، وأبي إسحق السبيعي، و حمران بن أعين، و جعفر الصّادق، و طلحة بن مصرف، وكان حمزة يجود حرف ابن مسعود، وكان أبو ليلى يجود حرف علي، وكان أبو إسحق يقرأ من هذا الحرف ومن هذا الحرف، وكان حمران يقرأ قراءة ابن مسعود، ولا يخالف مصحف عثمان، يعتبر معاني حروف عبد الله، ولا يخرج عن موافقة مصحف عثمان، وهذا كان اختياره[3].

وابن مسعود هو: عبد الله بن مسعود الهذلي، و هو المتلقّي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- والذي تنتهي إليه أسانيد قراءة حمزة، سواء أكان سند الأعمش، أم سند ابن أبي ليلى، أم سند حمران بن أعين، أم سند أبي إسحق السبيعي، أم سند طلحة، في أحد أسانيدها.

وقد جاء ذكر أسانيد هؤلاء القراء عند حديثنا عنهم في شيوخ الإمام حمزة.

---

[1] انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار،الذهبي ١/١٦٥-١٦٦،غاية النهاية في طبقات القراء،ابن الجزري ١/٤٢٣.

[2] تذكرة الحفاظ، الذهبي ١/٣٩١ - ٣٩٢.

[3] انظر: غاية النّهاية في طبقات القرّاء، ابن الجزري ١/٢٦١ - ٢٦٢.

من هذا يتبين أن قراءة حمزة، متواترة، متصلة السند بالنبيّ صلّى الله عليه وسلم، وهذا ما سلّم به علماء القراءات والمؤرخون، فعدّوها من القراءات السبع الصحيحة، المسلّم بتواترها وصحة اتّصال سندها برسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

وأخذ القراءة عن حمزة كثير من أعلام أئمة القراءة، سيّما وأنّ إمامة الإقراء في الكوفة قد انتهت إليه بعد عاصم والأعمش. ومن أشهر من أخذ القراءة عنه: خلف بن هشام البزّاز، وخلاد بن خالد الصيرفي وسليم بن عيسى، وسفيان الثوري، وعلي بن حمزة الكسائي، وإسحق الأزرق، والحسين بن علي الجعفي، و عبد الله بن صالح[2].

يقول إبراهيم بن أبي الأزرق: "كان حمزة يقرأ في الصلاة كما يقرأ، لا يدع شيئاً من قراءته، يذكر المدّ والهمز والإدغام"[3]. وسيأتي الحديث على منهجه هذا بالتفصيل عند الحديث عن الظّواهر الصوتيّة في قراءة حمزة (في الفصول الأربعة القادمة)، إن شاء الله.

موقف السلف من قراءة حمزة:

لقد اختلف السّلف في قراءة حمزة بين مثن عليها ، وهم كثر، ومعيب لها ، وهم قلّة، وسيأتي العرض – الآن– لأرائهم جميعاً، مع مناقشة من عابها، إذا جاز ذلك.

---

[1] ذكر علماء القراءات: أن القراءة الصحيحة يجب أن تتوافر فيها ثلاثة أركان كي تكون مقبولة صحيحة، يجوز الأخذ بها في الصلاة والتلاوة المتعبّد بها، وهذه الأركان: موافقة العربيّة ولو بوجه، وموافقة رسم أحد المصاحف العثمانيّة ولو احتمالاً، وصحّة سندها عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، وجعلوا هذا الأخير الشرط الأساسي في صحّة القراءة وقبولها. وقراءة حمزة من القراءات التي توافرت فيها جميع الشّروط، ولا سيّما الأخير، وهو صحة سندها عن رسول الله ،صلى الله عليه وسلم، (انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/١٠ – ١٣).

[2] تلاميذ حمزة هؤلاء، سبقت لهم التّرجمة عند الحديث عن تلاميذ حمزة باستثناء خلف وخلاد، وستأتي ترجمتها عند الحديث عن راويتي قراءة حمزة.

[3] السبعة في القراءات، ابن مجاهد ٧٨.

شهد له الإمام أبو حنيفة النّعمان بقوة حفظه وإتقانه للقراءة، قال: "شيئان غلبتنا عليهما لسنا ننازعك فيهما: القرآن والفرائض"[1].

وشهد له سفيان الثّوري بأنّه كان أميناً في نقله لقراءته، إذ لا يقرأ حرفاً من كلامه عزّوجل، إلاّ إذا صحّت روايته عن رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- حين قال: "ما قرأ حمزة حرفاً من كتاب الله إلاّ بأثر"[2]، وكان أستاذه الأعمش إذا رآه قد أقبل يقول: "هذا حبر القرآن"[3]، وكان شعيب بن حرب يقول لأصحاب الحديث: "ألا تسألون عن الدّر قراءة حمزة"[4].

وعن مندل قال: "إذا ذكر القرّاء فحسبك بحمزة في القراءة والفرائض"[5]، وقال عبد الله ابن سوس: "ما رأيت أحداً أقرأ من حمزة"[6].

وها هو ذا أسود بن سالم يقول: "سألت الكسائي عن الهمز والإدغام، الكم فيه إمام؟ قال: نعم، هذا حمزة يهمز ويكسر (أي يميل) وهو إمام من أئمة المسلمين، وسيّد القرّاء والزّهّاد، ولو رأيته لقرّت عينك به من نسكه"[7].

في حين أنّنا نجد أنّ الإمام أحمد بن حنبل قال: "أكره من قراءة حمزة الهمز الشّديد والإضجاع"[8]. وقال الساجي: "سمعت سلمة بن شبيب يقول: كان أحمد بن حنبل يكره أن يصلّي خلف من يقرأ بقراءة حمزة"[9].

---

[1] معجم الأدباء، ياقوت الحموي ١٢٢٠/٣، وغاية النّهاية في طبقات القراء، ابن الجزري ٢٦٣/١.

[2] تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، الذّهبي ٣٨٤/٩.

[3] غاية النّهاية في طبقات القرّاء، ابن الجزري ٢٦٣/١، ومعجم الأدباء، ياقوت الحموي ١٢١٩/٣.

[4] معجم الأدباء، ياقوت الحموي ١٢١٩/٣، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي ٣٨٥/٩.

[5] تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذّهبي ٣٨٥/٩.

[6] السابق ٣٨٥/٩.

[7] تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي ٣٨٤/٩، وانظر له أيضاً: سير أعلام النبلاء ٧٢/٧.

[8] معجم الأدباء، ياقوت الحموي ١٩٢/٣، وغاية النّهاية في طبقات القراء، ابن الجزري ٢٦٣/١.

[9] تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢٨/١.

قال زكريّا السّاجي: "قراءة حمزة عندنا بدعة، (يريد ما فيها من المدّ المفرط والسّكت، وتغيّر الهمز في الوقف والإمالة، وغير ذلك)"[1].

وكان يزيد ابن هارون، وعبد الرحمن بن مهدي، وعبد الله بن إدريس، وحمّاد بن زيد يكرهون قراءة حمزة، وينهون عنها[2].

ولكن إذا كان الإمام أحمد بن حنبل قد كره قراءة حمزة لما فيها من الهمز الشّديد والإضجاع، فلعلّ ذلك راجع إلى أنّ لهجته التي يتكلم بها لا تؤثر الإمالة ولا تحقيق الهمز، وليس معنى كراهيته لقراءة حمزة، رفضه لها وإنكارها بالكليّة، ولا سيّما أن الإمام أحمد بن حنبل كان يعد حمزة ثقة، وليس من المعقول أن يكون حمزة عند الإمام أحمد بن حنبل ثقة، وفي الوقت نفسه مرفوض القراءة.

وأمّا القول بأنّ قراءة حمزة بدعة، فهذا مرفوض بشهادة أمير المؤمنين في الحديث (سفيان الثّوري) عندما قال: "ما قرأ حمزة حرفاً من كتاب الله إلاّ بأثر"[3].

وها هو ذا ابن الجزري يكفينا الرّدّ على هذه الأقوال وغيرها يقول: "أمّا ما ذكر عن عبد الله بن إدريس، وأحمد بن حنبل من كراهة قراءة حمزة، فإنّ ذلك محمول على قراءة من سمعنا منه، ناقلاً عن حمزة، وما آفة الأخبار إلاّ رواتها"[4].

---

[1] ميزان الاعتدال في نقد الرّجال، الذهبي ٣٧٨/٢.

[2] السابق ٢٧٩/٢.

[3] وقال الذّهبي: يكفي حمزة شهادة مثل الإمام سفيان الثوري له. (انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٣٧٨/٢).

[4] غاية النّهاية في طبقات القرّاء، ابن الجزري ٢٦٣/١.

قال ابن مجاهد: "قال محمد بن الهيثم: والسبب في ذلك أن رجلا ممن على سليم (أي قرأ على سليم) حضر مجلس ابن إدريس، فقرأ، فسمع ابن إدريس ألفاظا فيها إفراط في المد، والهمز، وغير ذلك من التكلف، فكره ذلك بن إدريس، وطعن فيه"[1].

قال ياقوت الحموي: "حمزة كان يكره ذلك (أي الإفراط في المد والهمز وغير ذلك) وكان ينهى عنه"[2].

وقد ذهب ابن داود إلى حمل ما وجه إلى قراءة حمزة من طعن على تعصب البصريين على حمزة الكوفي، وهذا ما أقر به أبو الطيب اللغوي بقوله: "وأما عند البصريين فلا قدر له"[3]. يقول علي بن الحسين: "حدثنا محمد بن الهيثم، قال: قلت لعبد الله بن داوود: إن بعض الناس يكره قراءة حمزة أو نحو هذا، فقال ابن داود: سمعت كلام هؤلاء البصريين من كان أعلم من حمزة بعلمها وعلتها"[4].

وقوله: سمعت كلام هؤلاء البصريين يعني: أن مثل هذا القول يقوله البصريون تعصبا على حمزة الكوفي.

ولعل ابن داود قد بنى كلامه على ما قاله أبو حاتم (البصري): "وإنما أهل الكوفة يكابرون فيه ويباهتون، فقد صيره الجهال من الناس شيئا عظيما بالمكابرة والبهت، وقول ذوي اللحى العظام منهم: "كانت الجن تقرأ على حمزة" قال: والجن لم تقرأ على ابن مسعود والذين بعده، فكيف خصت حمزة بالقراءة عليه! وكيف يكون رئيسا وهو لا يعرف الساكن من

---

[1] السبعة في القراءات، ابن مجاهد ٧٧.

[2] معجم الأدباء، ياقوت الحموي ١٢٢٠/٣٠.

[3] مراتب النحويين، أبو الطيب اللغوي ٥٢.

[4] السبعة في القراءات، ابن مجاهد ٧٧.

المتحرك، ولا مواضع الوقف والاستئناف، ولا مواضع القطع والوصل والهمز! وإنّما يحسن مثل هذا أهل البصرة، لأنّهم علماء بالعربيّة، قرّاء رؤساء"[1].

والحقيقة أن ما ذهب إليه ابن داود في اعتباره الطعن الذي وجّه لقراءة حمزة، من باب تعصّب البصريين على حمزة لأنّه كوفي، لا يمكن أن يعوّل عليه كل ما وجّه لقراءة حمزة من طعن.

فقول أبي حاتم: إنما أهل الكوفة يكابرون فيه ويباهتون، فقد صيّره الجهّال من النّاس شيئاً عظيماً بالمكابرة والبهت، وقول ذوي اللحى العظام منهم: كانت الجنّ تقرأ على حمزة، وقوله: والجنّ لم تقرأ على ابن مسعود والذين بعده، فكيف خصّت حمزة بالقراءة عليه! وقوله: وإنما يحسن مثل هذا أهل البصرة، لأنهم علماء بالعربيّة، قرّاء رؤساء. قد يؤخذ من باب التعصّب البصري لأنّه يتضمن نفي العلم عنه، ونسبته للبصريين.

ولكن أبا حاتم قال: "وكيف يكون رئيساً وهو لا يعرف السّاكن من المتحرّك، ولا مواضع الوقف والاستئناف، ولا مواضع القطع والوصل والهمز". وقوله هذا يتعلق بما في قراءة حمزة من ظواهر لغويّة شكّلت منهجه في القراءة، وهذه الظّواهر -وإن عيبت من باب التعصّب- قد عابها عليه آخرون من الكوفيين (من أتباع المدرسة الكوفيّة)، الأمر الذي يجعلنا نتيقّن أن ما وجّه لقراءة حمزة من طعن إنّما كان لمنهج حمزة في قراءته، الذي وصف بالتكلّف الشّديد في المدّ، والهمز، والسكت، والإمالة، وغير ذلك، والذي حمل -كما جاء سابقاً- على قراءة من سمع عنه ناقلاً عن حمزة، وما أفة الأخبار إلاّ رواتها.

والحقيقة أنّ لحمزة منهجاً لا يتجاوزه، ولا يعلو به من قمّة الإتقان إلى التّجاوز فيبدو قبيحاً؛ وهذا ما وقع فيه من رووا عنه. ويوضّح حمزة هذا الجانب قائلاً:

---

[1] مراتب النّحويين، أبو الطيب اللغوي ٢٧.

"إنّ لهذا التحقيق حدّاً ينتهي إليه، ثم يكون قبيحاً، أما علمت أنّ ما فوق البياض فهو برص، وما فوق الجعودة فهو قطط، وما فوق القراءة فهو ليس بقراءة"[1].

وقال رجل لحمزة: "يا أبا عمارة، رأيت رجلاً من أصحابك همز حتّى انقطع زرّه، فقال: لم آمرهم بهذا كلّه"[2].

وروي عن حمزة أنّه قال: "إنّما الهمز رياضة، فإذا أحسنها الرّجل سهلها"[3].

قال إسماعيل بن زياد: "قال حمزة: رأيت النبيّ -صلى الله عليه وسلم- في منامي، فقلت: يا رسول الله، قد قرأت القرآن، أأقرأه عليك؟ فقرأت عليه القرآن من أوّله إلى آخره، فقال: كما أنزل عليّ"[4].

فدلّ قوله -صلى الله عليه وسلّم-: "كما أنزل عليّ" على صحّة قراءة حمزة وجهل من يلحنه فيها ويردّ عليه، لأنّه كان متتبعاً لمن أخذ عنه -كما تقدّم- ممن قد اتّصل إسناده برسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن ردّ عليه، فإنّما يردّ على من قرأ عليه وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكفى بذلك إثماً عظيماً، وجهلاً مبيناً[5].

وأخيراً، فقد استقرّ الحال، وانعقد الإجماع بأخره على تلقّي قراءة حمزة بالقبول، والإنكار على من تكلم فيها[6]، ويكفينا في هذا ما قاله حمزة: ما قرأت حرفاً قط إلاّ بأثر[7]. وشهد به الإمام سفيان الثّوري.

---

[1] معجم الأدباء، ياقوت الحموي ١٢٢٠/٣، ومعرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار، الذّهبي ١١٥/١.

[2] تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذّهبي ٣٨٥/٩.

[3] السابق، الصفحة نفسها.

[4] التذكرة في القراءات، طاهر بن غلبون، المجلّد الأوّل ٤٨.

[5] السابق، المجلد الأول ٤٩.

[6] انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرّجال، الذّهبي ٣٧٨/٢.

[7] السبعة في القراءات، ابن مجاهد ٧٦.

راويا قراءته:

أمّا في ما يتعلّق برواة قراءة حمزة، فقد اصطلح علماء القراءات على أنّ لكل قارئ راويتين يقرأن باختياره، ويعلمان قراءته للنّاس، وقد أجمع المؤرخون على أنّ راويتي قراءة حمزة هما: خلف، وخلّاد، وإن لم يأخذا عنه القراءة مباشرة، إذ رواياها عن طريق تعلّمها من أخصّ تلاميذه وهو سليم بن عيسى، الذي كان أحذق تلاميذ حمزة بقراءته[1].

قال الشاطبي:

وَحَمْزَةُ مَا أَزْكَاهُ مِنْ مُتَوَرِّعٍ ... إِمَامًا صَبُورًا لِلْقُرْآنِ مُرَتِّلاَ

رَوَى خَلَفٌ عَنْهُ وَخَلاَّدٌ الَّذِي ... رَوَاهُ سَلِيمٌ مُتْقِنًا وَمُخَصِّلاَ[2].

وقد سبق الحديث عن سليم بن عيسى عند الحديث عن تلاميذ حمزة، وسيأتي الحديث - الآن- عن خلف، وخلاد:

خلف بن هشام

هو خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف بن ثعلب بن هشيم بن ثعلب بن داود بن مقسم بن غالب، أبو محمد الأسدي، ويقال: خلف بن هشام بن طالب بن غراب، أبو محمد البزّار، الإمام العالم البغدادي[3].

أحد القرّاء العشرة، وأحد الرّواة عن سليم عن حمزة. ولد سنة خمسين ومائة، وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين. أخذ القرآن عرضاً عن: سليم بن عيسى، وعبد الرحمن بن أبي حمّاد عن حمزة، ويعقوب بن خليفة الأعشى، وابن زيد: سعيد بن أوس عن المفضل الضبّي.

---

[1] انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/١٦٠ و ١٦٥.

[2] سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح ١٢.

[3] غاية النّهاية في طبقات القراء، ابن الجزري ١/٢٧٢.

وروى الحروف عن إسحق المسيبي، وإسماعيل بن جعفى، وعبد الوهاب بن عطاء، ويحيى بن آدم .... وسمع من الكسائي الحروف، ولم يقرأ عليه القرآن. وروى القرآن عنه كثيرون: أحمد ابن إبراهيم وراقة، وأخوه إسحق بن إبراهيم، وإبراهيم بن علي القصار[1].

قال ابن أشته: كان خلف يأخذ بمذهب حمزة، إلاّ أنّه خالفه في مائة وعشرين حرفاً. قلت: يعني في اختياره[2].

كان خلف شديد الطلب للعلم، محبّاً للنّحو، حتّى أشكل عليه باب في النّحو، فأنفق فيه ثمانين ألف درهم حتّى حفظه أو عرفه، وكان ثقة، كبيراً، زاهداً، عالماً[3].

جاء في التهذيب: "وقد شهد له بحسن الخلق وقوّة الحفظ وأمانة النّقل. قال عنه ابن حبان: كان خيراً فاضلاً، عالماً بالقراءات، قال النّسائي: بغدادي ثقة، وقال الدّارقطني: كان عابداً فاضلاً، وقال ابن حجر: هو إمام في القراءات، وله اختيار حمل عنه، متقدّم في رواية الحديث، صاحب سنّة، ثقة، مأمون"[4].

جاء في سير أعلام النبلاء: "قال الحسن بن فهيم: ما رأيت أنبل من خلف بن هشام، كان يبدأ بأهل القرآن، ثمّ يأذن لأصحاب الحديث، وكان يقرأ من حديث أبي عوانة خمسين حديثاً، وحدّث عنه مسلم في صحيحه، وأبو داود في سننه، وله اختيار في الحروف، ثابت ليس بشاذ أصلاً، ولا يكاد يخرج فيه عن القراءات السبع، وأخذ عنه خلق لا يحصون[5].

توفي في جمادى الأخرة سنة تسع وعشرين ومائتين ببغداد، وهو مختفٍ من الجهميّة[6].

---

[1] غاية النهاية في طبقات القراء،ابن الجزري ١/٢٧٢ - ٢٧٣.

[2] السابق ١/٢٧٤.

[3] السابق ١/٢٧٣.

[4] تهذيب التّهذيب، ابن حجر العسقلاني ٣/١٥٦ - ١٥٧.

[5] سير أعلام النبلاء، الذهبي ١٠/٥٧٧ - ٥٧٩.

[6] غاية النّهاية في طبقات القرّاء، ابن الجزري ١/٢٧٤.

خلاّد بن خالد

هو خلاد بن خالد، أبو عيسى، وقيل: أبو عبد الله الشيباني مولاهم الصيرفي الكوفي[1].

أخذ القراءة عرضاً عن سليم، وهو من أضبط أصحابه وأجلهم. وروى القراءة عن: حسين بن علي الجعفي عن أبي بكر، وعن أبي بكر نفسه عن عاصم، وعن أبي جعفر محمد بن الحسن الرواسي. وروى القراءة عنه عرضاً: أحمد بن يزيد الحلواني، وإبراهيم بن علي القصار، وإبراهيم بن نصر الرّازي، وحمدون بن منصور، وسليمان بن عبد الرحمن الطلحي، وعلي بن حسين الطبراني، وعلي بن محمد الفضل[2].

وهو إمام في القراءة، ثقة، عارف، محقق، أستاذ، متقن، مجوّد[3].

توفي سنة عشرين ومائتين[4].

---

[1] غاية النهاية في طبقات القراء،ابن الجزري ١/٢٧٤.

[2] السابق ١/٢٧٥.

[3] السابق ١/٢٧٤.

[4] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/١٦٦.

الفصل الثاني

المماثلة

- تعريف المماثلة.
- أقسام المماثلة.
- أشكال المماثلة.
- المماثلة في قراءة حمزة:

أولاً: مماثلة الحركات.

ثانياً: مماثلة الصوامت.

تعريف المماثلة:

يقوم النظام اللغوي لأية لغة، على مجموعة الأصوات المفردة التي تأتلف في مجموعات من المقاطع الصوتية؛ لتؤلف الكلمات التي تتكون منها الجمل والعبارات. ولما كان لكل صوت من هذه الأصوات سماته الخاصة التي تميزه من غيره من الأصوات، فإن طبيعة اللغة واتصال أصواتها يقتضيان تأثر هذه الأصوات بعضها ببعض. فحين ينطق المرء بلغته نطقاً طبيعياً لا تكلف فيه، فإن أصوات الكلمة قد يؤثر بعضها في بعض، كما نلحظ أن اتصال الكلمات في النطق المتواصل قد يخضع أيضاً لهذا التأثر. فتجاور الأصوات هو السر في ما قد يصيب بعض الأصوات من تأثر. وهذا التأثر ظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة، غير أن الاختلاف بين اللغات يكمن في نسبة هذا التغير ونوعه[1].

ولا ريب في أن عملية الاقتصاد في الجهد العضلي هدف مقصود للناطقين باللغة، فإذا تواءمت الأصوات المتجاورة مخرجاً وصفة سهل نطقها، وتحققت لها السلاسة و الانسجام، فلا يتناول التغير شيئاً منها. أما إذا كانت متنافرة، فإن جهاز النطق يتعثر في النفوه بها، وهنا يلزم نوع من التغير في بعض تلك الأصوات ليمكن النطق بها دون معاناة أو نفور[2]. ومن ناحية أخرى فإن تجاور الأصوات المتماثلة قد يؤدي إلى عدم الانسجام، وبالتالي تعثر جهاز النطق في النفوه بها، فيلزم هنا نوع أخر من التغير في بعض تلك الأصوات لإحداث الانسجام الصوتي الذي يزيل النفور أو المعاناة في نطقها.

فإذا كان النطق بالأصوات المتجاورة أمراً صعباً يستلزم جهداً كبيراً يرافقه عدم انسجام، لجأ أهل اللغة إلى الطريق المؤدية إلى السهولة التي تحقق الانسجام، ويكون هذا بإحدى

---

(1) انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ١٧٨، وأصوات اللغة العربية، د. عبد الغفار حامد هلال ٢٣٠.

(2) أصوات اللغة العربية، د. عبد الغفار حامد هلال ٢٣٠

ملاحظتهم. وكان هذا عند دراستهم لموضوعات الإبدال، و الإدغام، و القلب، و التفخيم، و الإمالة و غير ذلك. ومن هذه المصطلحات: المقاربة، والتقريب، والمضارعة، والتشاكل، والتجانس.

يقول سيبويه عند حديثه عن الإدغام: "هذا باب الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد"[1]، ويقول في موضع آخر: "هذا باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه، والحرف الذي يضارع ذلك الحرف وليس من موضعه"[2]، وقال أيضاً: "وإنما أصل الإدغام في حروف الفم واللسان؛ لأنها أكثر الحروف. فلما صارت مضارعة للثاء لم تدغم في حرف من حروف الطرفين"[3]. ومثل هذا ما جاء عند ابن جني، عند حديثه عن الإدغام، حين قال: "قد ثبت أن الإدغام المألوف المعتاد إنما هو تقريب صوت من صوت"[4].

وقد جاء في لسان العرب أن "ماثل" يعني "ضارع" أو "شابه" "والمضارع: المشبه: المشابهة: والمضارعة للشيء: أن يضارعه كان مثله أو شبهه"[5].

وسيعرض الباحث لجهود المتقدمين ومعارفهم في هذا النوع من التأثرات الصوتية، بين الأصوات المتجاورة، عند الحديث عن أشكال المماثلة.

أما المحدثون من علماء اللغة والأصوات، فقد توسعوا في بحث هذه الظاهرة، معتمدين في ذلك على الملاحظة الذاتية، وعلى ما هيأته لهم النظم التكنولوجية المتطورة من أجهزة ومختبرات للبحث الصوتي، فجعلوا لها أقساماً وأشكالاً كثيرة، وفصلوا القول في بيان هذه

---

[1] الكتاب، سيبويه ٤/٤٤٥.

[2] السابق ٤/٤٧٧.

[3] السابق ٤/٤٤٨.

[4] الخصائص، ابن جني ٢/١٤٠.

[5] لسان العرب، مادة ضرع.

الأقسام والأشكال. وقد كانت جهود القدماء وبحوثهم في هذا المضمار الأساس الذي بنى عليه المحدثون دراساتهم لهذه الظاهرة.

عند حديثه عن المماثلة يقول الدكتور إبراهيم أنيس: "والأصوات في تأثرها تهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة بينها، ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات أو المخارج. ويمكن أن يسمى هذا التأثر بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة"[1]، فهي عنده نوع من التشابه بين الأصوات المتجاورة في الصفات والمخارج، يؤدي إلى الانسجام الصوتي بين هذه الأصوات. وهو بهذا يقر بذلك التأثر والتأثير، بين هذه الأصوات في سعيها للمماثلة والمشابهة. وهذا ما يتفق عليه علماء اللغة المحدثون جميعهم ويقرونه.

يقول الدكتور أحمد مختار عمر في تعريف المماثلة: "تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور"[2]، ويذكر في ما نقله من تعريفات لها بأنها: "التعديلات التكيفية بسبب مجاورته -ولا نقول ملاصقته- لأصوات أخرى"[3]، أو هي: "تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة، إما تماثلا جزئيا أو كليا"[4]. ويعرفها الدكتور محمد الخولي بأنها: "تعديل صوت ليصبح أكثر تماثلا مع صوت يجاوره"[5]. وهي عند الدكتور عبد الصبور شاهين تقارب بين الأصوات المتجاورة، يقول: "فكلما اقترب صوت من صوت آخر، اقتراب كيفية أو مخرج، حدثت مماثلة، سواء ماثل أحدهما الآخر أو لم يماثله"[6].

---

[1] الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ١٧٨.

[2] دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر ٣٢٤.

[3] السابق، الصفحة نفسها.

[4] السابق، الصفحة نفسها.

[5] معجم علم الأصوات، الدكتور محمد الخولي ١٦٢.

[6] علم الأصوات، برتيل مالمبرج، تعريب الدكتور عبد الصبور شاهين ١٤١.

ويعرفها الدكتور سمير ستيتية بأنها: "تأثر صوت بصوت مجاور، بحيث يكتسب منه بعض خصائصه وصفاته النطقية، أو يفقد الصوت المتأثر بعض خصائصه الأصيلة، ليماثل بذلك أحد الأصوات المجاورة"[1].

ويمكن أن نخلص من هذه التعريفات التي لا يتعدى اختلافها الشكل إلى المضمون، إلى أن المماثلة تعني: التأثر الذي يحدث بين الأصوات المتجاورة، في الكلمة أو السلسلة الكلامية، لاختلافها في المخارج أو الصفات. وهو تأثر فقد أو اكتساب، يفقد فيه الصوت المتأثر بعضاً من صفاته، أو يكتسب بعض صفات الصوت المؤثر ليماثله، تخفيفاً للجهد العضلي، أو تحقيقاً للانسجام، أو محافظة على الإيقاع، أو لتحقيق ذلك كله. وتقع المماثلة بين صامت وصامت، أو حركة وحركة، أو حركة وصامت، كما تقع بين صامت ونصف حركة، أو حركة ونصف حركة.

وتبرز المماثلة بشكل خاص في دراسة النظم الصوتية، لكونها تشكل أهم الظواهر الصوتية على الإطلاق، إذ تشمل معظم التغيرات الصوتية التي تطرأ على الأصوات المتجاورة في النسق الكلامي.

أقسام المماثلة:

لاحظ المحدثون من علماء اللغة والأصوات، أن هذا الشكل من أشكال التأثر والتأثير بين الأصوات المتجاورة، قد يقع من صوت سابق على صوت لاحق، وقد يحدث العكس، بأن يقع من صوت لاحق على صوت سابق. كما لاحظوا أن هذه الأصوات المتجاورة (المؤثرة والمتأثرة) قد تكون متلاصقة في تجاورها لا يفصل بينها فاصل، وقد تكون غير متلاصقة،

---

[1] تحليل الظواهر الصوتية في قراءة ابن كثير، د. سمير ستيتية، مجلة جامعة أم القرى، العدد التاسع ١٦٦.

فيفصل بينها فاصل صائتاً كان أم صامتاً. وهذا بالإضافة إلى ما قد لاحظوه من اختلاف في درجة التأثر الذي لا يتعدى في بعض الأحيان الصفة الواحدة، في حين أنه قد يصل إلى أبعد من ذلك، فيطابق الصوت المتأثر الصوت المؤثر مطابقة تامة.

ولهذا عمدوا إلى تقسيم المماثلة وبناء على أسس ثلاث،إلى ستة أقسام. وهذه الأسس هي: مدى التجاور بين هذه الأصوات،واتجاه التأثير،وقوته أو درجته.

أولاً: مدى التجاور

قسم العلماء المماثلة بهذا الاعتبار إلى قسمين: مباشرة وغير مباشرة.

أ. المماثلة المباشرة[1]: وتدعى بالتجاورية[1]، أو المتقاربة أو الحقيقية[2]، أو المتصلة[4]. وفي هذا النوع من المماثلة يؤثر الصوت في الصوت الذي يجاوره أو يتاخمه دون فاصل بينهما، سواء أكان الفاصل صائتاً أم صامتاً. قال الدكتور محمد الخولي: " وهي مماثلة يكون فيها الصوت المؤثر مجاوراً تماماً للصوت المتأثر، أي لا يفصلهما صوت ثالث"[5]. ومن ذلك مماثلة لام التعريف في كلمة "الدنيا" الدال، إذ تحولت اللام إلى دال لمماثلة الدال التي تجاورها. وهما في تجاورهما لم يفصل بينهما فاصل من صائت أو صامت. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

---

(1) دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر ٣٢٥، وتحليل الظواهر الصوتية في قراءة ابن كثير، د. سمير ستيتية ١٦٦.

(2) الأصوات اللغوية، د. محمد الخولي ٢١٩.

(3) الصوتيات، برتيل مالمبرج ١١٨.

(4) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، د. فوزي الشايب ١٨٥.

(5) الأصوات اللغوية، د. محمد الخولي ٢١٩، وانظر: دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر ٣٢٥، والصوتيات، برتيل مالمبرج ١١٨، وتحليل الظواهر الصوتية في قراءة ابن كثير، د. سمير ستيتية ١٦٦، وأثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، د. فوزي الشايب ١٨٦.

الدنيا ← ادّنيا

Aldunyá ← Addunyá

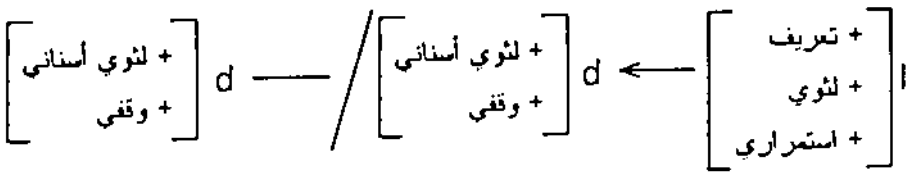

لام التعريف / l / تصبح دالاً [d] في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالدال / d/. والمماثلة مباشرة.

وقد أثرت الدال في اللام، فحولتها من صوت لثوي استمراري، إلى صوت لثوي أسنانى وقفي لتماثلها.

ب. المماثلة غير المباشرة[1]: وتدعى بالتباعدية[2]، أو المتباعدة، أو المتأخرة[3]، أو المنفصلة[4]. وهي المماثلة التي يفصل فيها بين الصوتين المتماثلين صوت ثالث أو أكثر، والصوت الفاصل قد يكون صامتاً، وقد يكون صائتاً، وقد يكون الاثنين معاً. يقول الدكتور محمد الخولي: "وهي مماثلة يكون فيها الصوت المؤثر مفصولاً عن الصوت المتأثر بصوت أو أكثر"[5]. ومن ذلك مماثلة السين للطاء في كلمة "يبسط"، إذ تحولت السين إلى صاد

---

(1) دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر ٣٢٥، وتحليل الظواهر الصوتية في قراءة ابن كثير، د. سمير ستيتية ١٦٧.

(2) الأصوات اللغوية، د. محمد الخولي ٢٢٠.

(3) الصوتيات، برتيل مالمبرج ١١٩.

(4) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، د. فوزي الشايب ١٨٦.

(5) الأصوات اللغوية، د. محمد الخولي ٢٢٠، وانظر: دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر ٣٢٥، والصوتيات، برتيل مالمبرج ١١٩، وتحليل الظواهر الصوتية في قراءة ابن كثير، د. سمير ستيتية ١٦٧، وأثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، د. فوزي الشايب ١٨٥-١٨٦.

باكتسابها صفة الإطباق من الطاء مع وجود فاصل بينهما، وهما صوتا (الـــراء والألـــف).

ويمكن تحليل ذلك فونولوجيا كالآتي:

يبسط ← يبصط

Yabsuṭ ← Yabṣuṭ

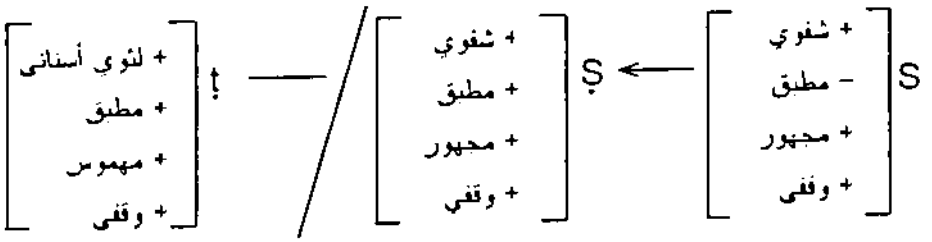

السين /S/ تصبح صادا [ṣ] في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالطاء / ṭ/. والمماثلـــة غير مباشرة.

والصاد هي النظير المطبق للسين، فعندما اكتسبت السين صفة الإطبـــاق مـــن الطـــاء أصبحت صادا.

ثانيا: اتجاه التأثير

تقسم المماثلة بالنظر إلى اتجاه التأثير إلى قسمين: تقدمية ورجعية.

أ. المماثلة التقدمية[1]: وتدعى بالمتقدمة[2]، أو المقبلة[3]. وتكون بأن يؤثر صوت في صـــوت لاحق، فيكون اتجاه التأثير إلى الأمام. يقول الخولي: "وهي مماثلة يتجه فيـــها التـــأثير إلـــى الأمام. وهذا يعني أن صوتا ما يكون مكيفاً مؤثرا والصوت اللاحق متكيفا متأثرا"[4]. ومـــن

---

[1] الأصوات اللغوية، د. ابراهيم أنيس ١٨٠، ودراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمـــر ٣٣٣، وتحليـــل الظواهر الصوتية في قراءة ابن كثير، د. سمير ستيتية ١٦٦-١٦٧.

[2] الصوتيات، برتيل مالمبرج ١١٨.

[3] التطور النحوي للغة العربية، برجستراسر ١٨، وأثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربيـــة، د. فـــوزي الشايب ١٨٥.

[4] الأصوات اللغوية، د. محمد الخولي ٢١٩، وانظر: التطـــور النحـــوي للغـــة العربيـــة، برجستراســـر ١٨، والأصوات اللغوية، د. ابراهيم أنيس ١٨٠، ودراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر ٣٣٣، والصوتيـــات، برتيل مالمبرج ١١٨، وتحليل الظواهر الصوتية في قراءة ابن كثير، د. سمير ستيتية ١٦٦-١٦٧، وأثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، د. فوزي الشايب ١٨٥.

ذلك تحول فاء الافتعال في وزن "افتعل" دالاً في كلمة "ازدان". إذ تحولت التاء في "ازتان" إلى دال لمماثلة الزاي، فأصبحت الكلمة "ازدان"، فأثر الصوت السابق في الصوت اللاحق. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

ازتان ← ازدان

iztán ← izdán

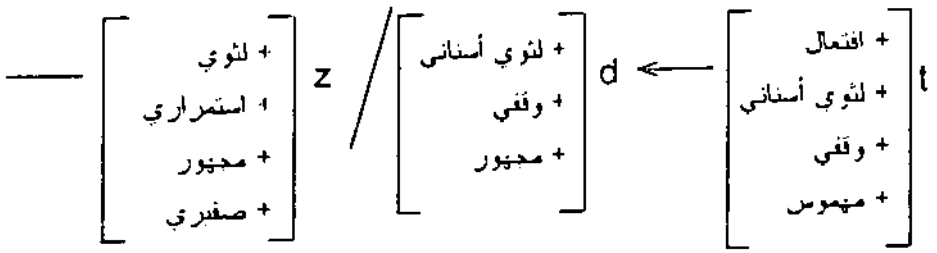

تاء الافتعال /t/ تصبح دالاً [d] في الموقع الذي تكون فيه مسبوقة بالزاي /z/. والمماثلة تقدمية مباشرة.

فأثرت الزاي في التاء وأكسبتها صفة الجهر. ولما كانت الدال هي النظير المجهور للدال فإن التاء تحولت إلى دال.

ب. **المماثلة الرجعية**[1]: وتدعى بالتوقعية أو الراجعة[2] أو المدبرة[3]. وهي التي يؤثر فيها صوت لاحق في صوت سابق له، فيكون اتجاه التأثير إلى الخلف. يقول الخولي: "وهي مماثلة يتجه فيها التأثير إلى الخلف. وهذا يعني أن صوتاً ما يؤثر في صوت سابق، فيكون الصوت اللاحق مكيفاً مؤثراً، والصوت السابق متكيفاً متأثراً"[4]. ومن ذلك تحول النون في

---

[1] الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ١٨٠، ودراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر ٣٣٣، والأصوات اللغوية، د. محمد الخولي ٢١٩، وتحليل الظواهر الصوتية في قراءة ابن كثير، د. سمير ستيتية ١٦٧.

[2] الصوتيات، برتيل مالمبرج ١١٨.

[3] التطور النحوي للغة العربية، برجستراسر ١٨، وأثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، د. فوزي الشايب ١٨٥.

[4] الأصوات اللغوية، د. محمد الخولي ٢١٩، وانظر: الأصوات اللغوية، د. ابراهيم أنيس ١٨٠، ودراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر ٣٣٣، والتطور النحوي للغة العربية، برجستراسر ١٨،

قولنا " وَمِنۢ بَعۡدُۚ "[1] لمماثلة الباء، فقد أثرت الباء في النون، وحولتها إلى ميم، فأثر صوت لاحق في صوت سابق. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

من بعد ← ممبعد

Minba?d ← Minba?d

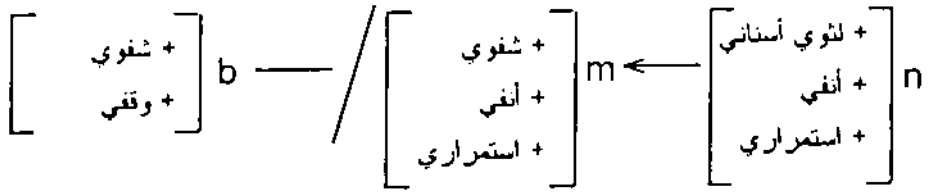

النون /n/ تصبح ميماً [m] في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالباء /b/. والمماثلة رجعية مباشرة.

فالميم صوت استمراري، ينتج من انغلاق الشفتين وخروج الهواء من الأنف. ولما كانت النون صوتاً استمرارياً ينتج من انغلاق مجرى الفم بانطباق اللسان على اللثة والأسنان، وخروج الهواء من الأنف، فلما أغلقت الشفتان تحولت إلى ميم لتأثرها بالباء التي أكسبتها صفة الشفوية، إذ إن الفرق بين النون والميم هو في المكان الذي يغلق فيه مجرى الهواء في الفم.

هذا وقد أشار برجستراسر في كتابة التطور النحوي للغة العربية، وبالنظر إلى اتجاه التأثير، إلى نوع ثالث من المماثلة سماه المتبادلة، قال: "وينقسم (التشابه) من جهة أخرى إلى مقبل ومدبر ومتبادل"[2]، وساق لها مثالاً كلمة "ادّكر"، إذ قال: "ومثال التشابه المتبادل كلمة "ادّكر؛ فإن فاء الفعل (أي الذال) وتاء الافتعال تشابهتا، واستبدلتا بحرف ثالث مخالف لهما جميعاً، وهو الدال"[3].

---

[1] سورة الروم: ٤.

[2] التطور النحوي للغة العربية، برجستراسر ١٨.

[3] السابق ١٩.

ويبدو للباحث أن هذا النوع من التماثل، والذي سماه برجستراسر بالمتبادل، ما هـــو إلا نوع من المماثلة التي تمر فيها الكلمة بمرحلتين، قبل أن تصل إلى الصورة التي هـــي عليـــها، تمثل كل مرحلة منهما نوعاً من نوعي المماثلة السابقين (التقدمية والرجعية). فكلمة "ادّكر" مرت بمرحلتين قبل أن تصل إلى هذا الشكل، المرحلة الأولى: تحول تاء الافتعال دالاً بتأثير الـــذال، فتحولت "اذتكر" إلى "اذدكر"، إذ أثرت الذال في التاء، وأكسبتها صفة الجهر، وحولتها إلـــى دال. وهذه مماثلة تقدمية، أثر فيها صوت سابق في صوت لاحق. ويمكن تحليـــل ذلـــك فونولوجيـــاً كالآتي:

اذتكر ← اذدكر

Iḏtakar ← Iḏdakar

$$t \begin{bmatrix} +\text{افتعال} \\ +\text{لثوي أسناني} \\ +\text{وقفي} \\ +\text{مهموس} \end{bmatrix} \longrightarrow d \Big/ \begin{bmatrix} +\text{لثوي أسناني} \\ +\text{وقفي} \\ +\text{مجهور} \end{bmatrix} __ \begin{bmatrix} +\text{بين أسناني} \\ +\text{استمراري} \\ +\text{مجهور} \end{bmatrix} ḏ$$

تاء الافتعال /t/ تصبح دالاً [d] في الموقع الذي تكون فيه مسبوقة بالذال [ḏ]. والمماثلة تقدمية مباشرة.

فلما كانت الدال هي النظير المجهور للتاء، فإن التاء باكتسابها صفة الجهر مـــن الـــذال تحولت إلى دال.

أما المرحلة الثانية، فهي تحول الذال إلى دال لمماثلتها، فتحولت "اذدكر" إلى "إدّكر"، فقد أثرت الدال في الذال، وأكسبتها صفة الوقف فحولتها إلى دال. وهذه مماثلة رجعيـــة أثـــر فيـــها صوت لاحق في صوت سابق. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

اذدكر ← ادّكر

Iḏdakar ← Iddakar

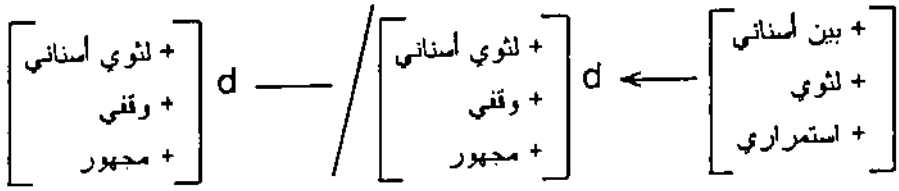

الذال /ḏ/ تصبح دالاً [d] في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بـــالدال / d/. والمماثلـــة رجعية مباشرة.

فتأثير الدال في الذال كان بتحويلها من صوت استمراري إلى صوت وقفـــي، وانتقـل مخرجها على أثر ذلك من بين الأسنان إلى طرف اللثة والأسنان، وهذه هي سمات صوت الدال، لذلك أصبحت الذال دالاً.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن المماثلة لا تقتصر على تأثر صوت بصوت مجاور ســـابق أو لاحق وحسب، بل نجد أن الصوت قد يتأثر بصوتين معاً سابق ولاحق، فتكون المماثلة تقدمية ورجعية في آن، وقد تنبه إلى هذا برتيل مالمبرج في كتابة الصوتيات، فقسم المماثلة بالنظر إلى اتجاه التأثير إلى ثلاثة أقسام: راجعة، ومتقدمة، ومزدوجة، وهي التي يكون فيها التأثير مزدوجـاً رجعياً وتقدمياً. يقول: "والمماثلة إما راجعة (أو توقعية)، وتعني أن صوتاً أثر على صوت سابق له، أو متقدمة، وتعني أن صوتاً أثر على صوت تالٍ له، أو مزدوجة حين يضـــاهي الصـــوت صوتين محيطين به"[1]، ويمثل لذلك بالحركة حين تصبح أنفية لوقوعها بين ساكنين أنفيين[2].

فعند نطقنا لصوت التهجي (م)، على سبيل المثال، فإن الكسرة الطويلة (ياء المد) تصبح مؤنفة، وذلك لوقوعها بين صوتين أنفيين. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

ميم

---

[1] الأصوات، برتيل مالمبرج ١١٨.

[2] انظر: السابق، الصفحة نفسها.

Mim

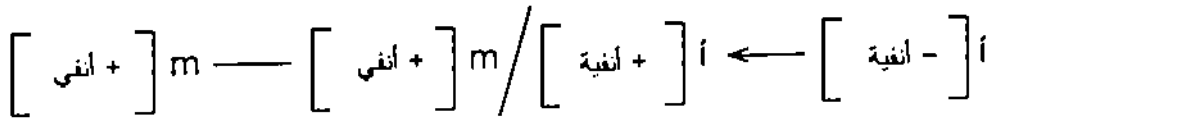

الكسرة الطويلة /أ/ تصبح أنفية في الموقع الذي تكون فيه مسبوقة بالميم /m/ ومتبوعة بالميم. والمماثلة مزدوجة (تقدمية ورجعية).

ثالثاً: قوة التأثير و درجته

وتقسم المماثلة بهذا الاعتبار إلى قسمين: جزئية وكلية.

أ. المماثلة الجزئية: وهي التي يتحول فيها الصوت المتأثر، إلى صوت يماثل الصوت المؤثر في بعض الصفات، لكن لا يطابقه تماماً. يقول الدكتور الخولي في تعريفها: "وهي أن يتعدل صوت جزئياً ليماثل صوتاً آخر"[1]. ومن ذلك المماثلة في بعض الأمثلة السابقة، كالمماثلة في "سراط" و "ازدان" و "ميم" و "من بعد". ففي هذه الأمثلة وشبيهها تحول الصوت المتأثر إلى صوت قريب من الصوت المؤثر ومماثل له في بعض الصفات، لكنه لم يطابقه تماماً، فالسين في "سراط" تحولت إلى صاد لتماثل الطاء، لكنها لم تصبح طاءً، كما أن تاء الافتعال في "ازتان" تحولت إلى دال لتماثل الزاي، لكنها لم تصبح زايا، وياء المد في "ميم" تحولت إلى أنفية لتماثل الميم، لكنها لم تصبح ميماً. وكذلك الحال في "من بعد" فتحولت النون إلى ميم لتماثل الباء، لكنها لم تصبح باء.

ب. المماثلة الكلية: وهي التي يطابق فيها الصوت المتأثر الصوت المؤثر، إذ يماثله في صفاته جميعها. يقول الدكتور ابراهيم أنيس: "وَأَقْصى ما يَصِلُ إِلَيْهِ الصَّوْتُ في تَأَثُّرِهِ بِما يُجاوِرُهُ

---

[1] الأصوات اللغوية، د. محمد الخولي ٢٢٠، وانظر: دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر ٣٢٥، والتطور النحوي للغة العربية، برجستراسر ١٨، والمنهج الصوتي للبنية العربية، د. عبد الصبور شاهين ٢٠٦.

أَنْ يَفْنى في الصَّوْتِ المُجاوِرِ"[1]. ويسميها الخولي "المماثلة التامة" ويقول في تعريفها: "وهي أن يتعدل صوت ليماثل آخر مماثلة كاملة، أي أن يتحول الصوت المتأثر إلى مثيل الصوت المؤثر"[2]، وهذا ما اصطلح القدماء على تسميته بالإدغام ،ومثال ذلك المماثلة في كلمة "الدنيا" و "اذدكر" عندما تحولت إلى "ادّكر". ففي هذين المثالين وشبههما تحول الصوت المتأثر في مماثلته للصوت المؤثر إلى صوت مطابق تماماً لهذا الصوت المؤثر، فلام التعريف في "الدنيا" تحولت إلى دال لتماثل الدال التي بعدها، كما تحولت الذال في "اذدكر" إلى دال لتماثل الدال التي تلتها.

أشكال المماثلة:

يتضح مما سبق أن التأثر والتأثير الذي يحدث بين الأصوات المتجاورة سعياً إلى التماثل يأخذ صوراً وأشكالا مختلفة، وذلك بناءً على مخارج الأصوات المتماثلة وسماتها النطقية، فقد يكون التماثل في مخارج النطق، أو الصفات النطقية، أو فيهما معاً، كما أن التماثل قد يكون في الصفة أو الصفتين، في حين أنه قد يتعدى ذلك إلى المطابقة، فيطابق الصوت المتأثر الصوت المؤثر مطابقة تامة، و سيأتي العرض للأشكال (أو الصور) التي تأتي عليها المماثلة.

أولاً: الإدغام

اهتم النحاة واللغويون بدراسة الإدغام كثيراً، ناهيك عن العناية والاهتمام التي حظيت به هذه الظاهرة عند علماء القراءات، باعتبارها من الركائز الأساسية في تجويد القرآن وترتيله.

---

[1] الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ١٨٢.

[2] الأصوات اللغوية، د. محمد الخولي ٢٢٠، ودراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر ٣٢٥، والتطور النحوي للغة العربية، برجستراسر١٨، والمنهج الصوتي للبنية العربية، د. عبد الصبور شاهين ٢٠٦.

وكان من عنايتهم بها أن أفردوا لها أبواباً خاصة وضعوا فيها تعريفها، وأقسامها، وشروطها وأحكامها.

جاء في لسان العرب، في تفسيره مادة "دغم": "دغم الغيث الأرض يدغمها، وأدغمها: إذا غشيها وقهرها... والإدغام: إدخال اللجام في أفواه الدواب، وأدغم الفرس اللجام: أدخله في فيه، وأدغم اللجام في فمه كذلك. قال الأزهري: وإدغام الحرف في الحرف مأخوذ من هذا، والإدغام: إدخال حرف في حرف، يقال: أدغمت الحرف وادّغمته على افتعلته"[1].

وعرفه ابن جني بأنه: "تَقْرِيْبُ الصَّوْتِ مِنَ الصَّوْتِ"[2]، وجاء في شرح المفصل أن الإدغام: "أن تصل حرفاً ساكناً بحرف مثله متحرك من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف، فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد، يرتفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة، فيصير الحرف الأول كالمستهلك لا على حقيقة التداخل والإدغام"[3].

وعرّفه ابن عصفور بقوله: "الإدغام هو رفعك اللسان بالحرفين رفعة واحدة، ووضعك إياه بهما موضعاً واحداً"[4]، ومثل هذا جاء عند السيوطي في همع الهوامع[5]، وقال ابن السراج في تعريفه: "وهو وصلك حرفاً ساكناً بحرف مثله من موضعه من غير حركة تفصل بينهما ولا وقف"[6]، ومثل هذا عند الفارسي بقوله: "الإدغام هو أن تصل حرفاً ساكناً بحرف مثله من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف، فيرتفع اللسان عنهما ارتفاعة واحدة"[7].

---

[1] لسان العرب، مادة دغم.

[2] الخصائص، ابن جني ١٤١/٢، ومثل هذا التعريف جاء عند سيبويه إلا أنه لم يعرفه صراحة، انظر الكتاب ٢٥٩/٢ و ٤٠٧.

[3] شرح المفصل، ابن يعيش ١٢١/١، وانظر: أسرار العربية، الأنباري ٣٥٨.

[4] الممتع في التصريف، ابن عصفور الإشبيلي ٦٣١/٢.

[5] همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي ٢٨٠/٦.

[6] الأصول في النحو، ابن السراج ٤٠٥/٣.

[7] التكملة، أبو علي الفارسي ٦٠٨، وانظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ١٦٤/١.

وقال ابن مجاهد: "الإدغام تقريب الحرف من الحرف إذا قرب مخرجه في مخارج اللسان، كراهية أن يعمل اللسان في حرف واحد مرتين فيثقل عليه"[1].

وقد عرفه مكي بن أبي طالب بقوله: "معنى أدغمت الحرف في الحرف أدخلته فيه، فجعلت لفظه كلفظة الثاني، فصارا مثلين والأول ساكن، فلم يكن بد من أن يلفظ بهما لفظة واحدة كما يصنع بكل مثلين اجتمعا والأول ساكن"[2].

ويقول ابن القاصح: "وحقيقة الإدغام أن تصل حرفاً ساكناً بحرف متحرك، فتصيرهما حرفاً واحداً مشدوداً يرتفع اللسان عنه ارتفاعة واحدة، وهو بوزن حرفين"[3]. أما ابن الجزري فقال: "الإدغام هو اللفظ بحرفين حرفاً كالثاني مشدداً"[4]، وقال فيه ابن البنا: "وهو عندهم اللفظ بساكن فمتحرك بلا فصل من مخرج واحد"[5].

يتضح من التعريفات السابقة أن الإدغام يتضمن دمج صوت في آخر، بحيث يصبح الصوتان صوتاً واحداً مشدداً. ولما كان الإدغام دمجا لصوتين فإنه لا بد من أسباب تتهيأ لحدوثه. وقد تنبه العلماء لهذه الأسباب، ووجدوا أن الإدغام يكون بين الأصوات المتماثلة والمتقاربة والمتجانسة، فقسموا الإدغام تبعاً لذلك إلى ثلاثة أقسام: إدغام المتماثلين، وإدغام المتقاربين، وإدغام المتجانسين[6]. وهذا التقسيم جاء بالنظر إلى مقدار التشابه بين الأصوات التي يحصل بينها الإدغام.

---

[1] السبعة في القراءات، ابن مجاهد ١٢٥.

[2] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١٤٣/١.

[3] سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح ٣٣.

[4] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢٧٤/١.

[5] إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١٠٩/١.

[6] انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢٧٨/١، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١١٢/١.

والتماثل يعني المطابقة، أي أن يتفق الصوتان مخرجا وصفة، والتقارب هو أن يتفق الصوتان في المخرج أو الصفة، أما التجانس فهو اتفاق الصوتين في المخرج دون الصفة.

والحقيقة أن هذا التقسيم قد استحدثه علماء التجويد مستدلين على ذلك من قول لابن الجزري مؤداه: "أن الحرفين إذا التقيا إما أن يكونا مثلين أو جنسين أو متقاربين، فالمثلان ما اتفقا مخرجا وصفة، كالباء والباء، والتاء والتاء، والجيم والجيم، والميم والميم. والمتجانسان ما اتفقا مخرجا واختلفا صفة، كالدال والطاء، والثاء والذال، وكاللام والراء عند الفراء ومن تابعه، والمتقاربان ما تقاربا في المخرج أو الصفة، كالدال والسين، والتاء والثاء، والضاد والشين"[1].

أما المتقدمون من علماء العربية والقراءات، فإنهم ذكروا إدغام المتماثلين والمتقاربين، أما إدغام المتجانسين فتحدثوا عنه ضمن حديثهم عن إدغام المتقاربين. فقد ذكر سيبويه هذين النوعين من الإدغام[2]، أما النوع الثالث فتحدث عنه ضمن حديثه عن الإدغام في الأصوات المتقاربة، يقول: "هذا بابُ الإدْغامِ في الحُرُوفِ المُتَقارِبَةِ الَّتي هِيَ مِنْ مَخْرَجٍ واحِدٍ"[3]، ومثل هذا جاء عند ابن جني في كتابه الخصائص[4]، والداني في التيسير[5]، ومكي بن أبي طالب في الكشف[6]. يقول الدكتور غانم الحمد: "ولكن الذي ميز استخدام المتأخرين أنهم استخدموا مصطلح "المتجانسين" وجعلوا له ولمصطلح "المتقاربين" دلالة محددة"[7].

---

[1] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢٧٨/١، وانظر: إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١١٢/١.

[2] الكتاب، سيبويه ٤٣٧/٤ و ٤٤٥.

[3] الكتاب، سيبويه ٤٤٥/٤.

[4] انظر: التيسير في القراءات السبع، عثمان بن سعيد الداني ٢١-٢٢.

[5] انظر: الخصائص، ابن جني ١٣٤/٢-١٣٦.

[6] انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١٣٥/١.

[7] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد ٣٩٦-٣٩٧.

والإدغام -كما هو واضح من التعريفات السابقة- يكون بين صوتين، يشترط في الأول أن يكون ساكنا؛ لأنه إذا كان متحركا فصلت الحركة بين الحرفين، وحالت دون حصول التأثر بينهما[1]، ولكن هذا السكون قد يكون أصلا، أي يكون جزءا من بناء الكلمة، وقد يكون طارئا، فيكون الصوت متحركا بإحدى الحركات وسكن من أجل الإدغام. ومن ذلك قول ابن السراج في الإدغام: "وهو وصلك حرفا ساكنا بحرف مثله من موضعه من غير حركة تفصل بينهما ولا وقف"[2]، وقال أيضا: "فأما ما كان من ذلك في الفعل الثلاثي الذي لا زيادة فيه، فجميعه مدغم متى التقى حرفان من موضع واحد متحركين حذفت الحركة وأدغم أحدهما في الآخر، وذلك نحو: فر وسر"[3].

وقد نظر بعض علماء القراءات إلى هذه الحقيقة، فقسموا الإدغام لذلك إلى قسمين: كبير وصغير. أما الإدغام الكبير فهو ما كان الحرف الأول منه متحركا، أي أن يكون كل من الصوتين المدغمين متحركا. وسمي كبيرا لتأثيره في إسكان الحرف المتحرك قبل إدغامه، وربما سمي كبيرا لكثرة وروده، فهو يحدث في المتماثلين والمتقاربين والمتجانسين[4]. وأما الإدغام الصغير فهو ما كان الحرف الأول منه ساكنا والثاني متحركا، وسمي صغيرا لأنه لا يكون فيه إعمال، لأن الأول أصلا ساكن، وربما لكونه لا يحدث إلا في المتقاربين أو المتجانسين[5].

مما سبق يمكن القول إن ما يسمى الإدغام الصغير يقوم على إدغام صوتين متصلين اتصالا مباشرا، وما يسمى الإدغام الكبير يقوم على إدغام صوتين تفصل بينهما حركة، وفي هذه

---

(1) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٢٧٥.

(2) الأصول في النحو، ابن السراج ٣/٤٠٥.

(3) السابق، الصفحة نفسها.

(4) سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح ٣٣، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٢٧٤-٢٧٥، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١/١٠٩ و ١٢٨.

(5) السابقة، الصفحات نفسها.

الحالة يقع الإدغام بسقوط الحركة، ثم بإدغام أحد الصوتين في الآخر، وفي كلتا الحالتين لا يجوز الإدغام، إلا إذا كان الصوت الثاني متبوعا بحركة[1].

ويجدر بنا في هذا المقام، أن نذكر تقسيما آخر للإدغام يختلف عن التقسيم السابق، وهو تقسيم ابن جني، والذي قسم الإدغام إلى قسمين: أكبر وأصغر. وكان الإدغام الأكبر عنده يحوي الإدغامين الكبير والصغير عند غيره. يقول ابن جني عند تعريفه للإدغام: "تَقْرِيْبُ صَوْتٍ مِنْ صَوْتٍ[2]، وَهُوَ في الْكَلامِ عَلى ضَرْبَيْنِ: أَحَدهِما أَنْ يَلْتَقِيَ المِثْلانُ عَلى الْأَحْكامِ الَّتى يَكونُ عَنْها الإدْغامُ، فَيُدْغَمُ الأَوَّلُ في الْآخَرِ.. فَهذا حَدِيْثُ الإدْغامِ الْأَكْبَرِ. وَأَمّا الْإِدْغامُ الأَصْغَرُ فَهُوَ تَقْرِيْبُ الْحَرْفِ مِنَ الْحَرْفِ وَإِدْناؤُهُ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ إِدْغامٍ يَكُونُ هُناك. وَهُوَ ضَروبٌ، فَمِنْ ذلِكَ الْإِمالَةُ، وَإِنَّما وَقَعَتْ في الْكَلامِ لِتَقْرِيْبِ الصَّوْتِ مِنَ الصَّوْتِ، وَذلِكَ نَحْوَ:عالِمٌ وَكِتاب... أَلا تَراكَ قَرَّبْتَ فَتْحَةَ الْعَيْنِ مِنْ عالِمٌ إِلى كَسْرَةِ اللامِ مِنْهُ، بِأَنْ نَحَوْتَ بِالْفَتْحَةِ نَحْوَ الْكَسْرَةِ، فَأَمَلْتَ الْأَلِفَ نَحْوَ الْياءِ...[3]، وَمِنْ ذلِكَ أَنْ تَقَعَ فاءُ افْتَعَلَ صاداً، أَوْ ضاداً، أَوْ طاءً، أَوْ ظاءً، فَتَقْلِبُ لَها تاؤُهُ طاءً، وَذلِكَ نَحْوَ: اصْطَبَرَ، وَاضْطَرَبَ، وَاطَّرَدَ، وَاظْطَلَمَ، فَهذا تَقْرِيْبٌ مِنْ غَيْرِ إِدْغامٍ..."[4] ثم يقول ابن جني بعد ذلك معقبا على ما ذكر: "وَجَمِيْعُ ما هذِهِ حالُهُ مِمّا قُرِّبَ فيهِ الصَّوْتُ مِنَ الصَّوْتِ، جارٍ مَجْرى الْإِدْغامِ بِما ذَكَرْناهُ مِنَ التَّقْرِيْبِ، وَإِنَّما احْتَطْنا لَهُ بِهذِهِ السِّمَةِ الَّتي هِيَ "الْإِدْغامُ

---

[1] انظر: دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو ٣٩، والأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ١٨٧.

[2] إن استعمال ابن جني كلمة (الصوت) في هذا النص وغيره موافق للدراسات الصوتية المعاصرة التي تستعمل هذه الكلمة بدلا من كلمة (الحرف) وهي الكلمة التي كانت سائدة في الدرس الصوتي والصرفي والنحوي القديم. وبذلك يكون ابن جني سباقا في استعمال ما لم يستعمله غيره من اللغويين العرب قبله وبعده. (انظر: تحليل الظواهر الصوتية في قراءة الكسائي، د. سمير ستيتية، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد السادس ١٩٩٤، ١٠٢).

[3] حديث ابن جني عن الإمالة، وأنها تقريب (مماثلة) يبين معارف القدماء للمماثلة بين الحركات.

[4] الخصائص، ابن جني ١/١٣٩-١٤٥.

الصَّغيرُ" لِأَنَّ في هذا إيذاناً بِأَنَّ التَّقْرِيبَ شامِلٌ لِلْمَوْضِعَيْنِ، وَأَنَّهُ الْمُرادُ الْمُبْغى في كِلْتا الْجِهَتَيْنِ، فَاعْرِفْ ذلِكَ"[1].

وابن جني في استخدامه لمصطلح التقريب وتقسيمه الإدغام إلى كبير، وفيه يفنى الصوت الأول في الثاني، وصغير، وفيه يماثل الصوت صوتا أخر من دون إدغام، كان أكثر دقة وأقرب إلى مفهوم المماثلة بالمعنى الحديث من غيره، فالإدغام بهذا المفهوم ينطبق على المماثلة عند المحدثين، إذ يقابل الإدغام الكبير عنده المماثلة الكلية عند المحدثين، كما يقابل الإدغام الصغير عنده المماثلة الجزئية عند المحدثين. وهو بهذا قد اختط لنفسه دربا أكثر وضوحا ودقة بالنسبة لمفهومي التماثل الصغير والكبير.

والحقيقة أن تصور ابن جني للإدغام كان مستوحى من تصور سيبويه له، والذي ينطبق على مفهوم المماثلة عند المحدثين، ويتضح هذا من حديثه عن المواضع التي تمال فيها الألفات، إذ يقول : "فَالْأَلِفُ تُمالُ إذا كانَ بَعْدَها حَرْفٌ مَكْسورٌ، وَذلِكَ قَوْلُكَ: عابِدٌ، وَعالِمٌ، وَمَساجِدُ، وَمَفاتِيحُ، وَعَذافِرٌ، وَهابِيلُ، وَإِنَّما أَمالُوها لِلْكَسْرَةِ الَّتي بَعْدَها أَرادُوا أَنْ يُقَرِّبُوها مِنْها، كَما قَرَّبُوا في الْإِدْغامِ الصَّادَ مِنَ الزَّايِ حينَ قالُوا: صَدْر، فَجَعَلُوها بَيْنَ الزّايِ والصّادِ، فَقَرَّبُوها مِنَ الزّايِ

---

[1] السابق ١/١٤٥.

والصّادِ الْتِماسَ الْخِفَّةِ، لِأَنَّ الصّادَ قَرِيبَةٌ مِنَ الدّالِ، فَقَرَّبَها مِنْ أَشْبَهِ الْحُروفِ مِنْ مَوْضِعِها بِالدّالِ، وَبَيانُ ذلِكَ في الْإِدْغامِ: فَكَما يُرِيدُ في الْإِدْغامِ أَنْ يَرْفَعَ لِسانَهُ مِنْ مَوْضِعٍ واحِدٍ، كَذلِكَ يُقَرِّبُ الْحَرْفَ إِلى الْحَرْفِ عَلى قَدْرِ ذلِكَ»[1].

فمفهوم الإدغام هنا هو تقريب الصوت من الصوت بحيث تنتقل إلى أحدهما صفة الآخر، وهو تقريب جزئي لا يؤول إلى الإدغام الذي هو تقريب كلي[2]. فالألف في عابد وعالم ... تأثرت بالكسرة التي لحقتها، فما كان منها إلا أن اكتسبت من الكسرة صفة الاستعلاء، فأصبحت بين الياء والألف، إلا أنها لم تصبح ياء. وكذلك الحال في "صدر" إذ أثرت الدال في الصاد وأكسبتها صفة الجهر لتماثلها، فاقتربت من الزاي لأنهما من مخرج واحد، إلا أن الصاد لم تصبح دالاً.

وسيبويه في هذا قد استخدم كلمة "الإدغام" يريد بها التعبير عن مطلق تأثر صوت بصوت، سواء كان التأثر كاملاً يترتب عليه فناء صوت في صوت، أم كان جزئياً يفقد معه عنصراً من عناصره. وهكذا كان استخدام ابن جني لهذه الكلمة (الإدغام)، إذ قبس فكرة التقريب عن سيبويه وفصلها ذلك التفصيل الدقيق، وقرر في النهاية أن التقريب مرادف الإدغام[3].

وقد كان تفريقهما بين الأصوات المتماثلة في جنسها والمتقاربة، وعدم إمكانية دمجها، ينم عن معرفة دقيقة وتفحص شامل للأصوات العربية، فأمثلتهما المختلفة التي طرحوها، والتي تحول فيها الصوت إلى صوت آخر دونما إدغام، نحو: صدر، عابد، اصطبر، وغيرها، تدعم ما

---

[1] الكتاب، سيبويه ٤/١١٧.

[2] انظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، د. عبد الصبور شاهين ١٢٤.

[3] انظر: السابق ١٢٥-١٢٧.

ذهب إليه المحدثون من جعلهم مصطلح المماثلة يشمل كلاً من الإدغام والإبدال والقلب. وبهذا يكونان قد وضعا حجر الأساس لظاهرة المماثلة بأشكالها المختلفة.

أما المحدثون من علماء اللغة والأصوات، فقد عنوا بهذه الظاهرة، وتناولوها بالدرس والتحليل، وكان ذلك ضمن حديثهم عن المماثلة -كما جاء سابقاً- إذ هي عندهم صورة من صور المماثلة وشكلاً من أشكالها، يقول الدكتور أنيس: "وَأَقْصى ما يَصِلُ إِلَيْهِ الصَّوْتُ في تَأَثُّرِهِ بِما يُجاوِرُهُ أَنْ يَفْنى في الصَّوْتِ المُجاوِرِ، فَلا يَتْرُكُ لَهُ أَثَرًا. وَفَناءُ الصَّوْتِ في صَوْتٍ آخَرَ هُوَ ما اصْطَلَحَ الْقُدَماءُ عَلى تَسْمِيَتِهِ بِالْإِدْغامِ"[1] ولعله تنبه إلى مفهوم الإدغام عند سيبويه وابن جني، فقال في موضع آخر "وَهُوَ ما اصْطَلَحَ عَلى تَسْمِيَتِهِ في كُتُبِ الْقِراءاتِ بِالْإِدْغامِ"[2]. إذ إن مصطلح الإدغام أخذ هذا المفهوم المحدد عند متأخري القراء.

وقد عد المحدثون الإدغام من أوضح صور المماثلة، بل أقيسها، يقول الدكتور عبد الصبور شاهين عند حديثه عن الإدغام وكونه شكلاً من أشكال المماثلة: "بل هو أقيس أشكالها جميعاً في العربية، فمن الطبيعي أن تنطبق عليه قوانين المماثلة التي قررها المحدثون"[3].

ومن الجدير بالذكر، وقبل الانتقال إلى الحديث عن أشكال المماثلة الأخرى، أن الإدغام يتم في بعض الأحيان بحدوث أكثر من نوع من أنواع التأثر[4]. فالإدغام تقريب بين الأصوات، وهذا التقريب قد يحدث بين الصوتين في المخرج، وقد يحدث في الصفة كالجهر، أو الهمس، أو

---

(1) الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ١٨٢، وانظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان ٢٧٩، والأصوات اللغوية، د. محمد الخولي ٢٢٠، وتحليل الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب، د. سمير ستيتية، مجلة البلقاء للبحوث والدراسات، العدد الأول ١٩٩٦، ٣٧، وأصوات اللغة العربية، د. عبد الغفار هلال ٢٣٧.

(2) الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ١٨٦.

(3) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، د. عبد الصبور شاهين ٢٣٦.

(4) الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ١٨٦.

ومن ذلك أيضاً تقدم مخرج القاف بتأثير الكسرة في كلمة "قف". فالقاف صوت خلفي، والكسرة صوت أمامي، فتأثرت القاف بالكسرة وتقدم مخرجها[1].

ومعرفة المتقدمين لهذا الشكل من المماثلة يتضح من إجماعهم على قلب النون الساكنة ميماً إذا وليتها الباء، كما مر، وقد قال سيبويه: "وَتُقْلَبُ النُّونُ مَعَ الْباءِ مِيمًا، لِأَنَّها مِنْ مَوْضِعٍ تَعْمَلُ فِيهِ النُّونُ، فَأَرادُوا أَنْ تُدْغَمَ هُنا إِذْ كانَتِ الْباءُ مِنْ مَوْضِعِ الْمِيمِ... وَلَمْ يَجْعَلُوا النُّونَ باء لِبُعْدِها فِي الْمَخْرَجِ، وَأَنَّها لَيْسَتْ فِيها غُنَّةٌ، وَلَكِنَّهُمْ أَبْدَلُوا مِنْ مَكانِها أَشْبَهَ الْحُرُوفِ بِالنُّونِ، وَهِيَ الْمِيمُ، وَذلِكَ قَوْلُهُمْ: مَمْبِكَ، يُرِيدُونَ: مَنْ بِكَ، وَشَمْباء وَعَمْبَر، يُرِيدُونَ: شَنْباء وَعَنْبَر"[2]. وقال المبرد: "وتقلب (النون) مع الباء ميماً إذا كانت ساكنة، وذلك عمبر، وشمباء، وممبر: فهي في كل هذا ميم في اللفظ"[3].

قال ابن الباذش: "أجمعوا على إبدال النون والتنوين ميماً قبل الباء، سواء أكانت النون من كلمة أو كلمتين، أو كان سكونها خلقة أو لجازم"[4]. ومن قوله يتبين لنا أن علماء القراءات قد تبعوا علماء العربية في هذا.

ومن الجدير بالذكر أن هذا النوع من المماثلة يكثر بين الأصوات اللسانية بعضها ببعض، أما الأصوات الشفوية والحلقية، فلا يكاد ينتقل صوت من أصواتها إلى مخرج آخر من منطقة أخرى، ولكن ينتقل غيرها إليها[5].

---

(1) انظر: الأصوات اللغوية، د. محمد الخولي ٢٢١.

(2) الكتاب، سيبويه ٤/٤٥٣.

(3) المقتضب، المبرد ١/٢١٦.

(4) الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ١/٢٧٥، وانظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢/٢٦.

(5) أصوات اللغة العربية، د. عبد الغفار حامد هلال ٢٣٦.

ثالثاً: المماثلة بين الجهر والهمس

تقسم الأصوات بالنظر إلى وضع الوترين الصوتيين إلى قسمين: مجهورة ومهموسة. أما المجهورة فهي الأصوات التي يتذبذب الوتران الصوتيان عند نطقها، إذ يقترب الوتران الصوتيان أحدهما من الآخر حتى تكون المسافة بينهما غير كافية لمرور الهواء بحرية وطلاقة فيفرقهما الهواء، فيبتعدان ثم يقتربان ثم يبتعدان، وتصل سرعة الهواء عند ذلك من ٢٠٠-٧٠٠ سم٣/ث. والأصوات المجهورة في العربية هي: الحركات، والباء، والجيم، والدال، والذال، والزاي، والضاد، والراء، والظاء، والعين، والغين، واللام، والميم والنون[١].

وأما المهموسة فهي الأصوات التي لا يتذبذب الوتران الصوتيان حال النطق بها، فالوتران الصوتيان عند النطق بهذه الأصوات يتباعد أحدهما عن الآخر، حتى تكون المسافة بينهما كافية لمرور الهواء بحرية وطلاقة، فتخرج الأصوات دون اهتزازهما، وتكون سرعة الهواء عند ذلك ما بين ٢٠٠-٣٠٠سم٣/ ث. والأصوات المهموسة في العربية هي بقية الأصوات سوى الهمزة، وهي: التاء، والثاء، والحاء، والخاء، والسين، والشين، والصاد، والفاء، والقاف، والهاء والطاء. أما الهمزة فهي ليست بالمهجورة ولا بالمهموسة[٢].

وقد يلتقي في الكلام صوتان أحدهما مجهور والآخر مهموس، فيؤثر أحدهما في الآخر، ويقلبه إلى نظيره، بحيث يصير الصوتان مجهورين، أو مهموسين، فإذا أثر مجهور في مهموس قلبه مجهوراً مثله، وهذه مماثلة في الجهر، وإذا أثر مهموس في مجهور قلبه مهموساً مثله، وهذه

---

[١] انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ١٩-٢١، وعلم اللغة العام (الأصوات)، د. كمال بشر ٨٧، وميكانيكية النطق، د. سمير ستيتية، مجلة مجمع اللغة العربية ١٩٨٧م ٥٢٣، وتحليل الظواهر الصوتية في قراءة الكسائي، د. سمير ستيتية ٩٦.

[٢] انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ١٩-٢١، وعلم اللغة العام (الأصوات) د. كمال بشر ٨٧-٨٨، وميكانيكية النطق، د. سمير ستيتية ٥٢٣، وتحليل الظواهر الصوتية في قراءة الكسائي، د. سمير ستيتية ٩٦.

مماثلة في الهمس، يقول الدكتور الخولي: "المماثلة في الجهر، وهي أن يتعدل صوت مهموس ليماثل آخر مجهور في سمة الجهر...، والمماثلة في الهمس هي أن يتعدل صوت مجهور ليماثل آخر مهموس في صفة الهمس"[1].

ومن مماثلة الهمس و الجهر كلمة "مصدر"، حيث تنطق الصاد في هذه الكلمة مجهورة، فهي ولمجاورتها الدال اكتسبت صفة الجهر منها، ولما كانت الزاي هي النظير المجهور للصاد، وكانت الصاد النظير المطبق للزاي، تحولت الصاد إلى زاي مجهورة.

وقد درس علماء العربية مظاهر هذا التحول عند معالجتهم الإبدال في صيغة "افتعل"، وقد عالجه سيبويه في باب "الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه، والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه"[2].

رابعاً: المماثلة في الوقف والاستمرار

تقسم الأصوات من جهة ثانية إلى: وقفية واستمرارية. أما الأصوات الوقفية، فهي الأصوات التي تتكون من انحباس تيار الهواء الخارج من الرئتين حبساً تاماً في مواضع نطقها، فينتج عن ذلك أن ينضغط تيار الهواء خلف هذه المواضع، ثم ينفتح فيندفع الهواء مرة واحدة بقوة محدثاً هذه الأصوات، وتدعى بالأصوات الانفجارية، وهي في العربية: الجيم، و الباء،

---

[1] الأصوات اللغوية، د. محمد الخولي ٢٢٠-٢٢١، وانظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ١٨٢، وفي البحث الصوتي عند العرب، د. إبراهيم العطية ٧٢-٧٣.

[2] انظر: الكتاب، سيبويه ٤/ ٤٧٧، وما بعدها، والخصائص ابن جني ٢/١٤١-١٤٢، والممتع في التصريف، ابن عصفور الإشبيلي ١/٣٥٦، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي ٦/٢٧١-٢٧٢، والإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ١/٢٤١.

والتاء، والدال، والضاد، والطاء، والكاف، والقاف، والهمزة[1]، وقد سماها المتقدمون شديدة، يقول سيبويه في تعريف الصوت الشديد: "هو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه"[2].

وأما الأصوات الاستمرارية، فهي الأصوات التي لا تلتقي -عند نطقها- أعضاء النطق التقاءً تاماً، وإنما تقترب بعضها من بعض موجدة ممراً يتسرب منه الهواء، فإذا ما كان الممر الهوائي ضيقاً احتك الهواء عند خروجه بأعضاء النطق مصدراً الأصوات الاحتكاكية وهي: الثاء، والذال، والزاي، والحاء، والخاء، والفاء، والسين، والصاد، والغين. وإذا كان الممر متسعاً كانت الأصوات واضحة في السمع، وهي: الحركات، وأنصاف الحركات، وما شابهها من الصوامت، وهي: الراء، والعين، واللام، والميم، والنون، والهاء[3]. وقد دعا المتقدمون الأصوات الاحتكاكية بالرخوة، كما دعوا الأصوات الواضحة في السمع بالمتوسطة (بين الرخوة والشديدة)[4].

وقد يلتقي في الكلام صوتان أحدهما وقفي والآخر استمراري، فيؤثر أحدهما في الآخر، بحيث يتكون لدينا صوتان استمراريان أو وقفيان (انفجاريان). ويصحب هذا التأثر عادة إدغام. ومثال ذلك "اذدكر" عندما أصبحت "ادّكر" فقد أثرت الدال في الذال وقلبتها إلى دال، والدال صوت وقفي، أما الذال فهي صوت استمراري، فأثرت الدال في الذال وحولتها إلى صوت وقفي، ولما كانت الدال هي النظير الوقفي للذال، قلبت الذال دالاً. وهذه مماثلة في الوقف[5].

---

[1] انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ٢٢-٢٣، وعلم اللغة العام (الأصوات)، د. كمال بشر ١٠٠-١٠١، ومعجم علم الأصوات، د. محمد الخولي ٢٥.

[2] الكتاب، سيبويه ٤/ ٤٣٤.

[3] انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ٢٤، وعلم اللغة العام (الأصوات)، د. كمال بشر ١١٨، ومعجم علم الأصوات، د. محمد الخولي ١٠.

[4] انظر: الكتاب، سيبويه ٤/ ٤٣٤-٤٣٥.

[5] انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ١٨٦، وفي البحث الصوتي عند العرب، د. إبراهيم خليل العطية ٧٣.

ومن المماثلة في الاستمرار قلب الدال سيناً في قوله تعالى: " قَدْ سَمِعَ "[1]. فالسين صوت استمراري، والدال صوت وقفي، فأثرت السين في الدال وحولتها إلى صوت استمراري وهو السين، ثم أدغمت السينان في سين واحدة مشددة.

وقد بحث القدماء هذا الشكل من أشكال التأثر عند دراستهم للإدغام، ويتضح هذا من معالجة ابن جني لكلمة "سِتّ" والتي أصلها "سدس"، قال: "وَمِنْ ذلِكَ قَوْلُهُمْ: سِتّ، أَصْلُها "سُدْسٌ"، فَقَرَّبُوا السِّيْنَ مِنَ الدّالِ بِأَنْ قَلَبُوها تاءً، فَصارَتْ "سُدْتٌ"، فَهذا تَقْرِيْبٌ لِغَيْرِ إِدْغامٍ، ثُمَّ أَنَّهُمْ فيما بَعْدُ أَبْدَلُوا الدّالَ تاءً لِقُرْبِها مِنْها إِرادَةً لِلإِدْغامِ الآنَ، فَقالُوا: سِتّ"[2].

خامساً: المماثلة بين الإطباق والانفتاح

الإطباق هو أن يرتفع مؤخر اللسان حال النطق بالصوت إلى الطبق (الحنك الرخو)، ويتقعر اللسان فينحصر الهواء بين اللسان والطبق حتى مخرج الصوت. وعكسه الانفتاح، والذي لا يقترب فيه مؤخر اللسان من الطبق حال النطق بالصوت. والأصوات المطبقة في العربية هي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، أما ما تبقى من الأصوات فهي جميعاً مفتوحة[3].

وقد يجتمع في الكلام صوتان أحدهما مطبق والآخر مفتوح، ويؤثر أحدهما في الآخر، فيصير الصوتان مطبقين أو مفتوحين، ومثال المماثلة في الإطباق تحول تاء الافتعال طاء عندما

---

[1] سورة المجادلة: ١

[2] الخصائص، ابن جني ١/١٤٣، وانظر: الكتاب، سيبويه ٤/ ٤٨١-٤٨٢، وأسرار العربية، الأنباري ٣٦٤.

[3] انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ٤٧-٤٨ و ٦٢-٧٦، وعلم اللغة العام (الأصوات)، د. كمال بشر ١٠٢.

تكون مسبوقة بصوت مطبق، كما في كلمة "اصطبر" فأصلها "اصتبر"، حيث أثرت الصاد في التاء وأكسبتها صفة الإطباق، ولما كانت الطاء هي النظير المطبق للتاء تحولت التاء طاء[1].

ومن المماثلة في الانفتاح تحول الطاء تاء في كلمة "أحطت"، حيث أثرت التاء المفتوحة في الطاء المطبقة و حولتها إلى صوت مهموس، و هو التاء، ثم أدغمت التاءان في تاء مشددة.

وقد عالج المتقدمون هذه الظاهرة عند حديثهم عن الأفعال التي تبدأ بأحد أصوات الإطباق[2].

سادساً: المماثلة في مجرى الصوت

الأصوات صنفان: منها ما يتخذ مجراها حين النطق بها خلال الفم، وهى الكثرة الغالبة في العربية، ومنها ما يتخذ الهواء معها مجراه من الأنف، كالنون والميم[3]. وقد لاحظ العلماء أن من أشكال التأثر والتأثير بين الأصوات المتجاورة، أن يتحول أحد أصوات الفم إلى صوت أنفى ليماثل صوتاً أنفياً مجاوراً له. ومثال ذلك تحول الباء إلى ميم في قوله تعالى:" يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا "[4] فالباء من أصوات الفم، والميم صوت أنفي، فأثرت الميم في الباء وحولتها إلى صوت أنفي، ولما كانت الميم هى النظير الأنفي للباء قلبت الباء ميماً، ثم أدغمت الميمان فى ميم مشددة[5].

ولاحظ المتقدمون مثل هذا التغير وعالجوه عند حديثهم عن إدغام الباء في الميم[6].

---

[1] انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ١٨٤، وفي البحث الصوتي عند العرب، د. إبراهيم العطية ٧٣.

[2] انظر: الكتاب، سيبويه ٤/٤٦٠، وما بعدها، والممتع فى التصريف، ابن عصفور الإشبيلي ١/٣٥٦.

[3] الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ١٨٤-١٨٥.

[4] سورة هود: ٤٢.

[5] انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ١٨٥، وفي البحث الصوتي عند العرب، د. خليل العطية ٧٤-٧٥.

[6] انظر: الكتاب، سيبويه ٤/٤٤٧ و ٤٦١، والمقتضب، المبرد ١/٢١٦، وأسرار العربية، الأنباري ٣٦٣.

سابعاً: المماثلة في التدوير

التدوير هو سمة للصوت الذي تتدور الشفتان حال النطق به، والصوت المدور في العربية هو الضمة (قصيرة وطويلة) ومنها نصف الحركة. والمماثلة في التدوير هي أن يتحول صوت غير مدور إلى مدور لمماثلة الضمة، يقول الدكتور محمد الخولي في تعريفها: "وهي أن يتعدل صوت غير مدور ليماثل آخر مدورا في سمة التدوير"[1]. ومثال ذلك كلمتي "قل" و "سوء"، فقد تحولت القاف والسين بتأثير الضمة إلى صوتين مدورين لمماثلتها.

والحقيقة أن هذا النوع من التأثر لا يكون إلا مع الضمة طويلة أو قصيرة، لكنه لا يحدث مع الواو التي هي نصف حركة.

والآن وبعد هذا العرض لظاهرة المماثلة عند القدماء والمحدثين جاز الانتقال إلى قراءة حمزة، وبيان دور هذه الظاهرة في ضبط كثير من الظواهر الصوتية التي تنتظم هذه القراءة.

المماثلة في قراءة حمزة:

أولاً: مماثلة الحركات

تكثر صور مماثلة الحركات في قراءة حمزة، وتكون بين حركة وحركة، أو حركة وصامت، أو حركة ونصف حركة، وفي ما يأتي بيان ذلك.

١. روي عن حمزة أنه كان يقرأ بإسقاط الهمزة، إذا كانت مسبوقة بكسرة ومتبوعة بواو، وصلاً ووقفاً، كما في: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾[2] و ﴿ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[3] و

---

[1] الأصوات اللغوية، د. محمد الخولي ٢٢١.

[2] سورة البقرة: ١٤.

[3] سورة التوبة: ٣٠.

" فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ "[1] و " لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ "[2]، وشبهه[3]، يراد بهذا أن الإمام حمزة يقرؤها كالآتي: مستهزون، يضاهون، فمالون، ليواطوا.

جاء في لسان العرب: "(يضاهون قول الذين كفروا). قال الفراء: يضاهون أي: يضارعون قول الذين كفروا لقولهم: اللات والعزى، وبعض العرب يهمز فيقول: يضاهئون"[4].

يقول مكي بن أبي طالب في "يضاهئون": وهما لغتان مشهورتان، يقال: ضاهيت، وضاهأت. وترك الهمز أكثر، وهو الاختيار، والمضاهاة المشابهة"[5].

والحقيقة أن وصفهم لما طرأ على الهمزة عند قراءة حمزة هذه الكلمات وشبهها يحتاج إلى إعادة نظر، إذ إن سقوط الهمزة في هذه الكلمات لا يمثل منها إلا مرحلة واحدة من مرحلتين، وبيان ذلك كلمة "مستهزءون" مثلاً عندما سقطت منها الهمزة بقي صوت الزاي متبوعا بكسر، فلم تسقط الكسرة، وكانت هذه هي المرحلة الأولى. وهذا التغير هو الذي سموه "تسهيل بين بين"، ولكن هذا التغير يمثل البنية قبل السطحية. ووجه المماثلة هنا يتأتى من سقوط الهمزة بمجيئها بين الحركتين (الكسرة والواو)، إذ إن الكسرة والواو صائتان ضيقان، فما كان منهما إلا أن ائتلفا فسقطت الهمزة[6]، ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

---

[1] سورة الصافات: ٦٦.

[2] سورة التوبة: ٣٧.

[3] انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٤٨٥/١، والمهذب في القراءات العشر، د. محمد المحيسن ٤٩/١.

[4] لسان العرب، مادة ضها.

[5] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ٥٠٢/١.

[6] انظر: تحليل الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب، د. سمير ستيتية ٣١.

مستهزءون ← مستهزءون

م ـُ س ت ـَ هـ ـ ز ـِ ء ـُ ـُ ن ← م ـُ س ت ـَ هـ ـ ز ـِ ـُ ـُ ن.

Mustahzi?ún ← Mustahziún

$$? \begin{bmatrix} + \text{حنجري} \\ + \text{وقفي} \end{bmatrix} \longleftarrow \phi \Big/ \begin{bmatrix} + \text{أمامية} \\ + \text{ضيقة} \end{bmatrix} i \text{ ـــــ } \begin{bmatrix} + \text{خلفية} \\ + \text{ضيقة} \\ + \text{طويلة} \end{bmatrix} ú$$

سقطت الهمزة /?/ في الموقع الذي جاءت فيه مسبوقة بالحركة المعيارية الأولى ومتبوعة بالحركة المعيارية الثامنة /ú/. والمماثلة مزدوجة (تقدمية ورجعية) مباشرة.

قاعدة[1]:

$$\text{ص} \begin{bmatrix} + \text{حنجري} \\ + \text{وقفي} \end{bmatrix} \longleftarrow \phi \Big/ \begin{bmatrix} + \text{أمامية} \\ + \text{ضيقة} \end{bmatrix} \text{ح} \text{ ـــــ } \begin{bmatrix} + \text{خلفية} \\ + \text{ضيقة} \\ + \text{طويلة} \end{bmatrix} \text{ح}$$

يسقط الصامت (الحنجري الوقفي) في الموقع الذي يكون فيه مسبوقاً بالحركة (الأمامية الضيقة)، ومتبوعاً بالحركة (الخلفية الضيقة الطويلة). والمماثلة مزدوجة (تقدمية ورجعية) مباشرة.

ومن الجدير بالذكر أن ثمة وجهاً آخر للمماثلة في هذه المرحلة، وهي المماثلة التي تتأتى للمقطعين من جراء سقوط الهمزة، فيصبح آخر المقطع الذي قبل موقع الهمزة مباشرة منتهياً بحركة، ويصبح المقطع الذي بعد الهمزة مبتدئاً بحركة، فيطرأ نوع من التوافق بين المقطعين[2]. وبيان ذلك كالآتي:

م ـُ س / ت ـَ هـ / ز ـِ / ء ـُ ـُ ن ← م ـُ س / ت ـَ هـ / ز ـِ / ـُ ـُ ن.

ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص ← ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ح ح ص.

---

[1] تحليل الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب، د. سمير ستيتية ٣١.

[2] السابق ٣١-٣٢.

فالمقطع الذي سبق الهمزة منتهياً بحركة (ص ح)، والمقطع الذي بعد الهمزة أصبح مبتدئاً بحركة (ح ح ص).

وأما المرحلة الثانية، فهي التي تم فيها الانتقال من المرحلة قبل السطحية إلى المرحلة السطحية، وتتمثل بسقوط كسرة الزاي لصعوبة الانتقال من كسر إلى ضم. ويمكن تحليل ذلك فونولوجيا كالآتي:

مستهزِـون ← مستهزون.

Mustahziún ← Mustahzún[1].

$$\begin{bmatrix} + \text{حلقية} \\ + \text{صفة} \\ + \text{طويلة} \end{bmatrix} \text{ú} \longrightarrow / \phi / \longleftarrow \begin{bmatrix} + \text{أمامية} \\ + \text{ضيقة} \end{bmatrix} \text{i}$$

سقطت الحركة المعيارية الأولى /i/ في الموقع الذي جاءت فيه متبوعة بالحركة المعيارية الثامنة /ú/. والمماثلة رجعية مباشرة.

وينطبق هذا على كل كسرة متبوعة بواو لهذا يمكن القول:

قاعدة[2]:

$$\begin{bmatrix} + \text{حلقية} \\ + \text{صفة} \\ + \text{طويلة} \end{bmatrix} \text{ح} \longrightarrow / \phi / \longleftarrow \begin{bmatrix} + \text{أمامية} \\ + \text{ضيقة} \end{bmatrix} \text{ح}$$

تسقط الحركة (الأمامية الضيقة) في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالحركة (الخلفية الضيقة الطويلة). والمماثلة رجعية مباشرة.

---

[1] تحليل الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب، د. سمير ستيتية ٣٢.

[2] السابق، الصفحة نفسها.

٢. قرأ حمزة بكسر همزة "أم" في ثمانية مواضع هي: " فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ "[١] و " فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ "[٢] و " حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا "[٣] و " فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ "[٤] و فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ" ووردت في ثلاثة مواضع[٥]، و " بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ "[٦]، وقرأ بكسر الميم أيضاً في حالة الوصل فقط في المواضع الأربعة الأخيرة[٧].

وقد عزا ابن جني هذه الظاهرة إلى ممائلة الكسر، وسمى ظاهرة إتباع حركة الميم للكسرة بهجوم الحركات على الحركات، قال: "والضرب الثاني مما هجمت فيه الحركة على الحركة من غير قياس، وهو كبيت الكتاب:

وقالَ اضْرِبِ السّاقَيْنِ إمّكَ هابِلِ

وأصله: أُمَّكَ هابل، إلا أن همزة "أمك" كسرت لانكسار ما قبلها، على حدّ قراءة من قرأ: "فلإمّه السُّدُسُ"، فصار: إمْكَ هابل، ثم أتبع الكسر الكسر، فهجمت كسرة الإتباع على ضمة الإعراب، فابتزتها موضعها"[٨].

وقد علل مكي بن أبي طالب لهذه الظاهرة بمثل ما علل لها ابن جنى، قال: "وحجة من كسر الهمزة أنه اسم كثر استعماله، والهمزة حرف مستثقل بدلالة ما أجازوا فيها من البدل والتخفيف والحذف ونقل الحركة، دون غيرها من سائر الحروف. فلما وقع أول هذا الاسم وهو

---

[١] سورة النساء: ١١.

[٢] سورة النساء: ١١.

[٣] سورة القصص: ٥٩.

[٤] سورة الزخرف: ٤.

[٥] سورة النحل: ٧٨، وسورة النجم: ٣٢، وسورة الزمر: ٦.

[٦] سورة النور: ٦١.

[٧] انظر: السبعة في القراءات، ابن مجاهد ٢٢٧-٢٢٨، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ٣٧٩/١، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢٤٨/٢.

[٨] الخصائص، ابن جني ١٤١/٣.

"أم" حرف مستثقل، وكثر استعماله، وثقل الخروج من كسر أو ياء إلى ضم همزة، وليس في الكلام "فعل"، فلما اجتمع هذا الثقل أرادوا تخفيفه، فلم يمكن فيه الحذف لأنه إجحاف بالكلمة، ولا أمكن تخفيفه، ولا بد له، لأنه أول، فغيروه بأن أتبعوا حركته حركة ما قبله، ليعمل اللسان عملاً واحداً، والياء كالكسرة، فإذا ابتدأوا ردوه إلى الضم، الذي هو أصله، إذ ليس قبله في الابتداء ما يستثقل"[1].

وقال في كسر الميم: "وحجة من كسر الميم مع الهمزة في الجمع أنه أتبع حركة الميم حركة الهمزة، كما قالوا "عليهي" وكسروا الهاء للياء، وأتبعوا حركة الميم حركة الهاء، فمن قال "عليهمى" بكسر الهاء والميم، هو بمنزلة من كسر الهمز والميم في قوله: "بطون أمهاتكم"[2].

والحقيقة أن تعليل ابن جني ومكي قد كشف حقيقة هذه الظاهرة، التي هي من باب المماثلة بين الحركات. فالمواضع التي كسرت فيها همزة "أم" كانت قد سبقت فيها الهمزة بكسرة أو ياء (كسرة طويلة)، ولما كانت حركة الهمزة هي الضم كان الانتقال من الكسرة أو الياء إلى الهمزة ثم إلى الضمة، بحاجة إلى جهد عضلي كبير، لاختلاف المخرج، وثقل الهمزة، فتحولت الضمة إلى كسرة لمماثلة الكسرة التي سبقتها أو الياء، فيخف بذلك الجهد العضلي، المبذول في نطقهما معاً. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

لأُمّه ← لإمّه

Li?ummih ← Li?immih

$$u \rightarrow i \;/\; \begin{bmatrix} +\text{أمامية} \\ +\text{ضيقة} \\ +\text{قصيرة} \end{bmatrix} __ \begin{bmatrix} +\text{أمامية} \\ +\text{ضيقة} \\ +\text{قصيرة} \end{bmatrix} i \qquad \begin{bmatrix} +\text{خلفية} \\ +\text{ضيقة} \\ +\text{قصيرة} \end{bmatrix} u$$

---

[1] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ٣٧٩/١.

[2] السابق، الصفحة نفسها.

تحولت الحركة المعيارية الثامنة /u/ إلى الحركة المعيارية الأولى [i] في الموقع الـذي جاءت فيه مسبوقة بالحركة المعيارية الأولى /i/. والمماثلة تقدمية غير مباشرة.

في أُم ← في إم

Fi?umm ← Fi?imm

$$u \begin{bmatrix} +\text{خلفية} \\ +\text{ضيقة} \\ +\text{قصيرة} \end{bmatrix} \longleftarrow i \begin{bmatrix} +\text{أمامية} \\ +\text{ضيقة} \\ +\text{قصيرة} \end{bmatrix} / \begin{bmatrix} +\text{أمامية} \\ +\text{ضيقة} \\ +\text{طويلة} \end{bmatrix} ____$$

تحولت الحركة المعيارية الثامنة /u/ إلى الحركة المعيارية الأولى [i] في الموقع الـذي جاءت فيه مسبوقة بالحركة المعيارية الأولى / i/. والمماثلة تقدمية غير مباشرة.

وينطبق هذا على الكلمات السابقة جميعها، لهذا يمكن القول:

قاعدة:

$$ح \begin{bmatrix} +\text{خلفية} \\ +\text{ضيقة} \\ +\text{قصيرة} \end{bmatrix} \longleftarrow ح \begin{bmatrix} +\text{أمامية} \\ +\text{ضيقة} \\ +\text{قصيرة} \end{bmatrix} / \begin{bmatrix} +\text{أمامية} \\ +\text{ضيقة} \end{bmatrix} ____$$

تتحول الحركة (الخلفية الضيقة القصيرة) إلى الحركة (الأمامية الضيقة القصـيرة) فـي الموقع الذي تكون فيه مسبوقة بالحركة (الأمامية الضيقة الطويلة أو القصيرة). والمماثلة تقدميـة غير مباشرة.

وعند إضافة كلمة (إم) إلى الجمع ماثلت فتحة الميم كسرة الهمزة وتحولت إلى كسـرة، وتحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

إمّهاتكم ← إمّهاتكم

?immahátikum ← ?immihátikum

$$a \begin{bmatrix} +\text{أمامية} \\ +\text{مفتوحة} \\ +\text{قصيرة} \end{bmatrix} \longleftarrow i \begin{bmatrix} +\text{أمامية} \\ +\text{ضيقة} \\ +\text{قصيرة} \end{bmatrix} / \begin{bmatrix} +\text{أمامية} \\ +\text{ضيقة} \\ +\text{قصيرة} \end{bmatrix} ____$$

تحولت الحركة المعيارية الرابعة /a/ إلى الحركة المعيارية الأولى [i] في الموقع الذي جاءت فيه مسبوقة بالحركة المعيارية الأولى /i/. والمماثلة تقدمية غير مباشرة.

وينطبق هذا على الكلمات السابقة جميعها، لهذا يمكن القول:

قاعدة:

ح [+ أمامية + مفتوحة + قصيرة] ← ح [+ أمامية + ضيقة + قصيرة] / ح [+ أمامية + ضيقة + قصيرة] ـــ

تتحول الحركة (الأمامية المفتوحة القصيرة) إلى الحركة (الأمامية الضيقة القصيرة) في الموقع الذي تكون فيه مسبوقة بالحركة (الأمامية الضيقة القصيرة). والمماثلة تقدمية غير مباشرة.

٣. قرأ حمزة بكسر الباء في "البيوت" من قوله تعالى: "وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا"[١]، والعين في "العيون"من قوله تعالى: "وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ"[٢]، والشين في "شيوخا" من قوله تعالى: "ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا"[٣]، والغين في "الغيوب" من قوله تعالى:"عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ"[٤]، والجيم في "جيوبهن" من قوله تعالى: "وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ"[٥] حيث وردت في كتاب الله عزوجل[٦]، وقال ابن مجاهد: "وقال خلف وأبو هشام عن سليم عن حمزة : إنه كان يشم الجيم الضم ثم يشير إلى الكسر، ويرفع الياء من قوله "جيوبهن". وهو شيء لا يضبط"[٧].

---

[١] سورة البقرة: ١٨٩.

[٢] سورة يس: ٣٤.

[٣] سورة غافر: ٦٧.

[٤] سورة المائدة: ١٠٩.

[٥] سورة النور: ٣١.

[٦] انظر: السبعة في القراءات، ابن مجاهد ١٧٩، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ٢٨٤/١، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢٢٦/٢.

[٧] السبعة في القراءات، ابن مجاهد ١٧٩.

وقد علل مكي بن أبي طالب للكسر في هذه الكلمات بقوله: "ووجه القراءة بالكسر أن الكسرة مع الياء أخف من الضمة معها، فاستثقل ضمة بعدها ياء مضمومة، والضمة مع ياء ثقيلة، فاجتمع حركتان ثقيلتان، وحرف ثقيل عليه حركة ثقيلة في جمع، والجمع ثقيل، فكسر الأول لخفته مع الياء... قال أبو محمد: الكسر لغة مشهورة في هذا الجمع، والكسرة عارضة، فلا يعتد بوزنه، والضم هو الأصل"[1].

والحقيقة أن تحول الضمة إلى كسرة في هذه الكلمات، التي هي جموع تكسير على وزن "فعول"، إنما كان لمماثلة الكسرة الياء، فالكسرة صوت أمامي، وكذلك الياء التي هي نصف حركة، أما الضمة فهي صوت خلفي، فماثلت الضمة الياء وتحولت إلى كسرة لتماثل الياء[2]. و يمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالأتي:

بُيوت ← بِيوت

Buyût ← Biyût

$$\begin{bmatrix} \text{+ خلفية} \\ \text{+ ضيقة} \end{bmatrix} u \longrightarrow i \Big/ \begin{bmatrix} \text{+ أمامية} \\ \text{+ ضيقة} \end{bmatrix} ___ \begin{bmatrix} \text{+ نصف حركة} \\ \text{+ أمامية} \end{bmatrix} y$$

تحولت الحركة المعيارية الثامنة /u/ إلى الحركة المعيارية الأولى [i] في الموقع الذي جاءت فيه متبوعة بنصف الحركة الأمامية /y/. والمماثلة رجعية مباشرة.

ولما كان هذا التحول في كل جمع تكسير على وزن "فعول" عينه نصف حركة أمامية، فإنه يمكن القول:

$$ح \begin{bmatrix} \text{+ خلفية} \\ \text{+ ضيقة} \end{bmatrix} \longrightarrow ح \begin{bmatrix} \text{+ أمامية} \\ \text{+ ضيقة} \end{bmatrix} \Big/ ___ ح ٢/١ \begin{bmatrix} \text{+ أمامية} \end{bmatrix}$$

---

[1] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ٢٨٤/١ - ٢٨٥.

[2] انظر: تحليل الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب، د. سمير ستيتية ٣٣.

تتحول الحركة (الخلفية الضيقة) إلى الحركة (الأمامية الضيقة) في الموقع تكـــون فيـــه متبوعة بنصف الحركة (الأمامية). والمماثلة رجعية مباشرة.

أما ما ذكره ابن مجاهد من إشمام حمزة الجيم الضم، فيقول فيه الدكتور سمير ســـتيتية: "أما أنه كان يشم الجيم الضم، فيعني أنه كان يشرب كسرة الجيم ضماً، أي أنـــه كـــان يجعلـــها كالحركة المعيارية الثانوية الأولى: والحقيقة النطقية لهذه الحركة تتمثل فـــي أن اللســـان يتخـــذ الوضع الذي يكون عليه عند نطق الكسرة أو ياء المد، وفي نفس الوقت، يتم تدوير الشفتين. وأما أن هذا شيء لا يضبط فأمر مرجوح وحكم غير دقيق. إذ يمكن ضبط ذلك عن طريـــق تدويـــر الشفتين في حالة نطق ياء المد، كما وضحنا.

وأما السبب في رواية إشراب الكسرة الضم فهو المماثلة أيضاً، إذ تتحول الضمة إلـــى الحركة المعيارية الثانوية الأولى... والحركة المعيارية الثانوية الأولـــى حركـــة أماميـــة كمـــا وضحنا، أي أنه يحدث تماثل بينها وبين الياء من حيث إن كلاً منهما صائت أمامي. والمعادلـــة تمثل هذا التغير:

$$\text{ح}\begin{bmatrix} + \text{خلفية} \\ + \text{مغلقة} \\ + \text{مدورة} \end{bmatrix} \longrightarrow \text{ح}\begin{bmatrix} + \text{أمامية} \\ + \text{مغلقة} \\ + \text{مدورة} \end{bmatrix} \Big/ \begin{bmatrix} \\ \\ \end{bmatrix} \text{ح}\begin{bmatrix} \\ + \text{أمامية} \end{bmatrix} \quad (1)$$

تتحول الحركة (الخلفية المغلقة المدورة) إلى الحركة (الأمامية المغلقة المـــدورة) فـــي الموقع الذي تكون فيه متبوعة بنصف الحركة (الأمامية). والمماثلة رجعية مباشرة .

---

(1) تحليل الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب، د. سمير ستيتية ٣٣-٣٥.

٤. قرأ حمزة بضم ضمير الغيبة الجمع وإسكان الميم في نحو: ﴿ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾[١]، و ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ ﴾[٢]، و ﴿ لَقَضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴾[٣]، وشبهه، أما إذا لقي الميم همزة وصل فإنه يقرأ بضم الهاء والميم معاً، وذلك نحو: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾[٤] وشبهه. وهذا كله في حال لم تسبق الهاء كسرة أو ياء مد. أما إذا سبقت الهاء كسرة فإنه يقرأ بكسر الهاء والميم كما في: ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾[٥] وشبهه[٦].

فأما ضمه للهاء مطلقاً عند تسكين الميم، فقد أبقاها على الأصل الذي تم على أساس التحاق الكلمة بالضمير دون تغيير هكذا:

يزكي + هُم ← يزكيهُم.

جاء في الكشف: "إن سأل سائل فقال: ما علة حمزة في ضم الهاء في هذه الثلاثة (أي عليهم، إليهم، لديهم) في وصله ووقفه؟ فالجواب أن الهاء والميم من "هم" أصلها الضم وصلت واو بالميم، لكن الميم أسكنت استخفافاً، وحذفت الواو اختصاراً، لأن المعنى لا يشكل، فلما دخلت "على وإلى ولدى" على الهاء أبقاها مضمومة على أصلها قبل دخولهن، لأن الداخل عليها عارض، ولأن هذه الياءات في "عليهم وإليهم ولديهم" عارضة أيضاً، إنما أصلهن ألف، وإنما ينقلبن إلى الياء عند اتصالهن بالمضمر، والياء عارضة غير لازمة فلم يعتد بها، وترك الهاء

---

[١] سورة الفاتحة: ٧.

[٢] سورة يوسف: ١٠٢.

[٣] سورة يونس: ١١.

[٤] سورة البقرة: ٦١.

[٥] سورة البقرة: ١٤١.

[٦] انظر: التذكرة في القراءات، ابن غلبون، المجلد الأول ٨٥-٨٩، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/٣٥ - ٤٠، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٢٧٢-٢٧٤.

على ضمتها الأصلية... وأيضاً فإنه ألزم الهاء الضم في هذه ثلاث الكلمات وخصها بذلك ليفرق بين الياء التي أصلها الألف، وبين الياء التي لا أصل لها في الألف"[1].

وأما ضم الميم إذا لحقتها همزة وصل، فهذا من أجل إحداث مماثلة مع ضمة الهاء، فضمة الميم أصلها همزة الوصل في "الذلة"، وهمزة الوصل هذه فتحة، فقلبت الفتحة ضمة لمماثلة ضمة الهاء[2]. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

عليهم ـَ لذلة ← عليهم ـُ لذلة ← عليهمُ الذلة.[3]

?layhumaḍḍullah ← ?layhumuḍḍullah

a [+ أمامية، + واسعة] ← u / [+ خلفية، + ضيقة] ـــ [+ خلفية، + ضيقة] u

تتحول الحركة (الأمامية الواسعة) إلى الحركة (الخلفية الضيقة) في الموقع الذي تكون فيه مسبوقة بالحركة (الخلفية الضيقة). والمماثلة تقدمية غير مباشرة.

ولكن لما سبقت الهاء (هاء الضمير) كسرة، قلبت حركتها إلى الكسرة لمماثلة الكسرة السابقة[4]، وتحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

قبلتهم ← قبلتهِم

qiblatihim ← qiblatihum

u [+ خلفية، + ضيقة] ← i / [+ أمامية، + ضيقة] ـــ [+ أمامية، + ضيقة] i

---

[1] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/٣٥-٣٦.

[2] انظر: السابق ١-٣٦.

[3] تحليل الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب، د. سمير ستيتية ٣٥.

[4] انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن ابي طالب ١/٣٧.

تتحول الحركة (الخلفية الضيقة) إلى الحركة (الأمامية الضيقة) في الموقع الذي تكـــون فيه مسبوقة بالحركة (الأمامية الضيقة). والمماثلة تقدمية غير مباشرة.

ولما كسرت الهاء لمماثلة كسرة التاء تحولت همزة الوصل (وهي هنا فتحة) إلى كســرة لمماثلة كسرة الهاء[1]، وتحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

قبلتهمُ التي ← قبلتِهمِ التي

qiblatihimallti ← qiblatihimillati

$$a\begin{bmatrix}+\text{أمامية}\\+\text{واسعة}\end{bmatrix} \longrightarrow i \begin{bmatrix}+\text{أمامية}\\+\text{ضيقة}\end{bmatrix} \Big/ i \begin{bmatrix}+\text{أمامية}\\+\text{ضيقة}\end{bmatrix} ____$$

تتحول الحركة (الأمامية الواسعة) إلى الحركة (الأمامية الضيقة) في الموقع الذي تكـون فيه مسبوقة بالحركة (الأمامية الضيقة). والمماثلة تقدمية غير مباشرة.

ثانياً: مماثلة الصوامت:

جاء سابقاً أن مماثلة الصوامت ذات سيرورة واضحة في قراءة حمزة، وتبرز مظـــاهر هذه المماثلة في قراءته في ما هو آت:

أ. المماثلة بين الجهر والهمس:

تتحول بعض الأصوات المهموسة في قراءة حمزة إلـــى أصـــوات مجـــهورة، بســـبب مجاورتها أصواتاً مجهورة. فقد قرأ الصاد في نحو:

---

[1] انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ٣٧/١.

* فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ *[1]، * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا[2]، * وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا *[3]، وشبهه، وفي نحو: * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ [4]، * أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ *[5]، * ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ *[6]، زاياً مفخمة، أو بتعبير المتقدمين بإشمام الصاد زاياً[7].

وحقيقة هذا النوع من التماثل الصوتي هو أن الصاد (وهو صوت مهموس) يفقد ظاهرة الهمس ليماثل الصوت المجهور الذي بعده[8]، فيصبح المهموس مجهوراً، فالصاد في (يصدر، فاصدع، أصدق)، قد وقعت ساكنة متبوعة بالدال، والدال صوت مجهور، أما الصاد فهي مهموسة، فأثرت فيها الدال، وأكسبتها صفة الجهر، ولما كانت الزاي هي النظير المجهور المفتوح (غير مطبق) للصاد، تحولت الصاد إلى زاي مطبقة. ويمكن تحليل ذلك فونولوجيا كالآتي:

يصدر ← يزدر

yaṣdur ← yaẓdur

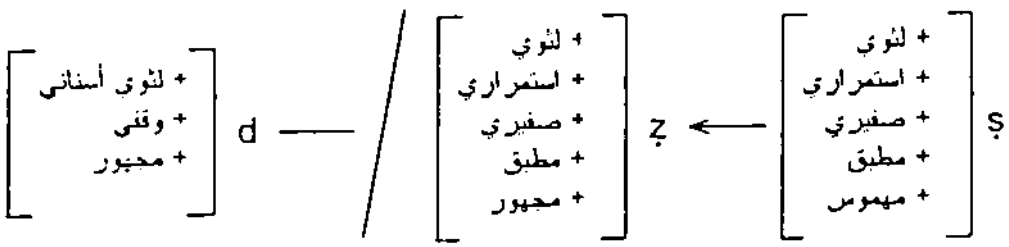

---

[1] سورة الحجر: ٩٤.

[2] سورة الزلزلة: ٦.

[3] سورة النساء: ١٢٢.

[4] سورة الغاشية: ٢٢.

[5] سورة الطور: ٣٧.

[6] سورة الفاتحة: ٦.

[7] انظر: السبعة في القراءات، ابن مجاهد ١٠٦ و ١٨٦، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/٣٤و ٣٩٣-٣٩٤، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢/٢٥٠-٢٥١ و ٣٧٨-٣٧٩.

[8] تحليل الظواهر الصوتية في قراءة الكسائي، د. سمير ستيتية ٩٦.

وقال ابن جني في الإدغام الصغير: "وَمِنْهُ تَقْرِيبُ الْحَرْفِ مِنَ الْحَرْفِ نَحْوَ قَوْلِهِمْ فِي (مَصْدَرْ): مَزْدَرْ، وَفِي (التَّصْدِيرِ): التَّزْدِيرِ وَعَلَيْهِ قَوْلُ الْعَرَبِ فِي الْمَثَلِ: لَمْ يُحْرَمْ مَنْ فُزِدَ لَهُ، أَصْلُهُ: فُصِدَ لَهُ، ثُمَّ أُسْكِنَتِ الْعَيْنُ، عَلَى قَوْلِهِمْ فِي (ضُرِبَ): ضُرْبَ، فَلَمَّا سَكُنَتِ الصَّادُ فَضَعُفَتْ بِهِ وَجَاوَرَتِ الصَّادُ وَهِيَ مَهْمُوسَةٌ، الدَّالَ وَهِيَ مَجْهُورَةٌ قُرِّبَتْ مِنْهُما بِأَنْ أُشِمَّتْ شَيْئاً مِنْ لَفْظِ الزَّايِ الْمُقَارِبَةِ لِلدَّالِ بِالْجَهْرِ"[1].

ويتضح من كلام سيبويه أن الصاد تقلب زايا مطبقة إذا جاءت ساكنة وبعدها دال، فإذا كان ذلك كذلك،فكيف يمكن تفسير قلب الصاد زايا مطبقة في (سراط، ومسيطر، والمسيطرون)؟ فهذه الصاد متحركة، كما أنها لم تتبع بدال.

يقول سيبويه: "فَإِنْ تَحَرَّكَتِ الصَّادُ لَمْ تُبْدَلْ (أَيْ لَمْ تُقْلَبْ زَايًا خَالِصَةً) لِأَنَّهُ قَدْ وَقَعَ بَيْنَهُما شَيْءٌ، فَامْتُنِعَ مِنَ الْإِبْدَالِ، إِذْ كَانَ يُتْرَكُ الْإِبْدَالُ وَهِيَ سَاكِنَةٌ، وَلَكِنَّهُمْ قَدْ يُضَارِعُونَ بِهَا نَحْوَ صَادِ (صَدَقَتْ)، وَالْبَيَانُ فِيهَا أَحْسَنُ، وَرُبَّما ضَارَعُوا بِهَا وَهِيَ بَعِيدَةٌ[2]، نَحْوَ: مَصَابِرَ وَالسَّوَاطِ؛ لِأَنَّ الطَّاءَ كَالدَّالِ، وَالْمُضَارَعَةُ هُنَا وَإِنْ بَعُدَتْ الدَّالُ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِهِمْ: صَوْيِقٌ وَمَصَالِيقُ، فَأَبْدَلُوا السِّينَ صَادًا، كَمَا أَبْدَلُوهَا حَيْثُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا شَيْءٌ فِي: صُقْتُ ونحوه"[3].

والحقيقة أن كون الطاء صوتا مجهورا مجمع عليه عند النحاة والقراء، يقول سيبويه: "لَوْلَا الْإِطْبَاقُ لَصَارَتِ الطَّاءُ دَالًا، وَالصَّادُ سِينًا، وَالطَّاءُ دَالًا، وَلَخَرَجَتِ الصَّادُ مِنَ الْكَلَامِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ مَوْضِعِهَا غَيْرُهَا"[4]. فمقابلته الطاء بالدال يعني أن الطاء كانت تنطق مجهورة لا

---

[1] الخصائص، ابن جني ٢/١٤٤.

[2] قول سيبويه "وربما ضارعوا بها وهي بعيدة" يدل على معرفة القدماء للتماثل الذي يقع بين صوتين يفصل بينهما فاصل أو أكثر، والذي يسمى عند المحدثين بالمماثلة غير المباشرة.

[3] الكتاب، سيبويه ٤/٤٧٨.

[4] السابق ٤/٤٣٦.

مهموسة. وقد أكد هذا مكي بن أبي طالب، وقال بجهر الطاء، وذلك عند تعليله لقراءة حمزة بقلب الصاد زاياً مطبقة في (الصراط وصراط)، قال: "وحجة من قرأه (أي الصاد) بين الصاد والزاي، وهو خلف عن حمزة، أنه لما رأى الصاد فيها مخالفة للطاء في الجهر، لأن الصاد حرف مهموس، والطاء حرف مجهور، أشم الصاد لفظ الزاي للجهر الذي فيها، فصار قبل الطاء حرف يشابهها في الإطباق وفي الجهر اللذين هما من صفة الطاء"[1]. ومثل هذا ما قاله ابن الجزري حين أراد أن يوضح الطريقة الصحيحة في نطق الصاد حين يكون متبوعاً بصوت يمكن أن يؤثر في نطق الصاد فقال: "والصاد ليحترز حال سكونها إذا أتى بعدها تاء أن تقترب من السين نحو: ولو حرصت، وحرصتم، أو طاء أن تقترب من الزاي نحو: اصطفى، ويصطفى، أو دال أن يدخلها التشريب عند من لا يجيزه نحو: أصدق، ويصدر، وتصدية"[2].

والحقيقة أن الأقوال السابقة تفضي إلى أن القدماء قد بنوا تعليلهم لنطق الصاد زاياً مطبقة في الكلمات السابقة على حقيقة صوت الطاء، الذي هو عندهم صوت مجهور، فماثلت الصاد الطاء، واكتسبت منها صفة الجهر، وتحولت على أثر ذلك إلى زاي مطبقة. فتكون المماثلة بذلك رجعية غير مباشرة. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

صراط ← زراط

Ṣirâṭ ← Żirâṭ

$$\begin{bmatrix} +\text{صفيري} \\ +\text{مطبق} \\ +\text{مهموس} \end{bmatrix} ṣ \longleftarrow \begin{bmatrix} +\text{صفيري} \\ +\text{مطبق} \\ +\text{مهموس} \end{bmatrix} ż \;/\; ___ \begin{bmatrix} +\text{وقفي} \\ +\text{مطبق} \\ +\text{مجهور} \end{bmatrix} ṭ$$

---

[1] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ٣٤/١.

[2] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢١٩/١.

تتحول الصاد /ṣ/ إلى زاي مطبقة [ẓ] في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالطاء /ṭ/. والمماثلة رجعية غير مباشرة.

ومن هنا، وفي ضوء المعطيات السابقة، فإن تحول الصاد إلى زاي مطبقة، يكون عندما تكون (الصاد) ساكنة، أو متحركة متبوعة بالدال أو الطاء (المجهورة). ولكن هذه الطاء المجهورة كما وصفها سيبويه بقوله: الطاء كالتاء، وقوله: لولا الإطباق لصارت الطاء دالا، وكما هو واضح من المعادلة السابقة، تنطبق على صوت الضاد في الوقت الحاضر، فهي صوت لثوي أسناني، وقفي، مطبق، مجهور، وهي النظير المطبق للدال، وعليه يمكن القول إن نطق الطاء القديمة يماثل الضاد الفصيحة الحالية. وهذا أحد ثلاثة احتمالات خرج بها الدكتور كمال بشر عند محاولته تفسير التقابل بين الطاء والدال في كلام سيبويه[1].

وقد كان للدكتور سمير ستيتية، رأي في ما خرج به الدكتور بشر، وما ذهب إليه، يقول فيه: "إن النص الذي نقلناه من ابن الجزري[2] يدفع الاحتمالين الأول والثالث، ولا يبقى إلا الاحتمال الثاني، وهو أن الطاء كان ينطق كما ننطق نحن الضاد في العربية الفصيحة المعاصرة، وهي التي يقرأ بها القرآن الكريم. فلو لم يكن الطاء مجهوراً لم يكن ثمة داع إلى أن يحذر ابن الجزري من نطق الصاد مشرباً بالزاي عندما يكون متبوعاً بالطاء: "والصاد ليحترز حال سكونها إذا أتى بعدها طاء أن يقترب من الزاي نحو: اصطفى، ويصطفي". وهذا يعني بوضوح أن علماء العربية وعلماء القراءات لم يخطئوا في وصف الطاء عندما عدوه مجهوراً. هذا وقد سمعت بعض سكان صنعاء والقرى المجاورة لها ينطقون الطاء ضاداً، بل سمعت بعض القراء اليمنيين ينطقون الطاء ضاداً في الإذاعة المرئية والمسموعة. وهذا يدل على أن نطق

---

[1] انظر: علم اللغة العام (الأصوات)، د. كمال بشر ١٠٣.

[2] نص ابن الجزري الذي قصده الدكتور سمير هو النص السابق الوارد صفحة (٨٣) من البحث.

الطاء على هذا النحو هو النطق العربي الصحيح الذي وصفه علماء العربية وعلماء القراءات"[1].

ومن هنا، وفي ضوء هذا الفهم، يمكن القول إن تحول الصاد زاياً مطبقة، وفي ضوء وصف الأصوات في العربية الفصيحة المعاصرة، يكون عندما تكون الصاد ساكنة أو متحركة متبوعة بالدال أو الضاد تبعية مباشرة أو غير مباشرة. وهذا ما توضحه المعادلة الآتية:

ص [+ صفيري + مطبق + مهموس] ← ص [+ صفيري + مطبق + مجهور] / ـــــ ص [+ وقفي + مجهور]

يتحول الصامت (الصفيري المطبق المهموس) إلى الصامت (الصفيري المطبق المجهور) في الموقع الذي يكون فيه متبوعاً بالصامت (الوقفي المجهور). والمماثلة رجعية مباشرة وغير مباشرة.

ب. الإدغام

يكثر الإدغام في قراءة حمزة، هذا الإدغام الذي تجيزه القوانين الصوتية التي تحكم تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض، والذي جوزه -كما سنرى- علماء العربية، وضربوا له الأمثلة الكثيرة، وأوضحوا بجلاء الأسباب الصوتية المقنعة التي تجوزه.

ويمكن حصر مجالات الإدغام في هذه القراءة في ما هو آت:

---

[1] تحليل الظواهر الصوتية في قراءة الكسائي، د. سمير ستيتية ١٠٠.

١. إدغام صوت وقفي في صوت وقفي:

قرأ حمزة بإدغام الدال في الجيم في نحو "قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ "[١]، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا "[٢] وشبهه، كما قرأ بإدغام التاء في الطاء في نحو: " بَيَّتَ طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ "[٣]، وشبهه، وقرأ كذلك بإدغام التاء في الجيم في نحو: "كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم "[٤]، "فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا "[٥] وشبهه[٦].

أما إدغام الدال في الجيم فجائز وحسن، وإن تباعدا قليلاً في المخرج، إذ الدال من حروف طرف اللسان، والجيم مخرجها من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى[٧]. قال مكي بن أبي طالب: "وحجة من أدغم دال قد في الجيم هي المؤاخاة التي بينهما، وذلك أنهما من حروف الفم، وأنهما مجهوران، وأنهما شديدان، فحسن الإدغام لهذا الاشتراك"[٨].

والحقيقة أن وصف سيبويه لمخرج الجيم بأنها من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، وما قاله عنها في موضع آخر من أنها مجهورة[٩]، لا يتناسب وحقيقة الجيم في العربية الفصيحة المعاصرة، فما هي هذه الجيم إذاً؟ وكيف كانت تنطق؟

---

[١] سورة آل عمران: ٤٩.

[٢] سورة الطلاق: ٣.

[٣] سورة النساء: ٨١.

[٤] سورة النساء: ٥٦.

[٥] سورة الحج: ٣٦.

[٦] انظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ١/٢٤٠-٢٦٥، والسبعة في القراءات، ابن مجاهد ١٢٢-١٢٣، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٤٤-١٦٧، وغيث النفع في القراءات السبع، علي النوري الصفاقسي ٣١١-٣٤٠، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٣٠٠-٣٠٢ و ٢/٣-١٩.

[٧] الكتاب، سيبويه ٤/٤٣٣.

[٨] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٤٤.

[٩] انظر: الكتاب، سيبويه ٤/٤٣٤.

ناقش الدكتور إبراهيم أنيس هذه القضية قائلاً: "لَيْسَ لَدَيْنا مِنْ دَليلٍ يُوَضِّحُ لَنا كَيْفَ كانَ يُنْطَقُ بِالْجيمِ بَيْنَ فُصَحاءِ الْعَرَبِ، لأَنَّها تَطَوَّرَتْ تَطَوُّراً كَبيْرًا في اللَّهْجاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْحَديْثَةِ، فَطَوْرًا نَسْمَعُها في أَلْسِنَةِ الْقاهِرِيِّيْنَ خالِيَةً مِنَ التَّعْطيْشِ، وَهِيَ جيْمٌ أَقْصى الْحَنَكِ، وَحيْنًا نَجِدُها وَقَدْ بُوْلِغَ في تَعْطيْشِها كَما هُوَ الْحالُ في سوْرْيا، وَأُخْرى نَجِدُها صَوْتًا آخَرَ يَبْعُدُ إِلى حَدٍّ كَبيْرٍ عَنِ الصَّوْتِ الأَصْلِيِّ مِثْلُ نُطْقِ أَهالي الصَّعيْدِ حيْنَ يَنْطِقوْنَ بِها دالاً.

وَيَظْهَرُ أَنَّ الْجيْمَ الَّتيْ نَسْمَعُها الآنَ مِنْ مُجيْدي الْقِراءَةِ الْقُرْآنِيَّةِ، هِيَ أَقْرَبُ الْجَميْعِ إِلى الْجيْمِ الأَصْلِيَّةِ، إِنْ لَمْ تَكُنْ هِيَ نَفْسُها، وَالْجيْمُ الَّتيْ نَسْمَعُها الآنَ مِنَ الْمُجيْدِيْنَ لِلْقِراءَةِ صَوْتٌ مَجْهوْرٌ، يَتَكَوَّنُ بِأَنْ يَنْدَفِعَ الْهَواءُ إِلى الْحُنْجَرَةِ فَيُحَرِّكُ الْوَتَرَيْنِ الصَّوْتِيَّيْنِ، ثُمَّ يَتَّخِذُ مَجْراهُ في الْحَلْقِ وَالْفَمِ حَتّى يَصِلَ إِلى الْمَخْرَجِ، وَهُوَ عِنْدَ الْتِقاءِ وَسَطِ اللِسانِ بِوَسَطِ الْحَنَكِ الأَعْلى الْتِقاءً يَكادُ يَنْحَبِسُ مَعَهُ مَجْرى الْهَواءِ، فَإِذا انْفَصَلَ الْعُضْوانِ انْفِصالاً بَطيْئًا، سُمِعَ صَوْتٌ يَكادُ يَكوْنُ انْفِجارِيًّا، وَهُوَ الْجيْمُ الْعَرَبِيَّةُ الْفَصيْحَةُ. فَانْفِصالُ الْعُضْوَيْنِ هُنا أَبْطَأُ قَليْلاً مِنْهُ في حالَةِ الأَصْواتِ الشَّديْدَةِ الأُخْرى، وَلِهذا يُمْكِنُ أَنْ تُسَمّى الْجيْمُ الْعَرَبِيَّةُ الْفَصيْحَةُ صَوْتًا قَليْلَ الشِّدَّةِ... عَلى أَنَّ الْجيْمَ الْمُسَمّاةَ بِالْفَصيْحَةِ لا تَزالُ تُسْمَعُ حَتّى الآنَ في بَعْضِ لَهْجاتِ صَعيْدِ مِصْرَ، وَمِنْ بَعْضِ الْقَبائِلِ الْعَرَبِيَّةِ السّوْدانِيَّةِ"[1].

وهو بهذا قد وصف نطق الجيم كما أشار إليه سيبويه، وغيره وصفاً دقيقاً، وذلك يجعلنا نقول إن الجيم صوت غاري انفجاري (وقفي) مجهور[2]. وعلى هذا فهو يشترك مع الدال في الصفات غير أنه يخالفه في المخرج، ولما في الانتقال من مخرج الدال إلى مخرج الجيم من

---

[1] الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ٧٧- ٧٨.

[2] السابق، الصفحات نفسها، وأثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، د. عبد الصبور شاهين ٢٢٩.

صعوبة مماثل الدال الجيم في مخرجه، فتحول إلى جيم وأدغم فيه. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

قد جعل ← قجّعل

qadga?al ← qaggaʔal

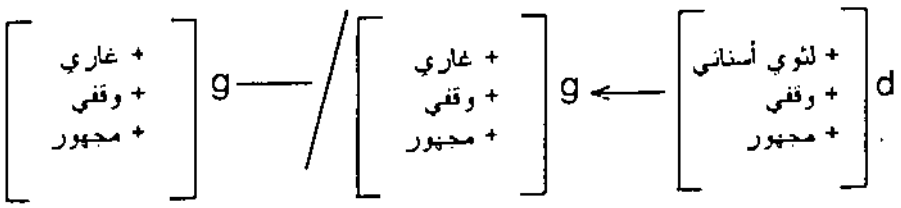

تتحول الدال /د/ إلى جيم [ج] في الموقع الذي جاءت فيه متبوعة بالجيم / ج/. والمماثلة رجعية مباشرة.

وأما إدغام التاء في الطاء فقد قال به العلماء وجوزوه، قال سيبويه: "وَتُصَيِّرُ الدَّالُ مَعَ الطَّاءِ طَاءً، وَذَلِكَ: اقْطُطَّالِبَا، وَكَذَلِكَ التَّاءُ، وَهُوَ قَوْلُكَ: "انْعَطَّالِبَا"، لِأَنَّكَ لا تُجْحِفُ بِهِمَا فِي الْإِطْبَاقِ وَلا فِي غَيْرِهِ"[1]. وأكد المبرد هذا بقوله: "فإذا لقيت التاء دالاً أو طاء كان الإدغام أحسن؛ لأن مخرج الثلاثة واحد"[2].

وجعل ابن مجاهد إدغام التاء في الطاء في نحو "وقالت طائفة" واجباً بقوله: "وأما ما لا يجوز إظهاره فقوله: " وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ "[3] و " إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا "[4]، ذلك مدغم كله لا يجوز إلا ذلك"[5].

ويمكن تعليل هذه الظاهرة بأن التاء ماثلت الطاء واكتسبت منها صفة الإطباق، فتحولت إلى طاء، وذلك لصعوبة الانتقال من التاء إلى الطاء. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

---

[1] الكتاب سيبويه ٤/٤٦٠، وانظر: الأصول في النحو، ابن السراج ٣/٤٢٣.

[2] المقتضب، المبرد ١/٢٥١، وانظر: شرح المفصل، ابن يعيش ١/١٣١-١٣٢.

[3] سورة آل عمران: ٧٢.

[4] سورة آل عمران: ١٢٢.

[5] السبعة في القراءات، ابن مجاهد ١١٥، وانظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ١/٢٤١.

بيت طائفة ← بيطّائفة

Bayyaṭṭá?iſah ← Bayyaṭṭá?iſah

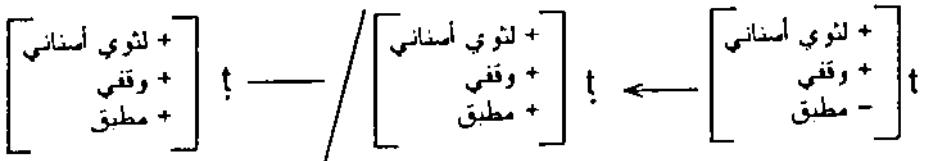

تتحول التاء / t/ إلى طاء /ṭ/ في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالطاء / ṭ/. والمماثلة رجعية مباشرة.

وأما إدغام التاء في الجيم، فقد ذكره ابن عصفور مشيراً إلى أن سيبويه لم يحفظ ذلك، فقال: "وتدغم أيضاً هذه الستة (من بينها التاء) في الضاد والجيم والشين والصاد والزاي والسين، ولم يحفظ سيبويه إدغامها في الجيم"[1].

وجاء في الكشف "اختلف القراء في إدغام تاء التأنيث وإظهارها عند ستة أحرف، وهن: الجيم والطاء والصاد والتاء والسين والزاي"[2].

ويمكن تعليل الإدغام في هذين الصوتين بأن التاء صوت لثوي مهموس، والجيم صوت غاري مجهور، فاجتمعت المتضادات وهي الجهر والهمس، ثم المخرج، فما كان من التاء إلا أن اقتربت من الجيم لتزيل هذا التضاد الذي يعيق النطق، فاكتسبت جهرها، وانتقلت إلى مخرجها، فأصبحت جيماً. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

نضجت جلودهم ← نضججلودهم

Naḍagatgulúduhum ← Naḍagaggulúduhum

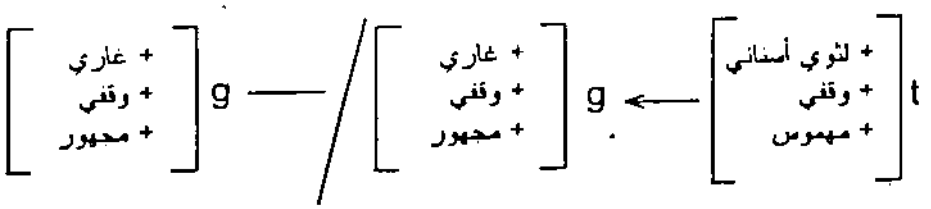

---

[1] الممتع في التصريف، ابن عصفور الإشبيلي ٢/٧٠١.

[2] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٥٠.

تتحول التاء / ت/ إلى جيم [ج] في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالجيم / ج/. والمماثلة رجعية مباشرة.

ويمكن جمع المعادلات السابقة في المعادلة الآتية:

$$\text{ص} \begin{bmatrix} \\ + \text{وقفي} \end{bmatrix} \longleftarrow \text{ص}_{1} \begin{bmatrix} \\ + \text{وقفي} \end{bmatrix} \Big/ \text{ــــ} \; \text{ص}_{1} \begin{bmatrix} \\ + \text{وقفي} \end{bmatrix}$$

٢. إدغام صوت وقفي في صوت استمراري:

قرأ الإمام حمزة بإدغام "التاء" في (الصاد) في نحو: "حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ"[١]، و (السين) في نحو: "أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ"[٢]، و(الزاي) في نحو: "كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا"[٣]، و(الثاء) في نحو "كَذَّبَتْ ثَمُودُ"[٤] و(الذال) في نحو: "وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا"[٥]، و(الظاء) في نحو: "وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً"[٦] وشبهه[٧].

---

[١] سورة النساء: ٩٠.

[٢] سورة البقرة: ٢٦١.

[٣] سورة الإسراء: ٩٧.

[٤] سورة الشمس: ١١.

[٥] سورة الذاريات: ١.

[٦] سورة الأنبياء: ١١.

[٧] انظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ١/٢٤٠-٢٦٥، والسبعة في القراءات، ابن مجاهد ١٢٢-١٢٣، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٥٠، وغيث النفع في القراءات السبع، علي النوري الصفاقسي ٣١١-٣٤٠، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٣٠٠-٣٠٢ و ٢/٣-١٩.

كما قرأ بإدغام "الدال" في (الصاد) في نحو: " لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ "[1]، و(الظاء) في نحو: " فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ "[2]، و(الضاد) في نحو: "قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا "[3]، و(الشين) في نحو: " قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا "[4]، و (السين) في نحو: " قَدْ سَمِعَ "[5]، و (الزاي) في نحو: "وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ "[6]، و(الذال) في نحو: " وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ "[7] وشبهه[8].

وقرأ كذلك بإدغام "الباء" في "الفاء" في نحو: "أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ "[9]، وإدغام "الباء" في "الميم" في نحو: " يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا "[10] وشبه ذلك[11].

والإدغام في الأصوات السابقة تفسره القوانين الصوتية، وقد أجاد علماء العربية تفسيره، قال سيبويه: "والظَّاءُ وَالثَّاءُ وَالذَّالُ أَخَوَاتُ الطَّاءِ وَالدَّالِ وَالتَّاءِ، لا يَمْتَنِعُ بَعْضُهُنَّ مِنْ بَعْضٍ فـي

---

[1] سورة الفتح: ٢٧.

[2] سورة الطلاق: ١.

[3] سورة الأنعام: ٥٦.

[4] سورة يوسف: ٣٠.

[5] سورة المجادلة: ١.

[6] سورة الملك: ٥.

[7] سورة الأعراف: ١٧٩.

[8] انظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ١/٢٤٠-٢٦٥، والسبعة في القراءات، ابن مجاهد ١٢٢-١٢٣، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٤٤، وغيث النفع في القراءات السبع، علي النوري الصفاقسي ٣١١-٣٤٠، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٣٠٠-٣٠٢ و ٢/٣-١٩.

[9] سورة النساء: ٧٤.

[10] سورة هود: ٤٢.

[11] انظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ١/٢٤٠-٢٦٥، والسبعة في القراءات، ابن مجاهد ١٢٢-١٢٣، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن ابي طالب ١/١٤٤-١٦٧، وغيث النفع في القراءات السبع، علي النوري الصفاقسي ٣١١-٣٤٠، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٢٤٠-٢٦٥.

الإدْغامِ"[1]، وقال أيضاً: "والطّاءُ وَالدّالُ وَالتّاءُ يُدْغَمْنَ كُلُّهُنَّ في الصّادِ والزّايِ والسّينِ لِقُرْبِ الْمَخْرَجَيْنِ، لِأَنَّهُنَّ مِنَ الثَّنايا وَطَرَفِ اللِسانِ"[2].

ومما قاله في إدغام الباء في الميم قوله: "وَأَمّا الْإِدْغامُ في الْمِيمِ فَنَحْو: اصْحَمَّطَرّاً، تُرِيدُ: اصْحَبْ مَطَرّاً، مُدْغَمٌ"[3] وقال في إدغام الباء في الفاء: "والْباءُ قَدْ تُدْغَمُ في الْفاءِ لِلتَّقارُبِ، وَلِأَنَّها قَدْ ضارَعَتِ الْفاءَ، فَقَوِيَتْ عَلى ذلِكَ لِكَثْرَةِ الْإِدْغامِ في حُرُوفِ الْفَمِ، وَذلِكَ قَوْلُكَ: اذْهَفّي ذلِكَ، فَقُلِبَتِ الْباءُ فاءً كَما قُلِبَتِ الْباءُ مِيمًا في قَوْلِكَ: اصْحَمَّطَرّاً"[4]، وقال في إدغام الدال في الشين: "وَتُدْغَمُ الطّاءُ وَالدّالُ وَالتّاءُ في الشّينِ لِاسْتِطالَتِها حِينَ اتَّصَلَتْ بِمَخْرَجِها"[5].

أما عن إدغام التاء في الصاد فقال مكي بن أبي طالب: "مع ما في التاء من المؤاخاة بينها وبين الصاد من الهمس، لكن الصاد تقوى بالصفير والإطباق والاستعلاء على التاء، فحسن الإدغام"[6]. فالتاء والصاد صوتان مهموسان، إلا أن التاء صوت وقفي مفتوح، أما الصاد فهو صوت استمراري مطبق صفيري، فكانت صعوبة الانتقال من الوقف والانفتاح إلى الاستمرار والصفير والإطباق أن أثرت الصاد في التاء، وحولتها إلى صوت استمراري صفيري مطبق، وهو صوت الصاد، ثم أدغمت الصادان في صاد واحدة مشددة. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

حصرت صدورهم ← حصرصُّدورهم

huṣiratṣudûruhum ← huṣiraṣṣudûruhum

---

(1) الكتاب، سيبويه ٤/٤٦٤.

(2) السابق ٤/٤٦٢-٤٦٣.

(3) السابق ٤/٤٤٧.

(4) الكتاب، سيبويه ٤/٤٤٨.

(5) السابق ٤/٤٦٦.

(6) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٥٠.

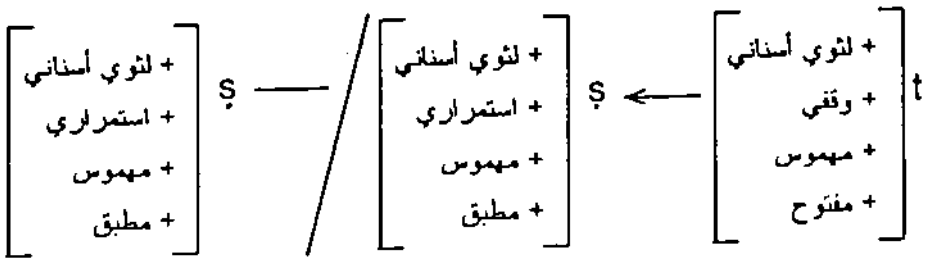

تتحول التاء /t/ إلى صاد [ṣ] في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالصاد/ṣ/. والمماثلة رجعية مباشرة.

وأما إدغام التاء في السين فقد قال مكي عنه: "وحجة من أدغم التاء في السين أن السين فيها صفير يقويها، وهي مؤاخية للتاء في المخرج من الفم، ومؤاخية لها في الهمس، ومؤاخية لها في إدغام لام التعريف فيهما، لكن التاء حرف فيه شدة، تقوم الشدة في القوة مقام الصفير الذي في السين، فقد تساويا، فحسن الإدغام، لأنك لا تنقل الأول إلى ضعف، بل تنقله إلى مثل حاله من القوة والضعف، على أن الصفير أقوى من الشدة، فحسن الإدغام"[1].

فالتاء والسين صوتان مهموسان متقاربان في المخرج، إلا أن التاء صوت وقفي، والسين صوت استمراري صفيري، فلما كانت الصعوبة في الانتقال من الوقف إلى الاستمرار تحولت التاء إلى سين بأن تحولت إلى صوت استمراري صفيري، ومخرجه من اللثة والأسنان. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

أنبتت سبع ← أنبتّسبع

?anbatatsab? ← ?anbatssab?

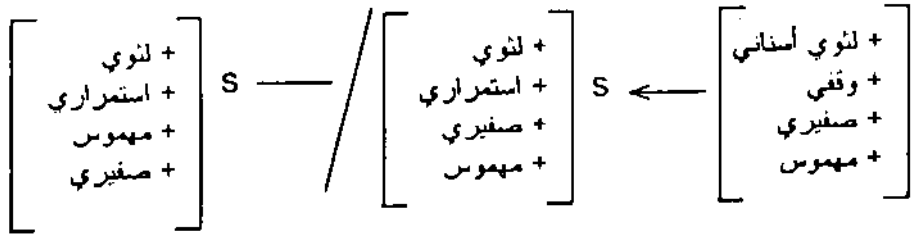

---

[1] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٥٠.

تتحول التاء / t/ إلى سين [s] في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالسين / s/. والمماثلة رجعية مباشرة.

وأدغمت التاء في الزاي لقربهما في المخرج، ولما في الزاي من الجهر والصفير[1]. فالتاء صوت لثوي وقفي مهموس، والزاي صوت لثوي أسناني صفيري مجهور، فأثرت الزاي في التاء وأكسبتها صفتي الجهر والصفير، كما نقلت مخرجها إلى اللثة، فحولتها إلى زاي مثلها. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

خبت زدناهم ← خبزّدناهم

Xabatzidnáhum ← Xabazzidnáhum

$$\begin{bmatrix} +\text{لثوي أسناني} \\ +\text{وقفي} \\ +\text{مهموس} \end{bmatrix} t \longleftarrow \begin{bmatrix} +\text{لثوي} \\ +\text{استمراري} \\ +\text{مجهور} \end{bmatrix} z \longleftarrow \Big/ \begin{bmatrix} +\text{لثوي} \\ +\text{استمراري} \\ +\text{مجهور} \end{bmatrix} z$$

تتحول التاء / t/ إلى الزاي [z] في الموقع الذي تكون متبوعة فيه بالزاي /z/. والمماثلة رجعية مباشرة.

أما إدغام التاء في الثاء فقال مكي في تعليله: "إن الثاء حرف فيه بعض الشدة، والرخاوة أغلب عليه، والتاء حرف مهموس، فكأنما تقاربا لاشتراكهما في الهمس والمخرج"[2]، فالتاء والثاء صوتان مهموسان إلا أن التاء صوت لثوي أسناني وقفي، والثاء بين أسناني استمراري، فصعب الانتقال من الصوت اللثوي الأسنانى الوقفي، إلى الصوت البين الأسنانى الاستمراري، فأثرت الثاء في التاء وحولتها ثاء بأن أكسبتها صفة الاستمرار، ونقلت موضعها إلى بين الأسنان. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

---

[1] انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٥٠ -١٥١.

[2] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٥٠-١٥١.

كذبت ثمود ← كذبتّمود

Kaḏḏabaṯṯamúd ← Kaḏḏabaṯṯamúd

$$\begin{bmatrix} +\text{لثوي أسناني} \\ +\text{وقفي} \\ +\text{مهموس} \end{bmatrix} t \longleftarrow \begin{bmatrix} +\text{بين أسناني} \\ +\text{استمراري} \\ +\text{مهموس} \end{bmatrix} \underline{t} \;/\; ___ \begin{bmatrix} +\text{بين اسناني} \\ +\text{استمراري} \\ +\text{مهموس} \end{bmatrix} \underline{t}$$

تتحول التاء / ت/ إلى ثاء |ṯ| في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالثـــاء / ṯ/. والمماثلـــة رجعية مباشرة.

وكما كانت صعوبة الانتقال من التاء إلى الثاء كانت الصعوبة في الانتقال من التاء إلـى الذال، وزاد في ذلك أن الزاي مجهورة. فالتاء صوت لثوي أسناني وقفي مهموس، والذال لثـوي استمراري مجهور، فأثرت الذال في التاء وحولتها ذالاً بأن أكسبتها صفة الجهر، ونقلت مخرجها إلى بين الأسنان فماثلتها، إلا أن هذه المماثلة سبقها سقوط للحركة، وهي الكسرة، لمماثلة التـــاء والذال. ويمكن توضيح ذلك فونولوجياً كالآتي:

والذاريات ذروا ← والذاريانّروا

Waḏḏáriyáṯiḏarwá ← Waḏḏáriyáḏḏarwá

$$\begin{bmatrix} +\text{أمامية} \\ +\text{ضيقة} \\ +\text{قصيرة} \end{bmatrix} i \longleftarrow \phi \;/\; \begin{bmatrix} +\text{لثوي أسناني} \\ +\text{وقفي} \\ +\text{مهموس} \end{bmatrix} t \;___ \begin{bmatrix} +\text{بين أسناني} \\ +\text{استمراري} \\ +\text{مجهور} \end{bmatrix} \underline{d}$$

تسقط الحركة المعيارية الأولى / i/ في الموقع الذي تكون فيـــه مســبوقة بالتـــاء / ت/ ومتبوعة بالذال / ḏ/. والمماثلة مباشرة مزدوجة (أمامية ورجعية).

ثم ماثلت التاء الذال وتحولت ذالاً كما في المعادلة الآتية:

$$\begin{bmatrix} +\text{لثوي أسناني} \\ +\text{وقفي} \\ +\text{مهموس} \end{bmatrix} t \longleftarrow \begin{bmatrix} +\text{بين أسناني} \\ +\text{استمراري} \\ +\text{مجهور} \end{bmatrix} \underline{d} \;/\; ___ \begin{bmatrix} +\text{بين أسناني} \\ +\text{استمراري} \\ +\text{مجهور} \end{bmatrix} \underline{d}$$

تتحول التاء / t/ إلى الذال [ḍ] في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالذال / ḍ/. والمماثلة رجعية مباشرة.

وللعلة التي ماثلت التاء من أجلها الذال ماثلت التاء الظاء، وزاد في ذلك أن الظاء صوت مطبق في حين أن التاء صوت مطبق. وتحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

كانت ظالمة ← كانظّالمة

Kanatḍálimah ← Kanaḍḍálima

$$t \leftarrow \begin{bmatrix} +\text{لثوي أسناني} \\ +\text{وقفي} \\ +\text{مهموس} \\ +\text{مفتوح} \end{bmatrix} \quad ḍ \leftarrow \begin{bmatrix} +\text{بين أسناني} \\ +\text{استمراري} \\ +\text{مجهور} \\ +\text{مطبق} \end{bmatrix} \quad / \quad \begin{bmatrix} +\text{بين أسناني} \\ +\text{استمراري} \\ +\text{مجهور} \\ +\text{مطبق} \end{bmatrix} \quad ḍ$$

تتحول التاء / t/ إلى ظاء [ẓ] في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالظاء / ẓ/. والمماثلة رجعية مباشرة.

أما إدغام الدال في الصاد فقال مكي بن أبي طالب في تعليله: "أنهما اشتركا في المخرج من الفم ولأن لام المعرفة تدغم فيها، ولأن الدال فيها قوة بالجهر الذي فيها، ولأن الصاد فيها قوة مكررة بالإطباق والصفير والاستعلاء اللواتي فيها، فحصل للدال بإدغامها في الصاد قوة زائدة لأنك تبدل منها صاداً، والصاد أقوى من الدال لما ذكرنا، وهذا مما يحسن جواز الإدغام ويقويه"[1].

---

[1] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٤٥.

فالدال صوت لثوي أسناني وقفي مجهور مفتوح، والصاد لثوي استمراري مهموس صفيري مطبق، ولما صعب الانتقال من الدال إلى الصاد، ماثلت الدال الصاد، فتحولت إلى صوت استمراري مهموس صفيري بعد أن انتقل مخرجها إلى اللثة. ويمكن تحليل ذلك فونولوجيا كالآتي:

لقد صدق ← لقصّدق

Laqadṣadaq ← Laqaṣṣadaq

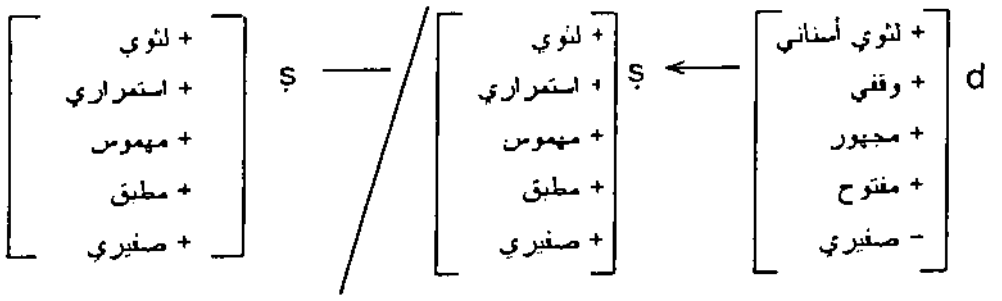

تتحول الدال / d/ إلى صاد [ṣ] في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالصاد / ṣ/. والمماثلة رجعية مباشرة.

وأدغمت الدال في الظاء لما في الظاء من الإطباق ثم لاختلاف مخرجهما[1]، فالدال والظاء صوتان مجهوران إلا أن مخرج الدال هو اللثة والأسنان، ومخرج الظاء بين الأسنان، وكذلك أن الظاء صوت مطبق فصعب الانتقال من الدال إلى الظاء، لذلك قلبت الدال ظاء بعد أن اكتسبت منها الإطباق وانتقلت إلى مخرجها. ويمكن تحليل ذلك فونولوجيا كالآتي:

فقد ظلم ← فقظّلم

Faqadḍalam ← Faqaḍḍalam

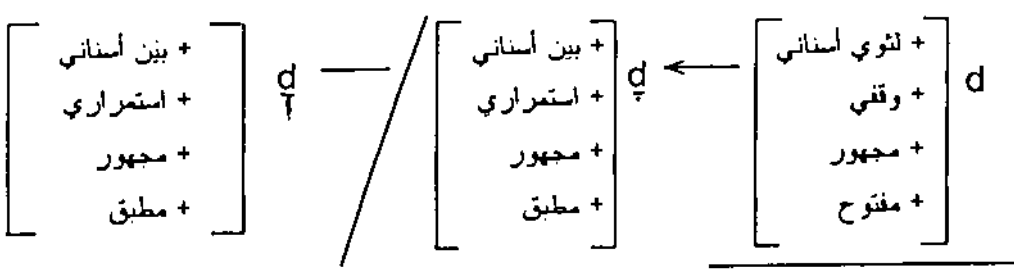

[1] انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٤٥.

تتحول الدال / d/ إلى ظاء [ظ] في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالظاء / ḍ/. والمماثلة رجعية مباشرة.

أما في إدغام الدال في الضاد فتنبغي الإشارة إلى أن الضاد لم تكن صوتاً وقفياً (انفجارياً) كما هو نطقها في العربية الفصحى المعاصرة، إذ تنطق كما تكون الدال المطبقة (المفخمة)، بل كانت صوتاً رخواً (استمرارياً احتكاكياً). هكذا وصفها علماء اللغة[1] وعلماء القراءات[2]. ولهذا كان الحديث عن إدغام الدال فيها في ما أدغم فيه الإمام حمزة صوت وقفي في صوت استمراري.

ومن هنا ولكون الدال صوتا وقفيا مجهورا مفتوحا مخرجه اللثة والأسنان، والضاد صوتا استمراريا مجهورا مطبقا مخرجه اللثة والأسنان[3]، كان في الانتقال من الدال إلى الضاد صعوبة فقلبت الدال ضاداً بعد أن ماثلتها في الاستمرار والإطباق والمخرج. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

قد ضللت ← قضّللت

qadḍalalt ← qaḍḍalalt

d [+ لثوي أسناني, + وقفي, + مجهور, + مفتوح] ← ḍ [+ لثوي أسناني, + استمراري, + مجهور, + مطبق] / ــــ ḍ [+ لثوي أسناني, + استمراري, + مجهور, + مطبق]

---

[1] انظر: الكتاب، سيبويه ٤/٤٣٥.

[2] انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٢٠٢.

[3] انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ٤٨-٤٩، وأثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، د. عبد الصبور شاهين ٢٢٧.

تتحول الدال / d/ إلى ضاد [ḍ] في الموقع الذي تكـــون فـــي متبوعـــة بالضـــاد / ḍ/. والمماثلة رجعية مباشرة.

وأدغمت الدال في الشين لكون الدال صوتا وقفيا مجهورا يخرج من اللثـــة والأســـنان، والشين استمراريا مهموسا صفيريا مخرجه اللثة، فصعب الانتقال من الدال إلى الشين لذلك ولما في الشين من التفشي، قلبت الدال شيناً بعد أن أثرت فيها الشين، وأكسبها الاستمرار والـــهمس، ونقلت مخرجها إلى اللثة. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

قد شغفها ← قشّغفها

qadšaġafahá ← qaššaġafahá

$$d \longrightarrow \begin{bmatrix} +\text{لثوي أسناني} \\ +\text{وقفي} \\ +\text{مجهور} \\ -\text{صفيري} \end{bmatrix} \quad / \quad \begin{bmatrix} +\text{لثوي} \\ +\text{استمراري} \\ +\text{مهموس} \\ +\text{صفيري} \end{bmatrix} __ \begin{bmatrix} +\text{لثوي} \\ +\text{استمراري} \\ +\text{مهموس} \\ +\text{صفيري} \end{bmatrix} \quad š \longrightarrow \quad š$$

تتحول الدال /d/ إلى شين [š] في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالشين / š/. والمماثلة رجعية مباشرة.

وللعلة التى أدغمت فيها الدال فى الشين أدغمت الدال في السين غير أن التفشي الذي في الشين ليس في السين. وتحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

قد سمع ← قسّمع

qadsamiʔ ← qassamiʔ

$$d \longrightarrow \begin{bmatrix} +\text{لثوي أسناني} \\ +\text{وقفي} \\ +\text{مجهور} \\ -\text{صفيري} \end{bmatrix} \quad / \quad \begin{bmatrix} +\text{لثوي} \\ +\text{استمراري} \\ +\text{مجهور} \\ +\text{صفيري} \end{bmatrix} __ \begin{bmatrix} +\text{لثوي} \\ +\text{استمراري} \\ +\text{مجهور} \\ +\text{صفيري} \end{bmatrix} \quad s \longrightarrow \quad s$$

تتحول الدال / d/ إلى سين [s] في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالسين / s/. والمماثلة رجعية مباشرة.

ولمثل العلة التي أدغمت فيها الدال في السين أدغمت الدال في الزاي، وزاد على ذلك أن الزاي صوت مجهور. وتحليل ذلك فونولوجياً كالأتي:

لقد زينا ← لقزّينا

Laqadzayyanná ← Laqazzayyanná

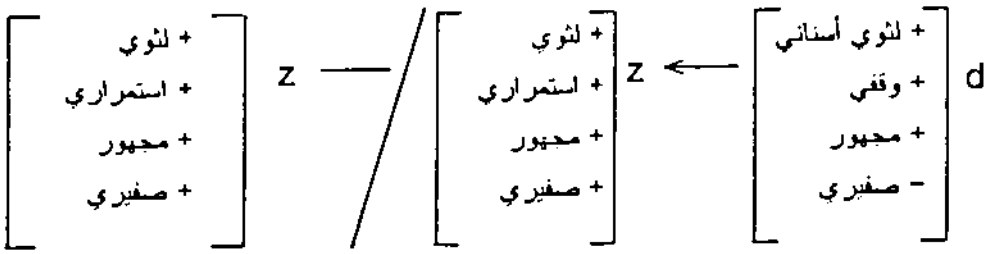

تتحول الدال / d/ إلى زاي [z] في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالزاي / z/. والمماثلة رجعية مباشرة.

وأدغمت الدال في الذال لاتفاقهما في الجهر واختلافهما في المخرج والوقف، فالدال والذال صوتان مجهوران، إلا أن الدال صوت وقفي يخرج من اللثة والأسنان، والذال صوت استمراري يخرج من بين الأسنان، فصعب الانتقال من الدال إلى الذال، لذا قلبت الدال ذالاً بعد أن أثرت فيها الذال فأكسبتها صفة الاستمرار ونقلت مخرجها إلى بين الأسنان. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالأتي:

لقد ذرأنا ← لقذّرأنا

Laqaḏara?ná ← Laqaḏḏara?ná

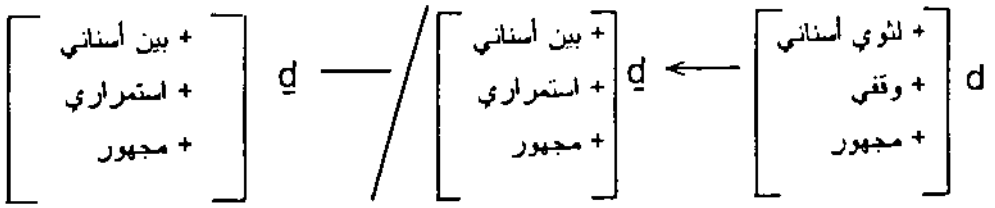

تتحول الدال / d/ إلى ذال [ḍ] في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالذال / ḍ/. والمماثلة رجعية مباشرة.

أما إدغام الباء في الفاء فمرده إلى اختلاف المخرج والصفات، فالباء صوت شفتاني وقفي مجهور، والفاء شفوي أسناني استمراري مهموس، وفي هذا الاختلاف المطلق صعوبة في النطق، إذ يصعب الانتقال من الباء إلى الفاء لاجتماع كل هذه المتناقضات، المخرج، الجهر والهمس، الوقف والاستمرار، لذلك قلبت الباء فاء بتأثير الفاء بعد أن انتقل مخرجها إلى الشفتين والأسنان، واكتسبت صفتي الهمس والاستمرار. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

يغلب فسوف ← يغلّفسوف

yaglebfasawfa ← yagleffasawfa

$$b \begin{bmatrix} + \text{شفتاني} \\ + \text{وقفي} \\ + \text{مجهور} \end{bmatrix} \longleftarrow f \Big/ \begin{bmatrix} + \text{شفتاني أسناني} \\ + \text{استمراري} \\ + \text{مهموس} \end{bmatrix} \longrightarrow f \begin{bmatrix} + \text{شفوي أسناني} \\ + \text{استمراري} \\ + \text{مهموس} \end{bmatrix}$$

تتحول الباء / b/ إلى فاء [f] في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالفاء / f/. والمماثلة رجعية مباشرة.

وأدغمت الباء في الميم لاختلافهما في الوقف والاستمرار واتجاه مجرى الهواء، فهما صوتان شفويان مجهوران، إلا أن الباء صوت وقفي يخرج الهواء في نطقه من الفم، والفاء استمراري يخرج الهواء عند نطقه من الأنف، وهذا الاختلاف في مخرج الهواء والوقف فيه صعوبة في النطق، فما كان من الباء إلا أن ماثلت الميم في الاستمرار ومجرى الهواء، فأصبحت ميماً. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

اركب معنا ← اركمّعنا

irkabma?anā ← irkamma?anā

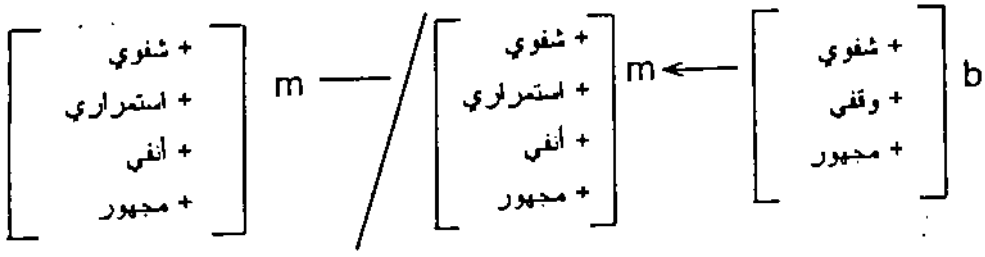

تتحول الباء / b/ إلى ميم [m] في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالميم / m/. والمماثلة رجعية مباشرة.

ومن هنا يمكن جمع المعادلات السابقة في المعادلة الآتية:

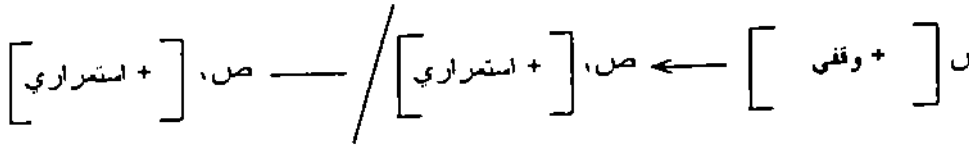

٣. إدغام صوت استمراري في صوت وقفي:

قرأ الإمام حمزة بإدغام "التاء" في (التاء) في نحو "قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ "[١]، "وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا "[٢]، كما أدغم "الذال" في (التاء) في نحو: "إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي "[٣]، "ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ "[٤]، و (الدال) في نحوك "إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ "[٥] وشبهه، وقرأ بإدغام "اللام" في (التاء) في نحو: "هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا "[٦]، وشبهه[٧].

---

[١] سورة البقرة: ٢٥٩.

[٢] سورة الزخرف: ٧٢.

[٣] سورة غافر: ٢٧.

[٤] سورة البقرة: ٥١.

[٥] سورة الحجر: ٥٢.

[٦] سورة مريم: ٦٥.

[٧] انظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ١/٢٤٠-٢٦٥، والسبعة في القراءات، ابن مجاهد ١٢٢-١٢٣، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٤٤-١٦٧، وغيث النفع في القراءات السبع، علي النوري الصفاقسي ٣١١-٣٤٠، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٣٠٠-٣٠٢ و ٢/٣-١٩.

والإدغام في هذه الأصوات جوزه علماء العربية، قال سيبويه: "وَالظَّاءُ وَالثَّاءُ وَالذَّالُ أَخَوَاتُ الطَّاءِ وَالدَّالِ وَالتَّاءِ، لا يَمْتَنِعُ بَعْضُهُنَّ مِنْ بَعْض في الْإِدْغام، لِأَنَّهُنَّ مِنْ حَيِّزٍ واحِدٍ، وَلَيْسَ بَيْنَهُنَّ إِلَّا ما بَيْنَ طَرَفِ الثَّنايا وَأُصُولِها"[1]، وقال: "وَكَذلِكَ الظَّاءُ وَالذَّالُ وَالثَّاءُ لِأَنَّهُنَّ مِنْ حُرُوفِ طَرَفِ اللِسانِ وَالثَّنايا، يُدْغَمْنَ في الطَّاءِ وَأَخَواتِها، وَيُدْغَمْنَ أَيْضاً جَمِيعاً في الصَّادِ والسِّينِ وَالزَّايِ، وَهُنَّ مِنْ حَيِّزٍ واحِدٍ، وَهُنَّ بَعْدُ في الْإِطْباقِ وَالرَّخاوَةِ كَالضَّادِ، فَصارَتْ بِمَنْزِلَةِ حُرُوفِ الثَّنايا"[2].

ويقول في إدغام اللام في التاء: "وَأَمَّا التَّاءُ فَهِيَ عَلى ما ذَكَرْتُ لَكَ، وَكَذلِكَ أَخَواتُها. وَقَدْ قُرِئَ بِها:بَتُؤْثِرُونَ الْحَياةَ الدُّنيا[3]، فَأُدْغِمَ اللامُ في التَّاءِ. وَقالَ مُزاحِمُ الْعُقَيْلِيُّ:

فَدَعْ ذا وَلكِنْ هَتِّعِينٌ مَتَيَّمًا ... عَلى ضَوْءِ بَرْقٍ آخِرَ اللَّيْلِ ناصِبِ

يُرِيدُ: هَلْ تُعِينُ؟"[4].

فأدغمت الثاء في التاء لاختلافهما في المخرج والوقف، فالثاء صوت بين أسناني استمراري مهموس، والتاء لثوي أسناني مهموس، ولما صعب الانتقال من مخرج الثاء الاستمرارية إلى مخرج التاء الوقفية، ماثلت الثاء التاء في الوقف بعد أن انتقل مخرجها إلى اللثة والأسنان. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

لبثتم ← لبتّم

Labiṯtum ← Labittum

---

[1] الكتاب، سيبويه ٤/٤٦٤.

[2] الكتاب، سيبويه ٤/٤٦٥.

[3] وهي قوله تعالى في سورة الأعلى: "بل تؤثرون الحياة الدنيا"، ١٦.

[4] الكتاب، سيبويه ٤/٤٥٩.

تتحول الذال / ذ/ إلى دال [d] في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالدال / d/. والمماثلة رجعية مباشرة.

وأما إدغام اللام في التاء فكان لاختلاف المخرج والصفات، فاللام صوت لثوي استمراري مجهور، والتاء لثوي أسناني وقفي مهموس، فصعب لذلك الانتقال من اللام إلى الباء لاجتماع هذه المتضادات، فماثلت اللام التاء، واكتسبت منها الوقف والهمس بعد أن انتقل مخرجها إلى اللثة والأسنان. ويمكن تحليل ذلك فونولوجيا كالآتي:

هل تعلم ← هتّعلم

Halta?lam ← Hatta?lam

+ لثوي + استمراري + مجهور	←	+ لثوي أسناني + وقفي + مهموس	/	+ لثوي أسناني + وقفي + مهموس

تتحول اللام / l/ إلى تاء [t] في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالتاء / t/. والمماثلة رجعية مباشرة.

ومن هنا يمكن جمع المعادلات السابقة في المعادلة الآتية:

ص [+ استمراري] ← ص، [+ وقفي] / ـــ ص، [+ وقفي]

٤. إدغام صوت استمراري في صوت استمراري:

قرأ حمزة بإدغام "الثاء" في (الذال) وهو موضع واحد قوله تعالى: "يَلْهَثْ ذَّٰلِكَ"[١]، كما قرأ بإدغام "الذال" في (السين) في نحو: "لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ"[٢]، و(الصاد) في نحو: "

---

[١] سورة الأعراف: ١٧٦.

[٢] سورة النور: ١٢.

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾[1]، و (الزاي) في نحو: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ﴾[2]، وشبهه. وقرأ بإدغام "اللام" في (السين) في نحو: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾[3]، و (الشاء) في نحو: ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾[4]، و (الراء) في نحو: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم ﴾[5] وشبهه، وقرأ كذلك بإدغام "النون" في (الراء) في نحو: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾[6] وشبهه[7].

وقد أجاز علماء العربية الإدغام في هذه الأصوات. قال سيبويه: "وَالذَّالُ وَالثَّاءُ مَنْزِلَةُ كُلِّ واحِدَةٍ مِنْهُما مِنْ صاحِبَتِها مَنْزِلَةُ الدّالِ وَالتّاءِ، وَذلِكَ قَوْلُكَ: خُثْابِيًا، وَابْعِذْ لِكَ. وَالْبَيانُ فيهِنَّ أَمْثَلُ مِنْهُ في الصّادِ وَالسّينِ وَالزّايِ، لِأَنَّ رَخاوَتَهُنَّ أَشَدُّ مِنْ رَخاوَتِهِنَّ لانْحِرافِ طَرَفِ اللِسانِ إِلى طَرَفِ الثَّنايا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ رَدٌّ. وَالْإِدْغامُ فيهِنَّ أَكْثَرُ وَأَجْوَدُ؛ لِأَنَّ أَصْلَ الْإِدْغامِ لِحُروفِ اللِسانِ وَالفَمِ، وَأَكْثَرُ حُروفِ اللِسانِ مِنْ طَرَفِ اللِسانِ وَما يُخالِطُ طَرَفَ اللِسانِ، وَهِيَ أَكْثَرُ مِنْ حُروفِ الثَّنايا"[8]، وقال: "وَالنّونُ إِدْغامُها فيها (أي اللام) أَقْبَحُ مِنْ جَمْيعِ هذِهِ الْحُروفِ، لِأَنَّها تُدْغَمُ في اللامِ كَما تُدْغَمُ في الْياءِ وَالْواوِ وَالرّاءِ وَالْميمِ"[9] وقال كذلك: "اللامُ مَعَ الرّاءِ نَحْو: اشْغَل رَّحْبَةَ، لِقُرْبِ الْمَخْرَجَيْنِ، وَلِأَنَّ فيهِما انْحِرافًا نَحْوَ اللامِ قَليلًا، وَقارَبَتْها في طَرَفِ اللِسانِ، وَهُما في الشِّدَّةِ

---

[1] سورة الأحقاف: ٢٩.

[2] سورة الأنفال: ٤٨.

[3] سورة يوسف: ١٨.

[4] سورة المطففين: ٣٦.

[5] سورة المطففين: ١٤.

[6] سورة البقرة: ٥.

[7] انظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ١/٢٤٠-٢٦٥، والسبعة في القراءات، ابن مجاهد ١٢٢-١٢٣، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٤٤-١٦٧، وغيث النفع في القراءات السبع، علي النوري الصفاقسي ٣١١-٣٤٠، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٣٠٠-٣٠٢ و ٢/٣-١٩.

[8] الكتاب، سيبويه ٤/٤٦٢.

[9] السابق ٤/٤٥٩.

وَجَرْيِ الصَّوْتِ سَواءٌ، وَلَيْسَ بَيْنَ مُخْرَجَيْهِما مُخْرَجٌ، وَالْإِدْغامُ أَحْسَنُ»[1]. وقال أيضاً: «النُّونُ تُدْغَمُ مَعَ الرّاءِ لِقُرْبِ الْمُخْرَجَيْنِ عَلى طَرَفِ اللِسانِ، وَهِيَ مِثْلُها في الشِّدَّةِ، وَذلِكَ قَوْلُكَ: مِن رّاشِدٍ، وَمَن رَّأَيْتَ»[2].

فأدغمت الثاء في الذال لأنهما من مخرج واحد، كما أنهما صوتان استمراريان، ولكن لما كانت الذال مجهورة لم يكن من الثاء إلا أن تأثرت بها لتماثلها في الجهر، ليسهل بذلك النطق، فتحولت الثاء لذلك إلى ذال، لاسيما أن الذال هي النظير المجهور للثاء. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

يلهث ذلك ← يلهذّلك

yalhaṯḏálik ← yalhaḏḏálik

$$\underline{ṯ}\begin{bmatrix}+\text{بين أسناني}\\+\text{استمراري}\\+\text{مهموس}\end{bmatrix} \longleftarrow \underline{d}\begin{bmatrix}+\text{بين أسناني}\\+\text{استمراري}\\+\text{مجهور}\end{bmatrix} \Big/ \underline{\quad} \begin{bmatrix}+\text{بين أسناني}\\+\text{استمراري}\\+\text{مجهور}\end{bmatrix} \underline{d}$$

تتحول الثاء /ṯ/ إلى ذال [ḏ] في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالذال / ḏ/. والمماثلة رجعية مباشرة.

أما إدغام الذال في السين فكان للصعوبة التي تتأتى من نطقهما معاً لاختلافهما في المخرج والصفات، فالذال صوت يخرج من بين الأسنان وهو مجهور، أما السين فهي تخرج من اللثة كما أنها مهموسة، وفيها من الصفير ما يزيد تلك الصعوبة، لذلك أثرت السين في الذال وحولتها إلى صوت مهموس بعد أن نقلت مخرجها إلى اللثة. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

---

[1] الكتاب، سيبويه ٤/٤٥٢.

[2] السابق، الصفحة نفسها.

إذ سمعتموه ← إسّمعتموه

?iḏsami?tumúh ← ?issami?tumúh

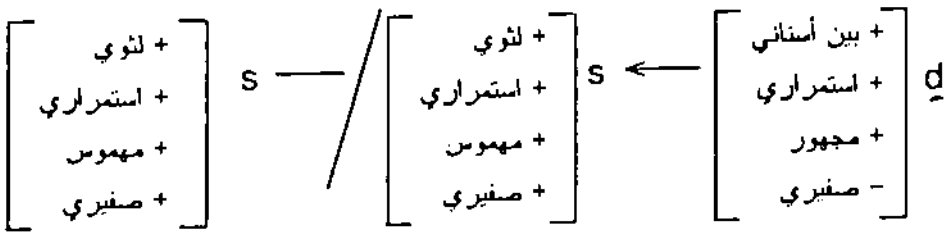

تتحول الذال / ḏ/ إلى سين [s] في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالسين / s/. والمماثلة رجعية مباشرة.

وعلة إدغام الذال في السين هي علة إدغام الذال في الصاد، وزاد على ذلك ما في الصاد من إطباق يزيد من صعوبة النطق بهما معاً. وتحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

إذ صرفنا ← إصّرفنا

?iḏsarafnā ← ?iṣṣarafnā

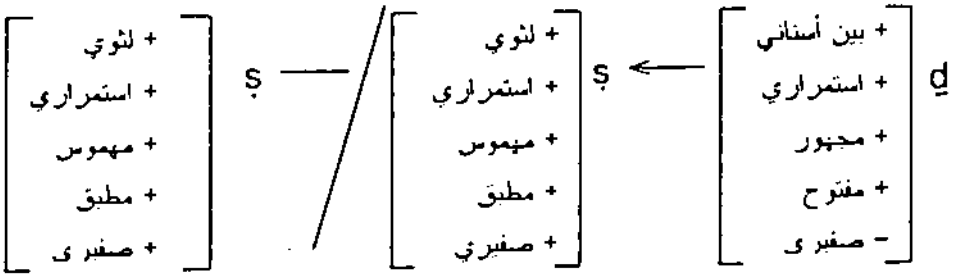

تتحول الذال / ḏ/ إلى صاد [ṣ] في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالصاد / ṣ/. والمماثلة رجعية مباشرة.

وقد كان إدغام الذال في الزاي للعلة نفسها التي أدغمت من أجلها الذال في السين، وزاد على ذلك ما في الزاي من الجهر قوي به الإدغام. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

إذ زين ← إزّين

?iḏzayyan ← ?izzayyan

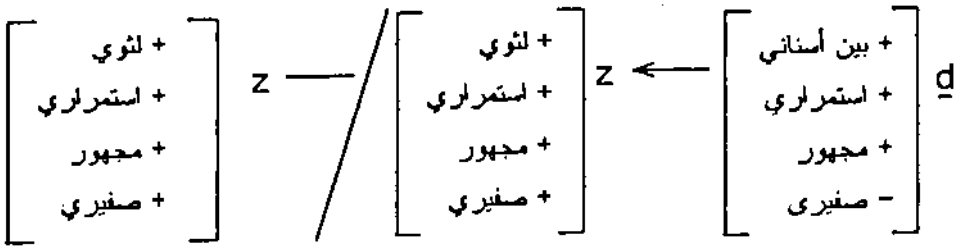

تتحول الذال / d̲/ إلى زاي |z| في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالزاي / z/. والمماثلة رجعية مباشرة.

أما إدغام اللام في السين فكان لاتفاقهما في المخرج والاستمرار، واختلافهما في الجهر والهمس والصفير، واللام والسين صوتان لثويان مهموسان، إلا أن اللام صوت مجهور والسين مهموس، وزاد على ذلك ما في السين من صفير، فصعب النطق بهما مجتمعين، لذلك أثرت السين في اللام وحولتها إلى صوت مهموس صفيري. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

بل سولت ← بسّولت

Balsawwalat ← Bassawwlat

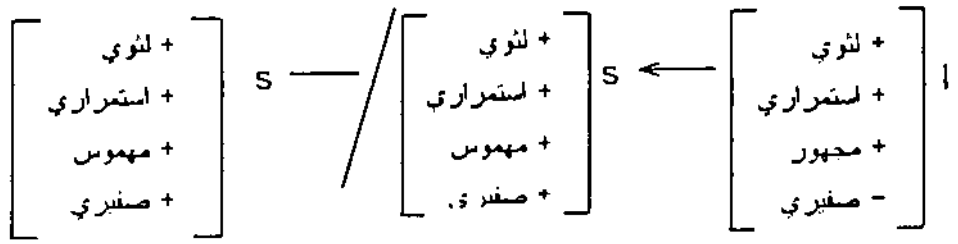

تتحول اللام / l/ إلى سين |s| في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالسين / s/. والمماثلة رجعية مباشرة.

وأدغمت اللام في الثاء لصعوبة النطق بهما مجتمعتين لاختلافهما في المخرج والجهر والهمس، فاللام صوت لثوي مجهور، والثاء بين أسناني مهموس، فماثلت اللام الثاء بأن تحولت إلى صوت مهموس بعد أن انتقل مخرجها إلى بين الأسنان. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

هل ثوب ← هثّوب

Hal tawb ← Hattawb

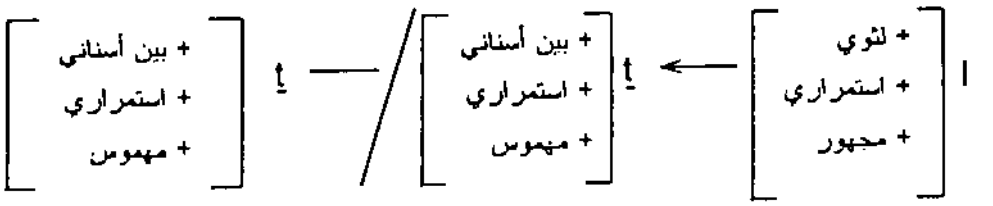

تتحول اللام /ا/ إلى ثاء [ت] في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالثاء /ت/. والمماثلة رجعية مباشرة.

وإدغام اللام في الراء كان لما في نطقهما مجتمعتين من صعوبة، فاللام صوت لثوي وكذلك الراء، إلا أن الراء صوت مكرر يضرب في نطقه اللسان اللثة بصورة سريعة، الأمر الذي أوجد هذه الصعوبة، لذلك ماثلت اللام الراء، واكتسبت منها التكرير فتحولت إلى راء. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

بل ران ← برّان

Bal rân ← Barrân

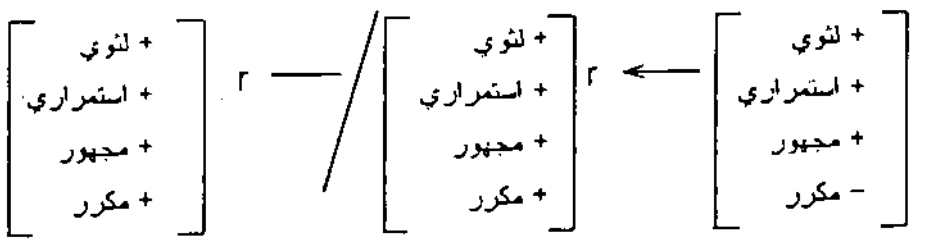

تتحول اللام /ا/ إلى راء [ر] في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالراء /ر/. والمماثلة رجعية مباشرة.

أما إدغام النون في الراء فكان لما في نطقهما من صعوبة تتأتى من التكرار الذي في الراء، ثم مخرج الهواء عند نطق النون، فالراء صوت لثوي لكنه مكرر، ويخرج الهواء عند نطقه من الفم، أما النون فهو صوت لثوي غير مكرر، ومخرج الهواء عند نطقه من الأنف.

لذلك ماثلت النون الراء وتحولت إلى صوت مكرر، وانتقل مخرج الهواء عند نطقها وعلى أثـر ذلك إلى الفم. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

من ربهم ← مرّبهم

Minrabbihim ← Mirrabbihim

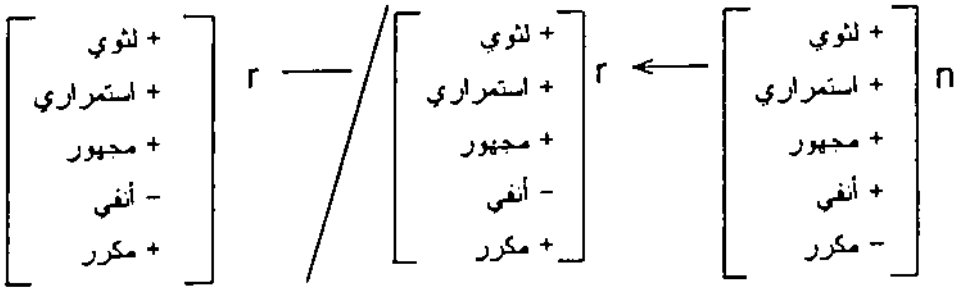

تتحول النون / ن/ إلى راء |ر| في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالراء / ر/. والمماثلـة رجعية مباشرة.

ومن هنا يمكن جمع المعادلات السابقة في المعادلة الآتية:

ص [+ استمراري] ← ص، [+ استمراري] / ـــــ ص، [+ استمراري]

هذه هي صور المماثلة في قراءة حمزة، التي ترتد، وكما هو واضح، إلى فصيح اللسان العربي، كما تنتظم وقوانين علم الأصوات التي تضبط التأثر والتأثير بين الأصوات المتجـاورة في السياق اللغوي سعياً إلى التماثل.

الفصل الثالث

الإمـــــالـة

- تعريف الإمالة.

- أنواع الإمالة.

- درجات الإمالة.

- غرض الإمالة.

- الإمالة في اللهجات العربية القديمة.

- الإمالة بين الأصالة والفرعية.

- أسباب الإمالة.

- موانع الإمالة.

- منهج حمزة في الإمالة.

الإمالة من الظواهر اللغوية البارزة عنيت بها كتب اللغة والقراءات، فقد تحدث عنها اللغويون منذ سيبويه، وتناولوها بالدراسة والتحليل، وبينوا مواطنها، و أسبابها وموانعها، وذكروا القبائل التي كانت تميل والقبائل التي لم تلهج بها. ذكر السيوطي أن الإمالة من الموضوعات النحوية الأولى التي يقال إن أبا الأسود الدؤلي وضعها[1].

أما علماء القراءات، فقد أولوا هذه الظاهرة عناية فائقة، لأنها وردت في كثير من القراءات القرآنية المتواترة، وقد كان حديثهم عنها خاصاً بما ورد ممالاً في قراءات القرآن الكريم[2].

ولما كانت الإمالة من بين الظواهر اللغوية البارزة في قراءة حمزة، فقد جاء هذا الفصل ليدرس الظاهرة في عدة جوانب هي: تعريفها، وأنواعها، ودرجاتها، وغرضها، والقبائل التي عرفت بها، وأسبابها، وموانعها، ثم منهج الإمام حمزة في الإمالة، وتحليل مواطن الإمالة عنده، وكل هذا في ضوء رأي المتقدمين و معطيات علم الأصوات الحديث.

تعريف الإمالة:

عرف مصطلح الإمالة في كتب اللغة والقراءات مقروناً بمصطلح آخر هو مصطلح الفتح، ولكي يتضح معنى الإمالة، فإنه لا بد من ذكر معنى الفتح.

الفتح في اللغة: ضد الغلق، والفتح حركة من الحركات تقابل الكسر والضم[3].

أما في الاصطلاح فهو: فتح الفم بلفظ الحرف، وهو ضد الإمالة، ويقال له التفخيم أو النصب[4]. يقول ابن القاصح: "فتح الصوت لا الحرف"[5] ، ويكون (الفتح) بفتح الممر الهوائي

---

[1] الاقتراح، جلال الدين السيوطي ٤٨.

[2] انظر: التطور النحوي للغة العربية، برجستراسر ٥٩.

[3] انظر: لسان العرب، والقاموس المحيط، مادة فتح.

[4] انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢/٢٩، والإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي ١/٢٥٦، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أحمد البنا ١/٢٧٤.

[5] سراج القاري المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح ١٠٢.

عند الحلق والشفاه بحيث يسمح للهواء بالمرور دون اعتراض، ولا يصدر حفيفاً، إذ ينخفض مؤخر اللسان حال النطق به إلى أقصى درجة مع تقدم اللسان إلى الأمام، وارتفاع وسطه قليلاً حتى يكاد (اللسان) أن يكون مستوياً في قاع الفم[1] ، ومن هنا اكتسبت الفتحة معناها.

ومن الضروري –هنا– أن نشير إلى مفهوم مصطلح "التفخيم" الذي ورد رديفاً للفتح عند العلماء. فاستخدام العلماء لهذا المصطلح يقصد منه الفتح الذي هو ضد الإمالة. فالألف المفخمة هي الألف غير الممالة، ولم يكونوا يقصدون الألف المفخمة التي هي صوت خلفي والدليل على هذا استعمالهم لهذا المصطلح مقابلاً للألف الممالة، ومن ذلك قولهم: "التفخيم هو الأصل، والإمالة طارئة"[2]، إلا أننا نجدهم يستخدمون هذا المصطلح "التفخيم" للدلالة على الألف والتي هي صوت خلفي، وذلك عند حديثهم عن أقسام الفتح، وسنتبيّن هذا عند الحديث عن درجات الفتح.

أما الإمالة، فهي في اللغة: مصدر أملته إمالة، والميل: الانحراف عن الشيء، أو العدول إليه والإقبال عليه، ومنه: مال الحاكم إذا عدل عن الاستواء[3].

يعد حديث سيبويه عن الإمالة في "الكتاب" أصلاً بنى عليه من أتى بعده من علماء اللغة والقراءات[4]، وهو في حديثه عن الإمالة لم يعرفها صراحة، بل قال: "وَإِنَّما أَمالوُها لِلْكَسْرَةِ الَّتي بَعْدَها أَرادوا أَنْ يُقَرِّبوها مِنْها"[5]، وقال: "وَالأَلِفُ قَدْ تُشْبِهُ الْياءَ، فَأَرادوا أَنْ يُقَرِّبوها مِنْها"[6]،وقال: "الْياءُ أَخَفُّ عَلَيْهِمْ مِنَ الْواوِ فَنَحَوْا نَحْوَها"[7]، وقال: "وَمِمّا يُمِيلوُنَ أَلِفَهُ كُلُّ شَيْءٍ

---

[1] علم اللغة العام (الأصوات)، د. كمال بشر ١٥٢.

[2] انظر: تحليل الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب، د. عمر سيبة ٤٢.

[3] انظر: لسان العرب، مادة ميل، وشرح المفصل، ابن يعيش ٥٤/٩.

[4] انظر: في الدراسات القرآنية واللغوية، د. عبد الفتاح شلبي ٨.

[5] الكتاب، سيبويه ١١٧/٤.

[6] السابق، الصفحة نفسها.

[7] السابق ١١٩/٤.

كانَ مِنْ بُناتِ الْياءِ وَالْواوِ مِمّا لهما فيْهِ عَيْنٌ إذا كانَ أَوّلُ (فَعَلْتُ) مَكْسوْرَاً نَحَوْا نَحْوَ الْكَسْرَةِ، كَما نَحَوْا نَحْوَ الْياءِ في ما كانَتْ أَلِفُهُ في مَوْضِعِ الْياءِ"[1].

وقال مكي بن أبي طالب في تعريفها: "واعلم أن معنى الإمالة هو: تقريب الألف نحو الياء، والفتحة التي قبلها نحو الكسرة"[2]، وقال أيضاً: "أن تقرب الألف نحو الياء لياء قبلها أو لكسرة قبلها أو بعدها في اللفظ أو في معنى"[3] ، حتى يقول: "وإذا قربت الألف إلى الياء في الإمالة لم يكن ذلك حتى تقرب الفتحة التي قبلها نحو الكسرة"[4] .

وقال المبرد: "الإمالة: أن تنحو بالألف نحو الياء لعلة معينة"[5] .

وقال ابن السراج: "الإمالة هي: أن تميل الألف نحو الياء، والفتحة نحو الكسرة"[6] وعرفها الأنباري، والسيوطي، وأحمد البنا بأنها: "أن تنحى بالفتحة نحو الكسرة، والألف نحو الياء"[7].

وقال ابن هشام: "الإمالة: أن تذهب بالفتحة إلى الكسرة، فإن كان بعدها ألف ذهبت إلى جهة الياء كـ(الفتى)، وإلاّ فالممال الفتحة وحدها كـ(نعمة، وسحر)"[8] .

---

[1] الكتاب، سيبويه ٤/ ١٢٠.

[2] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها و حججها، مكي بن أبي طالب ١/١٦٨.

[3] السبعة في القراءات، مكي بن أبي طالب ١١٨.

[4] السابق، الصفحة نفسها.

[5] المقتضب، المبرد ٣/٤٢.

[6] الأصول، ابن السراج ٣/١٦٠.

[7] أسرار العربية، أبو البركات الانباري ٣٤٨، والإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي ١/٢٥٧، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أحمد البنا ١/٧٤.

[8] أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري ٣/٢٩٧.

وقال ابن الباذش: "الإمالة: أن تنحي بالفتحة نحو الكسرة انحاء خفيفاً كأنه واسطة بين الفتحة والكسرة، فتميل الألف من أجل ذلك نحو الياء، ولا تستعلي كما كانت تستعلى قبل إمالتك الفتحة قبلها نحو الكسرة"[1] .

وقال ابن يعيش: "وكذلك الإمالة في العربية: عدول بالألف عن استوائه، وجنوح به إلى الياء، فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء"[2].

ذهب الدكتور عبد الفتاح شلبي إلى أن استعمال القراء الأولين مادة "قرب" عند تعريف الإمالة،يتصل بما يرتضونه من قدر في الإمالة، فهم يتحدثون في دقة عن درجات الإمالة، أما مادة "نحا" وهي التي كثر استعمالها في تعريفات النحاة واللغويين، فليست نصاً في التقريب الذي يحرص عليه القراء، وعلى هذا قد يفهم من كلام النحاة: "أن تنحى بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء"، أن تتجه جهة الكسرة، أو أن تقصد الكسرة، أو أن تميل جهة الكسرة، وكل ذلك محتمل قلب الفتحة كسرة والألف ياء ذلك القلب الخالص الذي يكرهه القراء ويجيزه النحاة. أما مادة "نحا" في مؤلفات بعض القراء المتقدمين، فإنها جاءت مشروطة بشروط تعين ما يرتضونه من قدر في الإمالة[3].

وإلى مثل هذا ذهب برجستراسر إذ يقول: "والمقرئون وفوا الإمالة كل حقها مقتصرين على ما وجد منها في قراءات القرآن الكريم، والنحويون لم يوفقوا إلى ضبط حالاتها، وتقييد قواعدها تماماً، وهم يناقضون المقرئين في كثير من التفصيلات"[4] .

---

[1] الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ٢٦٨/١.

[2] شرح المفصل، ابن يعيش ٥٤/٩.

[3] في الدراسات القرآنية واللغوية، د. عبد الفتاح شلبي ١٨-١٩.

[4] التطور النحوي للغة العربية، برجستراسر ٥٩.

وقد أخذ شلبي على تعريفات علماء العربية المتأخرين للإمالة تفريقها بين الحركات وحروف المد واللين، فقولهم: "الإمالة: تقريب الفتحة من الكسرة، والألف من الياء"، يتضمن التفريق بين الألف والفتحة، والياء والكسرة، وهذا -في الحقيقة- لا يتفق مع الحقيقة التي أقرها القدماء وارتضاها المحدثون، وهي أنه لا فرق بينها، فالفتحة والألف صوت واحد ولا فرق بينهما إلا بالطول، وكذلك الكسرة والياء. فالفتحة ألف قصيرة، والكسرة ياء قصيرة، إذ إن الفتحة صوت، والألف تمديد لنفس الصوت، والكسرة صوت، والياء تمديد لنفس الصوت. هذا وقد سلمت تعريفات المتقدمين من مثل هذا الخلط[1]. ولهذا نجد الدكتور عبد الفتاح شلبي يرتضي تعريف الإمالة بأنها: "تقريب (الفتحة قصيرة كانت أو طويلة) إلى الكسرة (قصيرة كانت أو طويلة)"[2] كما نجد الدكتور الهاشمي المطلبي يعرفها بأنها: "زحزحة الصائت الذي يعرف عندنا بالفتح طويله وقصيره في اتجاه ما يعرف بالكسر قصيره وطويله زحزحة نقل أو تكثر تختلط، تشبه الفتح أو تبتعد عنه، تندمج في الكسر حسب مقتضيات الحال أو تكاد"[3].

والحقيقة أن هذا الرأي بحاجة إلى مناقشة، فمن عرف من القدماء الإمالة بأنها: "تقريب الألف من الياء". فهذا صحيح وذلك لأن حديثهم عن الألف والياء يتضمن الألف والياء كحركتين طويلتين، والفتحة والكسرة كحركتين قصيرتين.

أما من عرفها بأنها: "تقريب الفتحة من الكسرة، والياء من الألف"، فقد كان لأنهم لاحظوا أن العرب أمالوا الفتحة وحدها وهي حركة قصيرة جهة الكسرة التي هي أيضاً حركة قصيرة نحو: "جنة، طعنة، شجرة"، كما أنهم أمالوا الألف وهي فتحة طويلة جهة الياء والتي

---

[1] انظر: في الدراسات القرآنية واللغوية، د. عبد الفتاح شلبي ٤٧-٥٤، وبعض مظاهر التطور اللغوي، د. النهامي الراجحي الهاشمي ٨٠-٨١.

[2] في الدراسات القرآنية واللغوية، د. عبد الفتاح شلبي، ٥١.

[3] بعض مظاهر التطور اللغوي، د. النهامي الراجحي الهاشمي ٨٠ -٨١.

هي أيضا كسرة طويلة نحو: "عالم، عابد، خاب، طاب". والفتحة والألف كلاهما فتح، كما أن الكسرة والياء كلاهما كسر، والفرق بينهما فقط في الطول. ولكن الفتحة في إمالتها اقتربت من الكسرة مع محافظتها على طولها وكونها حركة قصيرة، أما الألف فإنها في إمالتها جهة الياء اقتربت منها، وميلها هذا مع حفاظها على طولها يكون ميلا نحو الياء التي هي كسرة طويلة.

ومن هنا فإن تعريفات المحدثين للإمالة لا تختلف كثيرا عن تعريفات المتقدمين، بل نجد من المحدثين من يستخدمون تعريفات المتقدمين. فها هو برجستراسر يصفها بأنها: "إمالة الفتحة والألف نحو الكسرة والياء"[1]، ويعرفها الدكتور سمير ستيتية قائلا: والإمالة: إمالة الألف نحو ياء المد، وإمالة الفتحة باتجاه الكسرة"[2] . ثم يقول: "أما أن الإمالة عدول بالألف عن استوائه وجنوح به إلى الياء، فصحيح من وجهة صوتية معاصرة، ويضاف إلى ذلك إمالة الفتحة نحو الكسرة"[3].

يؤخذ على تعريف كل من مكي بن أبي طالب، وابن هشام، والسيوطي، ومن نحا نحوهم للإمالة، إن هذه التعريفات تفرض وجود فتحة قبل الف المد. فقول مكي: "تقريب الألف نحو الياء والفتحة التي قبلها نحو الكسرة"، وقوله: "وإذا قربت الألف إلى الياء في الإمالة لم يكن ذلك حتى تقترب الفتحة قبلها نحو الكسرة"، وقول ابن هشام: "أن تذهب بالفتحة إلى الكسرة، فإن كان بعدها ألف ذهبت إلى جهة الياء...." وقول السيوطي في بيانه لغرض الإمالة: "ولا يمكن أن ينحى بها (أي الألف) نحو الياء حتى ينحى بالفتحة نحو الكسرة، فيحصل بذلك التناسب"[4]. يتضمن وجود فتحة قبل ألف المد، وبالتالي وجود كسرة قبل ياء المد، وضمة قبل

---

[1] التطور النحوي للغة العربية، برجستراسر ٥٩.

[2] تحليل الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب، د. سمير ستيتية ٤١.

[3] السابق، الصفحة نفسها.

[4] همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي ٦/١٨٣.

واو المد، فكلمة "عالم" تحمل فتحة على العين ألف المد التي تليها، ولكن الفتحة لا وجود لها في هذا الموضع من الكلمة وغيرها من الكلمات، ولا وجود للكسرة قبل ياء المد، أو الضمة قبل واو المد.

وكلمة "عالم" هي صيغة مشتقة من الفعل "علِم" تدل على اسم الفاعل، والفرق بينهما يكمن في إطالة حركة العين، ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

عَلِم	عالِم
ع – َ – ل – ِ م	ع – َا – ل – ِ م

فألف المدّ في "عالم" فتحتان قصيرتان، جاءت من إطالة فتحة العين في الفعل "علِم" عند اشتقاقنا لصيغة اسم الفاعل.

ويعلل الدكتور إبراهيم أنيس رأي المتقدمين بأن الكتابة العربية في صورتها المألوفة من وضع فتحة قبل ألف المد في الكلمة، أو ضمة قبل واو المد، أو كسرة قبل ياء المد قد جعلت المتقدمين يظنون أن ثمة حركة قصيرة في مثل هذه المواضع[1] .

أنواع الإمالة:

كانت تعريفات المتقدمين للإمالة متضمنة لنوع واحد من أنواع الإمالة، وهو الإمالة من الفتح إلى الكسر (إمالة الفتحة إلى الكسرة، والألف إلى الياء)، إلا أنه أثر عن العرب أنواع أخرى من الإمالة، ويتضح هذا من كلام ابن جني عن الحركات الفرعية عند حديثه عن الحركات، وما يتفرع عنها[2].

---

[1] انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ٣٩.

[2] سر صناعة الإعراب، ابن جني ١/٥٨ – ٦٣.

عرف العرب أنواعاً أخرى من الإمالة هي إمالة: الألف نحو الواو مثل: "صلاة، زكـاة، خاب، طاب، قام، صام..."، والياء نحو الواو نحو: "قيل، غيض، بيع، سيق، حيل..."، وإمالـة الواو نحو الياء نحو: "مذعور، بور...".

ومن هنا – وفي ضوء ما تقدم – يمكن تعريف الإمالة بأنها: تقريب الفتحة من الكسـرة والألف من الياء، و الألف من الواو، وتقريب الواو من الياء، وتقريب الياء من الواو، مع عـدم تصيير الصوت الممال من جنس الصوت الممال إليه.

درجات الإمالة:

لما كان تعريف الفتح أمراً ضرورياً لفهم معنى الإمالة، فإنه حري بنا قبل الحديث عـن درجات الإمالة أن نتحدث عن تقسيم القدماء لهذا الفتح.

قسم العلماء المتقدمون الفتح إلى قسمين: فتح شديد، وفتح متوسط[1]، والشديد هو: نهايـة فتح المرء فاه بلفظ الحرف الذي يأتي بعده ألف[2]، ويسمى أيضاً التفخيم أو التغليظ[3].

أما الفتح الشديد فهو: اقتراب الألف والفتحة من مخرج الواو والضمة بحيث يرتد اللسان عند نطقهما إلى الوراء مع ارتفاع مؤخره نحو مؤخر الحنك، ارتفاعاً يقترب فيه مـن مخـرج الواو والضمة، أو هي المبالغة في نطق الفتحة أو الألف بحيث تصيرها كالضمة أو الواو.

وهذا النوع من الفتح غير جائز في القرآن، كما أنه لا يوجد في لغة العرب، بل موجـود فقط عند العجم ومن اكتسبها منهم من العرب[4]، ويعلق ابن الجزري على هذا بقولـه: "اصـل

---

[1] انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢/٢٩، والموضح، الداني، مخطوط، ورقـة ٢٤، نقـلا عـن: في الدراسـات القرآنيـة واللغوية، د. عبد الفتاح شلبي ٢٢.

[2] يقصد بالألف هنا ألف المد أو اللين والفتحة التي هي قبلها.

[3] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٢١٥ و ٢/٢٩.

[4] النشر ٢/٢٩ – ٣٠.

الخلل الوارد على ألسنة القراء في هذه البلاد وما التحق به، هو إطلاق التفخيمات والتغليظات على طريق ألفتها الطباعات... تلقيت من العجم، واعتادها النبط، واكتسبها بعض العرب لم يقفوا على الصواب ممن يرجع إلى علمه، ويوثق بفضله وفهمه، وإذا انتهى الحال إلى هذا، فلا بد من قانون صحيح يرجع إليه، وميزان مستقيم يعول عليه"[1].

والفتح المتوسط هو: ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة، وهذا هو الذي يستعمله أصحاب الفتح من القراء[2]. ويقصد به الألف أو الفتحة المرققة في العربية، وهي الصوت الذي ينخفض مؤخر اللسان حال النطق به إلى أقصى حد ممكن، مع تقدم اللسان إلى الأمام، وارتفاع وسطه قليلاً حتى يكاد (اللسان) أن يكون مستوياً في قاع الفم للحد الذي يسمح بنطق حركة[3].

أما في ما يتعلق بالإمالة، فقد لاحظ المتقدمون أن إمالة الألف والفتحة تختلف باختلاف درجة اقترابهما من الياء والكسرة، فقد تقتربان اقتراباً يسيراً، فتكونان أقرب إلى الفتح منه إلى الكسر، وقد تقتربان اقتراباً شديداً، فتكونان أقرب إلى الكسر منهما إلى الفتح، فبحسب قربهما من موضع الياء والكسرة تكون شدة الإمالة، وبحسب بعدهما تكون خفة الإمالة. يقول ابن يعيش في تعريفه للإمالة:

"عدول بالألف عن استوائه، وجنوح به إلى الياء، فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة، وبين مخرج الياء. وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدة الإمالة، وبحسب بعده تكون خفتها"[4].

---

[1] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٢١٥.

[2] السابق ٢/٢٩، والموضح، الداني، مخطوط، ورقة ٢٤، نقلا عن: في الدراسات القرآنية واللغوية، د. عبد الفتاح شلبي ٢٢.

[3] انظر: الأصوات العربية، د. كمال بشر ١٥٢.

[4] شرح المفصل، ابن يعيش ٩/٥٤.

ولهذا نجد أن المتقدمين قد قسموا الإمالة إلى قسمين: إمالة شديدة (كبرى)، وإمالة متوسطة (صغرى). يقول ابن الجزري في تعريف الإمالة: "أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء (كثيراً) وهو المحض. ويقال له: الإضجاع، ويقال له: البطح، وربما قيل له الكسر، و (قليلاً) وهو بين اللفظين، ويقال له: التقليل، والتلطيف، وبين بين، فهي بهذا الاعتبار تنقسم إلى قسمين: إمالة شديدة، وإمالة متوسطة، وكلاهما جائز في القراءة"[1]، ثم يأتي بعد ذلك ليبين لنا أن الإمالة الشديدة ليست قلباً خالصاً للفتحة كسرة، أو للألف ياء، حيث قال: "والإمالة الشديدة يجتنب معها القلب الخالص، والإشباع المبالغ فيه"[2].

ويقول الإمام الجعبري: "الإمالة قسمان: ما ينحى به إلى حد لو زاد صار ياءً، ويسمى إمالة محضة (وكبرى)، وهي المفهومة عند الإطلاق، وما ينحى به إلى لفظ بين الفتح المحقق والمحضة، ويسمى (صغرى) وبين بين، وبين اللفظين (أي بين الفتح والمحضة) "[3]، وقال الداني: "والمنصفون من القراء قد يعبرون عن هذين الضربين من الممال بالكسر الشديد وإشباعاً... ويعبرون عنها أيضاً بالبطح والإضجاع، وذلك كله حسن مستعمل بدليل تسمية العرب الشيء باسم ما هو منه، وما قاربه وجاوره، وكان بسبب منه، وتعلق به ضرباً من التعلق"[4].

مثل هذا التقسيم جاء عند ابن القاصح، إذ جعل الإمالة تنقسم إلى: كبرى وصغرى، فالكبرى متناهية في الانحراف، والصغرى متوسطة بين اللفظين (أي بين لفظ الفتح ولفظ الإمالة)[5]، وتقليل الفتح عبارة عن الإمالة بين بين[6]. ويريد بالإضجاع الإمالة الكبرى[7].

---

[1] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢/٣٠، وانظر: إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ٧٤.

[2] السابقان، الصفحات نفسها.

[3] شرح حرز الأماني الإمام الجعبري، مخطوط، ورقة ١٢٠، نقلا عن: في الدراسات القرآنية واللغوية، د.عبد الفتاح شلبي ١٩.

[4] الموضح، الداني، مخطوط، ورقة ٢٤، نقلا عن: في الدراسات القرآنية واللغوية، د.عبد الفتاح شلبي ٣٦.

[5] سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح ١٠٣.

[6] السابق ١١٣.

[7] السابق ١١٥.

ومما سبق يتبين لنا أن القدماء كانوا يطلقون هذه الأسماء وهي: البطح، والإضجاع والمحض، وبين بين، وبين اللفظين، والتلطيف، والتقليل، والكسر على الإمالة بشكل عام بشقيها (الكبرى والصغرى)، حتى جاء ابن الجزري فجعل المحض، والبطح، والإضجاع، والكسر للإمالة الكبرى أو (الشديدة)، والتلطيف، وبين بين، والتقليل، وبين اللفظين، للإمالة الصغرى أو (المتوسطة)[1].

ومن الجدير بالذكر أن العلماء في قولهم "الإمالة" أو "الكسر" يقصدون من ذلك الإمالة الكبرى، ومن هذا قول أحمد البنا في حديثه عن الإمالة الكبرى بمسمياتها المختلفة يقول: "وهي المرادة عند الإطلاق"[2].

أما حمزة ومنهجة في الإمالة، فقد قال أحمد البنا في حديثه عن الإمالة عنده: "والقراء فيها على أقسام، منهم من أمال، ومنهم من لم يمل. والأول قسمان: مقلّ وهم: قالون، والأصبهاني عن ورش، وابن عامر، وعاصم، ومكثر وهم: الأزرق عن ورش، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وكذا خلف، وافقهم الأعمش. وأصل حمزة والكسائي وكذا خلف الكبرى، وافقهم الأعمش، وأصل الأزرق الصغرى. أما أبو عمرو فمتردد بينهما جمعاً بين اللغتين"[3].

من النص السابق يتبين لنا أن حمزة كان من المكثرين في الإمالة، كما أنه من أصحاب الإمالة الكبرى. إلا أنه قد روي عنه التقليل أيضاً، وسنتبين هذا فيما بعد إن شاء الله. ويعلل الدكتور عبد الفتاح شلبي كون حمزة من المكثرين، ويرجع ذلك إلى أسباب منها: أن حمزة كوفي، وقد نزل بالكوفة رجال من قبيلة أسد التي اشتهرت بالإمالة، والتي كان أفرادها يقرؤون القرآن بلهجتهم في الإمالة، ثم إن مدة كافية قد مرت على نزول هؤلاء الأسديين بالكوفة،

---

[1] انظر: في الدراسات القرآنية واللغوية، د. عبد الفتاح شلبي ٣٦.

[2] إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن الباذ ٧٤.

[3] السابق، الصفحة نفسها.

واستيطانهم بها، حتى تكاثروا، وسيطرت لهجتهم على لهجة الأعاجم المستعربين واالمتفصحين من أمثال حمزة. كذلك فإن سند حمزة على علي بن أبي طالب كله شيوخ كوفيون شيعيون[1].

وقد عالج المحدثون الإمالة بدرجاتها المختلفة، وكان ذلك أن اعتمدوا المقياس المعياري الذي وضعه دانيال جونز، الذي يعد مقياسا عاماً للحركات في اللغات المختلفة، وهو مقياس مبني على درجات ارتفاع اللسان وانخفاضه، وعلى درجات تقدمه وتأخره، بالإضافة إلى وضع الشفتين.

وقد وجد دانيال جونز أن الحركات التي تنتج من حركة اللسان تقدماً وتراجعاً وارتفاعاً وانخفاضاً هي ثماني حركات، وأن لهذه الحركات الثمان صفات صوتية واضحة ومحددة تحديداً دقيقاً، ولكنه اكتشف أيضاً وجود حركات غير هذه الثماني غامضة الصفة، وغير واضحة الحدود نسبياً إذا قيست بالحركات الثماني السابقة، ومن أهم هذه الحركات ما رمز له جونز بالرمز (ə). وبهذا تكون الحركات التي ارتضاها جونز تسع حركات. ويمكن توضيحها بالرسم الآتي:

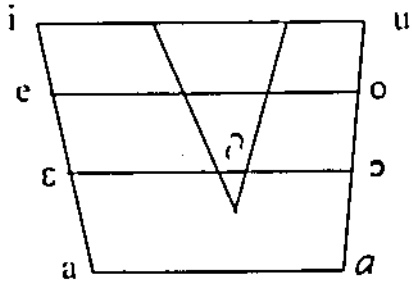

وقد قسمت هذه الحركات باعتبار الجزء من اللسان الذي يفوق غيره في الارتفاع عند نطقها إلى ثلاثة أقسام: أمامية: وتمثل الحركات الواقعة على الخط [a – i]، وخلفية: وتمثل الحركات الواقعة على الخط [ɑ – u]، والوسطى: وتمثل الحركة المركزية (ə). و قسمت باعتبار درجة الارتفاع التي تصل إليها اللسان ووضع الشفتين إلى أربعة أقسام: ضيقة: وتمثل

---

[1] انظر: في الدراسات القرآنية واللغوية، د. عبد الفتاح شلبي ١٢٦ – ١٢٨.

الحركات الواقعة على الخط [u – i]، ومتسعة: وتمثل الحركات الواقعة على الخط [a-ɑ]، ونصف ضيقة: وتمثل الحركات الواقعة على الخط [o – e]، ونصف متسعة: وتمثل الحركات الواقعة على الخط [ɛ – ɔ] [1].والشكل الآتي يمثل هذه التقسيمات:

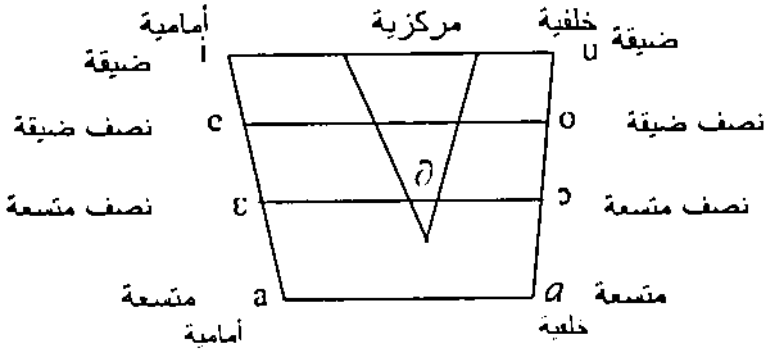

ويمثل الرمز (i) الحركة المعيارية الأولى، وهي الصوت الذي يرتفع مقدم اللسان حال النطق به تجاه الحنك الأعلى إلى أقصى حد ممكن مع بقائه حركة، وهي الكسرة. ويمثل الرمز (ɑ) الحركة المعيارية الرابعة، وهي الصوت الذي ينخفض مؤخر اللسان حال النطق به إلى أقصى حد ممكن مع رجوع هذا الجزء من اللسان إلى الخلف مع بقائه حركة، وهي الفتحة المرققة. ويقع بين هاتين الحركتين الحركة المعيارية الثانية، والتي يرمز لها بالرمز (e)، وهي الحركة التي يكون أعلى نقطة في اللسان عند النطق بها أمامية، وتقع في الثلث الأعلى من المسافة بين الحركتين المعياريتين (الأولى والرابعة). وكذلك الحركة المعيارية الثالثة والتي يرمز لها بالرمز (ɛ)، وهي الحركة التي تكون أعلى نقطة عند النطق بها أمامية، وتقع في الثلث الأسفل من المسافة بين الحركتين المعياريتين (الأولى والرابعة)[2] .

---

[1] انظر: علم اللغة العام (الأصوات)، د. كمال بشر ١٣٩ – ١٤٥.

[2] انظر: السابق ١٤٠ – ١٤٥.

أما الرمز (a) فيمثل الحركة المعيارية الخامسة، وهي الحركة التي تكون أعلى نقطة في اللسان عند النطق بها هي مؤخره، وتكون أبعد ما يمكن عن مؤخرة سقف الحنك، وهي الفتحة المفخمة. ويمثل الرمز (u) الحركة المعيارية الثامنة، وهي الحركة التي يكون فيها مؤخر اللسان أقرب ما يمكن إلى سقف الفم، ويكون أعلى نقطة في اللسان عند النطق بها، وهي الضمة. وتقع بين هاتين الحركتين الحركة المعيارية السادسة، والتي يرمز لها بالرمز ( )، وهي الحركة التي يرتفع مؤخر اللسان قليلاً جهة سقف الفم، ويكون أعلى نقطة في اللسان حال النطق بها، وتقع هذه الحركة في الثلث الأسفل من المسافة الواقعة بين الحركتين المعياريتين (الخامسة والثامنة)، وكذلك الحركة المعيارية السابعة، والتي يرمز لها بالرمز (o)، و هي الحركة التي يرتفع فيها مؤخر اللسان جهة سقف الفم ولكن بدرجة أقل من ارتفاعه مع الحركة المعيارية الثامنة، ويكون أعلى نقطة في اللسان حال النطق بها، وتقع هذه الحركة في الثلث الأعلى من المسافة الواقعة بين الحركتين المعياريتين (الخامسة والثامنة). أما الحركة المعيارية التاسعة، والتي يرمز لها بالرمز (ɑ) فلا يرتفع اللسان معها من الخلف أو الأمام ارتفاعاً ملحوظاً، كما لا ينخفض معها انخفاضاً كبيراً في قاع الفم، أي أن هذه الحركة لا تنسب إلى الجزء الأمامي أو الخلفي من اللسان، وإنما إلى وسطه لأنه الجزء المرتفع نسبياً حال النطق بها[1].

ومن الجدير بالذكر أن هذا الوصف للحركات يتضمن الحركات القصيرة وهي (الفتحة، والضمة، والكسرة) وما تتضمنه إطالتها من حركات طويلة هي حروف المد أو اللين (الألف والواو، والياء)، وقد رمزوا لهذه الحركات الطويلة بالرموز نفسها مع وضع فتحة فوق رمز الحركة. إلا أن الحركات العربية لا تنطبق على هذه الحركات تماماً وإنما قريبة منها[2].

---

[1] انظر: علم اللغة العام (الأصوات)، د. كمال بشر ١٤٠ – ١٤٥.

[2] انظر في بيان هذا: علم اللغة العام (الأصوات)، د. كمال بشر ١٥٠ – ١٥٤.

وفي ضوء هذا المفهوم يمكننا القول إن ما سموه بالإمالـــة الكبرى، أو الشـديدة، أو المحضة، أو البطح، أو الإضجاع، أو الكسر قريباً مما يسمى الآن -في علم الأصوات- بالحركة المعيارية الأساسية الثانية، ويكون ما سموه بالإمالة الكبرى قريباً ممـــا يسـمى الآن بالحركـة المعيارية الأساسية الثالثة. والشكل الآتي يوضح موقع هاتين الدرجتين مـــن الإمالـة بالنسـبة للحركات.

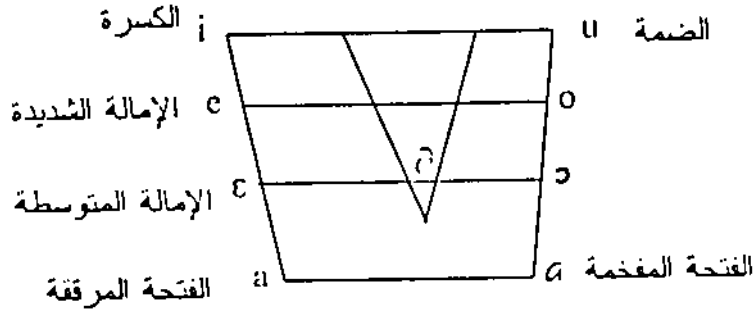

و الإمالة – كما جاء سابقاً – لم تقتصر على ما ذكره العلماء من إمالة الفتحة والألـــف نحو الكسرة و الياء، وإنما عرف العرب أنواعاً أخرى من الإمالة منها: إمالة الفتحة والألف نحو الضمة والواو ..... . ولما كانت هذه الأنواع من الإمالة مرتبطة بما يقتضيه النسق الكلامـــي من تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض، اقتصر العرب في حديثهم عن الإمالة على هذيـــن النوعين فقط، وهما إمالة الفتحة نحو الكسرة، والألف نحو الياء، لأنهما زادتا في ميلهما عن الحد الطبيعي الذي يأتي من تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض.

أما المحدثون فإنهم في دراستهم للإمالة لم يقتصروا على هذا النوع، وإنما درسوا كل ما يطرأ على الحركات من تغيير إثر مجاورتها الأصوات المختلفة، ولهذا نجدهم يعرفون الإمالـــة بأنها: "حركة واقعة بين أعلى حركة وأدنى حركة (سواء أكانت الحركة أمامية أم خلفية). فأعلى حركة أمامية هي الكسرة (والكسرة الطويلة، وهي ياء المد)، وأدنى حركة أمامية هـــي الفتحـة المرققة (والفتحة الطويلة وهي الألف)، وأي حركة واقعة بين الكسرة والفتحة المرققة، أو بيـــن

ويرى الباحث أن ما ذهب إليه الدكتور سمير ستيتية صحيح بإطلاق، إذ إن الجهد العضلي الذي يبذله المتكلم في نطق الإمالة الصغرى أكبر بكثير منه في نطق الإمالة الكبرى، وهذا ما يمكن ملاحظته ذاتياً عند نطقهما.

غرض الإمالة:

غلب على تعريفات المتقدمين للإمالة استخدام مادة "قرب"، ومنها التقريب، وهذا يتضمن إحداث نوع من التجانس بين الأصوات التي تقع فيها الإمالة والأصوات التي تمال إليها من أجل تسهيل اللفظ، وقد كان تفسير العلماء لغرض الإمالة أو فائدتها مبنيا على هذا.

فها هو ذا ابن جني يتحدث عن علة الإمالة فيقول: "وَإِنَّما وَقَعَتْ فِي الْكَلامِ لِتَقْرِيبِ الصَّوْتِ مِنَ الصَّوْتِ، وَذلِكَ نَحْو: عالِم، وَكِتاب، وَسَعى، وَقَضى، وَاسْتَقْضى. أَلَا تَرَاكَ قَرَّبْتَ فَتْحَةَ الْعَيْنِ مِنْ "عالِم" إِلى كَسْرَةِ اللامِ مِنْهُ، بِأَنْ نَحَوْتَ بِالْفَتْحَةِ نَحْوَ الْكَسْرَةِ، فَأَمَلْتَ الْأَلِفَ نَحْوَ الْياءِ، وَكَذلِكَ سَعى، وَقَضى: نَحَوْتَ بِالْأَلِفِ نَحْوَ الْياءِ الَّتِي انْقَلَبَتْ عَنْها"[1]، ويقول أيضاً "لِضَرْبٍ مِنْ تَجانُسِ الصَّوْتِ"[2]، وها هو ذا ابن يعيش يقول: "وكذلك في الإمالة قربوا الألف من الياء، لأن الألف تطلب من الفم أعلاه، والكسرة تطلب أسفله وأدناه فتنافرا، ولما تنافرا أجنحت الفتحة نحو الكسرة، والألف نحو الياء، فصار الصوت بين بين، فاعتدل الأمر بينهما، وزال الاستثقال الحاصل بالتنافر"[3]، ويقول في موضع سابق: "تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل"[4].

---

[1] الخصائص، ابن جني ١٤١/٢.

[2] سر صناعة الإعراب، ابن جني ٥٢/١.

[3] شرح المفصل، ابن يعيش ٥٥/٩.

[4] السابق ٥٤/٩.

ويقول الأنباري في بيان غرضها: "فإن قيل: فلم أدخلت الإمالة الكـــلام؟ قيـــل: طلبـــاً للتشاكل؛ لئلا تختلف الأصوات فتتنافر"[1]، ويقول السيوطي: "وذلك أن الألف والياء وإن تقاربـــا وصفاً قد تباينا من حيث إن الألف من حروف الحلق، والياء من حروف الفم، فقاربوم ما بأن نحوا بالألف نحو الياء، ولا يمكن أن ينحى بها نحو الياء، حتى ينحى بالفتحـــة نحـــو الكســـرة، فيحصل بذلك التناسب"[2]. ويقول ابن الجزري: "وأما فائدة الإمالة، فهي سهولة اللفظ، وذلـــك أن اللسان يرتفع بالفتح، وينحدر بالإمالة. والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع، فلهذا أمال مـــن أمال، وأما من فتح، فإنه راعى كون الفتح أمتن أو الأصل"[3].

ولما كان قد غلب على تعريفات المتقدمين للإمالة وذكر غرضها استخدام مادة "قـــرب" ومنها التقريب، وكذلك استخدامهم مصطلحي: التجانس، و التشاكل، فإنه يمكن القول إن الإمالـــة ضرب من ضروب المماثلة، لاسيما وأن هذه المصطلحات قد استعملها العلمـــاء للدلالـــة علـــى المماثلة التي تحدث بين الأصوات، وهذا ما يؤكده ابن جني حيث يقول: "وأما الإدغام الأصغـــر فهو تقريب الحرف من الحرف، وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك، وهو ضـــروب، فمـــن ذلك الإمالة"[4]. هذا وقد بينا سابقاً أن الإدغام الصغير عند ابن جني هو ما يعرف حديثاً بالمماثلة الجزئية[5]، وقول سيبويه: "وإنما أمالوها (أي الألف) للكسرة التي بعدها، أرادوا أن يقربوها منها كما قربوا في الإدغام الصاد من الزاي..."[6].

---

(1) أسرار العربية، الأنباري ٣٤٨.

(2) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي ١٨٣/٦.

(3) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٣٥/٢.

(4) الخصائص، ابن جني ١٤١/٢.

(5) انظر: البحث ٥٦.

(6) الكتاب، سيبويه ١١٧/٤.

ولكن لما كان إجماع الآراء السابقة على أن الإمالة كانت لتقريب الأصوات بعضها من بعض بإحداث التشاكل والتجانس فيما بينها، فإن الضرورة تقتضي إعادة النظر في بعض المسائل. فقول ابن الجزري: إن الانحدار بالكسرة أخف على اللسان من الارتفاع بالفتحة، جاء نتيجة التسليم بأن الفتحة تطلب من الفم أعلاه، والكسرة تطلب منه أسفله، وهذا ما تصوره ابن يعيش وغيره، وتابعه فيه بعض المحدثين.

وأما القول بأن الألف والياء تقاربا في الوصف اختلفا في أن الألف من حروف الحلق والياء من حروف الفم، فالصحيح أن الألف والياء غير متقاربتين، ثم إن الألف ليست من حروف الحلق، بل إنها من حروف الفم كما هي الياء. فالألف تنتج من موضع ما في أسفل الفم، والياء تنتج من موضع ما في أعلى الفم، ولعل ما دفع السيوطي إلى مثل هذا القول هو ظن المتقدمين أن الهمزة والألف صنوان، وعدم وقوفهم على طبيعة الحركات.

الإمالة في اللهجات العربية القديمة:

الفتح والإمالة لغتان مشهورتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، وهذا ما أجمع عليه العلماء[1]. وقد كان من اهتمام القدماء بالإمالة أن بيّنوا لنا القبائل التي عرفت بالإمالة، والقبائل التي لم تلهج بها، وإنما كانت تلتزم الفتح، ومن كتبهم التي تحدثت عن هذا، نجد أن الإجماع يكاد يكون منعقداً على أن الإمالة كانت لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس. جاء في النشر، والإتقان، والإتحاف أن الإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس[2].

٥٣٥٠٢٧

---

[1] انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢/٣٠.

[2] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢/٣٠، والإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي ١/٢٥٥، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن الباذ ١/٢٤٧.

ولما كان الإجماع منعقداً على أن الإمالة لغة عامة نجد من تميم وأسد وقيس، فإن ثمة خلافاً بين العلماء في لغة أهل الحجاز، فقد جاء أن الفتح لغة أهل الحجاز[1]، غير أن بعض العلماء ذكروا ما يدل على أن الحجازيين قد عرفوا الإمالة، وأنهم كانوا يميلون. ومن هذا ما ذكره سيبويه عند حديثه عن الإمالة إذ يقول: "وَمِمّا يُمِيلُونَ أَلِفَهُ كُلُّ شَيْءٍ كانَ مِنْ بَناتِ الْياءِ وَالْواوِ، مِمّا هُما فيْهِ عَيْنٌ إذا كانَ أَوَّلُ (فَعلْتُ) مَكْسُوراً نَحَوْا نَحْوَ الْكَسْرَةِ، كَما نَحَوْا نَحْوَ الْياءِ فيْما كانَتْ أَلِفُهُ في مَوْضِعِ الْياءِ، وَهْيَ لُغَةٌ لِبَعْضِ أَهْلِ الْحِجازِ، فَأَمّا الْعامَّةُ فَلا يُمِيلُونَ، وَلا يُمِيلُونَ ما كانَتِ الْواوُ فيْهِ عَيْناً إلّا ما كانَ مُنْكَسِرَ الْأَوَّلِ، وَذلِكَ: خافَ وَطابَ وَهابَ"[2].

وجاء في شرح المفصل: "أهل الحجاز يفتحون ما كان مثل: شاء، وخاف، وجاء، وكلد، وما كان من ذوات الياء والواو. وعامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس يسرون إلى الكسر ذوات الياء في هذه الأشياء، ويفتحون في ذوات الواو مثل: قال، وجال"[3].

وجاء في الهمع: "منهم من لم يمل إلا في مواضع قليلة، وهم أهل الحجاز"[4]، وفي أسرار العربية: "وهي (أي الإمالة) تختص بلغة أهل الحجاز، ومن جاورهم من بني تميم وغيرهم"[5] وفي الارتشاف: "أن أهل الحجاز يميلون الكسرة"[6].

و للدكتور التهامي الهاشمي رأيٌ يطعن فيه بفصاحة الإمالة، فقد جعلها عادة نطقية لبعض الأفراد،فهي في نظره دون اللغة الفصحى، فهي مستوى ثالث من الحديث، يقول: "إن ظاهرة الإمالة من المستوى الثالث للحديث، وهو الجانب الذي أطلقت عليه اللهجية "Idiolete"

---

[1] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢/٣٠، وشرح المفصل، ابن يعيش ٩/٥٤، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١/٢٤٧.

[2] الكتاب، سيبويه ٤/١٢٠-١٢١.

[3] شرح المفصل، ابن يعيش ٩/٥٤.

[4] همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي ٦/١٨٤.

[5] أسرار العربية، الأنباري ٣٤٨.

[6] ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان ٢٠٨.

لأنها دون اللغة، ما دام الاستعمال الشائع المطرد لا يقبلها في كل الأحيان، وليست بكلام ما دامت ظاهرة تنحصر -في بعض الأحيان- في عادة نطقية تسلكها فئات من المتخاطبين لا يرقى نشاطهم الفيلولوجي -على أي حال- إلى لهجة يمكنها أن تتسم بمقومات اللهجة، أو تقف - في أحيان أخرى- عند أسلوب النطق يتبعه من نقدر نطقه ونثق بعربيته"[1].

و الحق أن الإمالة لغة مشهورة فاشية على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، كما هو الفتح، وهذا ما أجمع عليه العلماء، وبالتالي فهي ليست ظاهرة محصورة بعدد من الأفراد، وإنما هي لغة كانت كثيرة الشيوع على ألسنة العرب، ومما يؤكد هذا ما نقله ابن الجزري عن الداني قوله: "فالفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس...، ثم أسند حديث حذيفة بن اليمان أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: اقرؤوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين"، قال ابن الجزري: "فالإمالة لا شك من الأحرف السبعة، ومن لحون العرب وأصواتها"[2].

الإمالة بين الأصالة والفرعية:

اتفق العلماء على أن الفتح والإمالة لغتان فصيحتان صحيحتان مشهورتان، إلا أن علماء القراءات[3] اختلفوا في أصالة الإمالة وفرعيتها، ويحدثنا ابن الجزري عن هذا الاختلاف وأسبابه قائلاً:

"وقد اختلف أئمتنا في كون الإمالة فرعاً عن الفتح، أو أن كلاً منهما أصل برأسه مع اتفاقهم على أنهما لغتان فصيحتان صحيحتان نزل بهما القرآن، فذهب جماعة إلى أصالة كل منهما، وعدم تقدمه على الأخر، وكذلك التفخيم والترقيق، وكما أنه لا يكون إمالة إلا بسبب،

---

[1] بعض مظاهر التطور اللغوي، د. النهامي الهاشمي ٨٨.

[2] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢/٣٠.

[3] لقد حصر علماء القراءات هذا الاختلاف لأن الحديث في هذا الموضوع -وكما يقول الدكتور عبد الفتاح شلبي- إنما هو من صميم القراء لا النحاة. فالنحاة لا يتحدثون عن هذا قصداً، والذي دفعهم إلى هذا أحد ثلاثة أمور: أولها ما رواه زيد بن ثابت عن الرسول - صلى الله عليه وسلم- من أن القرآن نزل بالتفخيم، فدفعهم ذلك للقول بأصالة الفتح. وثانيها تعرض القراء لتعليل الفتح في مثل: طارد، و مارح اللذين أمالهما النحاة و لم يمثلهما القراء، فاستعمل القراء القول بأصالة الفتح، وقالوا: إن ما جاء على أصله لا يسأل عن سببه. وثالثها-

فكذلك لا يكون فتح ولا تفخيم إلا بسبب. قالوا: ووجود السبب لا يقتضي الفرعية ولا الأصالة. وقال آخرون: إن الفتح هو الأصل، وإن الإمالة فرع بدليل أن الإمالة لا تكون إلا عند وجود سبب من الأسباب، فإن فقد سبب منها لزم الفتح، وإن وجد شيء منها جاز الفتح والإمالة، فما من كلمة تمال إلا وفي العرب من يفتحها، ولا يقال كل كلمة تفتح ففي العرب من يميلها، قالوا: فاستدللنا باطراد الفتح وتوقف الإمالة على أصالة الفتح وفرعية الإمالة، قالوا: وأيضاً فإن الإمالة تصير الحرف بين حرفين، بمعنى أن الألف الممالة بين الألف الخالصة والياء، وكذلك الفتحة الممالة بين الفتحة الخالصة والكسرة، والفتح يبقى الألف والفتحة على أصلهما، قالوا: فلزم أن الفتح هو الأصل والإمالة فرع. قلت: ولكل من الرأيين وجه وليس هذا موضع الترجيح[1].

ويقول ابن خالويه في بيان أن الأصل هو الفتح: "الحجة لمن فخم أنه أتى بالكلام على أصله ووجهه الذي كان له؛ لأن الأصل التفخيم، والإمالة فرع عليه"[2]، ويقول مكي بن أبي طالب: "اعلم أن أصل الكلام كله الفتح، والإمالة تدخل في بعضه، في بعض اللغات لعلة، والدليل على ذلك أن جميع الكلام الفتح فيه سائغ جائز، وليست الإمالة بداخلة إلا في بعضه في بعض اللغات لعلة، والأصل ما عمّ وهو الفتح"[3]، ويقول الأنباري: "والإمالة فرع عن التفخيم، والتفخيم هو الأصل بدليل أن الإمالة تفتقر إلى أسباب توجبها"[4]، ويقول ابن يعيش: "التفخيم هو الأصل، والإمالة طارئة، والذي يدل على أن التفخيم هو الأصل أنه يجوز تفخيم كل ممال، ولا يجوز

= اختلافهم في الفتح والإمالة، لذا كان من الطبيعي أن يتحدثوا في مثل هذا الموضوع. (انظر: في الدراسات القرآنية واللغوية، د. عبد الفتاح شلبي ٦٠-٦١).

[1] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢/٣١ – ٣٢.

[2] الحجة في القراءات، ابن خالويه ١/٣٥٨.

[3] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٦٨.

[4] أسرار العربية، الأنباري ٣٤٨.

إمالة كل مفخم، وأيضاً فإن التفخيم لا يحتاج إلى سبب والإمالة تحتاج إلى سبب»[1]. وأما السيوطي فقد قال في الإتقان بأصالة الفتح[2].

ويذهب الباحث إلى ترجيح الرأي القائل بأصالة الفتح وفرعية الإمالة، وهو ما عليه الجمهور، وذلك لأنه - وكما يقول ابن يعيش- يجوز فتح كل ممال وليس العكس، كما أن الإمالة تحتاج إلى سبب بينما الفتح فلا.

أسباب الإمالة:

فصل علماء النحو والقراءات القول في أسباب الإمالة، وكان حديثهم عنها مستمداً من حديث سيبويه في الكتاب، وإن كان سيبويه لم يضع عنواناً لأسباب الإمالة، لكنه ذكرها متفرقة، فكان يذكر النماذج التي أمالتها القبائل المختلفة، ثم يعلل لكل نموذج[3].

والحقيقة أن ما جاء في كتاب سيبويه من أسباب للإمالة كثير، تنبه العلماء إلى بعض هذه الأسباب، وغفلوا أو أهملوا بعضها، ومن هنا جاء اختلاف العلماء في عددها فمنهم من جعلها ستة، ومنهم من جعلها سبعة أو ثمانية، ومنهم من زاد على ذلك، يقول ابن الجزري: "فأسباب الإمالة قالوا هي عشرة ترجع إلى شيئين: أحدهما الكسرة، والثاني الياء، وكل منهما يكون متقدماً على محل الإمالة من الكلمة ويكون متأخراً، ويكون أيضاً مقدراً في محل الإمالة، وقد تكون الكسرة والياء غير موجودتين في اللفظ، ولا مقدرتين في محل الإمالة، ولكنهما مما يعرض في بعض تصاريف الكلمة، وقد تمال الألف أو الفتحة لأجل ألف أخرى أو فتحة أخرى

---

[1] شرح المفصل، ابن يعيش ٩/٥٤.

[2] الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي ١/٩٢.

[3] انظر: في الدراسات القرآنية واللغوية، د. عبد الفتاح شلبي ١٣٩.

ممالة، وتسمى هذه إمالة لأجل إمالة، وقد تمال الألف تشبيها بالألف الممالة. قلت: وتمال أيضاً بسبب كثرة الاستعمال، وللفرق بين الاسم والحرف، فتصبح اثني عشر سبباً، والله أعلم"[1].

وقد ذكر ابن القاصح سبباً آخر للإمالة، وهو اتباع رسم المصحف، بمعنى أن القراء حينما أمالوا كانوا يلاحظون رسم المصحف، وهذا ما يسمى اتباع الرواية، يقول ابن القاصح: "أن تكون الألف قد رسمت بالياء وإن كان أصلها الواو"[2].

من هنا يمكن القول إن أسباب الإمالة هي ثلاثة عشر سبباً، عشرة منها ترجع إلى الكسرة والياء، والثلاثة الباقية متعلقة بكثرة الاستعمال، أو التفريق بين الاسم والفعل، أو اتباع رسم المصحف.

موانع الإمالة:

لاحظ العلماء أن إمالة الألف أو الفتحة لا تكون في كل موضع، فثمة حالات تمتنع معها، وقد اتفق العلماء على أن ثمة عاملين يمنعان من الإمالة ولا تجوز الإمالة بهما، وأول هذين العاملين هو: أصوات الاستعلاء والإطباق وهي "الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والغين، والقاف، والخاء"[3].

و أصوات الاستعلاء والإطباق من موانع الإمالة ، وذلك بأن يكون أحدهما قبل ألف يتبعها كسرة نحو: قاعد، و غائب، و خامد، أو أن يكون بعد ألف نحو: عاصم، و عاضد، و ناخل، وكذلك إن كان بعد الألف بحرف نحو: نافخ، و نابغ، و نافق، أو بحرفين نحو: منافيخ، و

---

[1] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢/٣٢.

[2] سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح ١٠٣.

[3] انظر: الكتاب، سيبويه ٤/١٢٨، والأصول، ابن السراج ٣/١٦٠، وشرح المفصل، ابن يعيش ٩/٥٩، وشرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الاستراباذي ٣/١٤، وأسرار العربية، الأنباري ٣٤٩، والإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ١/٢٦٩.

معاليق[1]، إلا إذا كان سبب الإمالة كسرة مقدرة أو ياء مثل: خاف، و خاب، و طاب، و معطى، و سقى. فإن المانع في هذه الحالة يزول[2].

واستثنى النحاة من الحالات السابقة، والتي تمنع فيها الإمالة، أن يكون حرف الاستعلاء مكسوراً نحو: خيام، و صيام، و خداع، و ضعاف، أو ساكناً بعد كسرة نحو: مصباح، و إصلاح، أو أن يتصل بالألف راء مكسورة نحو: غارم، و قارب، و طارد. ففي هذه الأوضاع تكون إمالة الألف جائزة، ويميلها أهل الإمالة[3]. إلا أن علماء القراءات لا يتفقون مع النحاة في هذه الاستثناءات[4].

أما تعليل العلماء لمنع الإمالة مع أصوات الاستعلاء، فهو أن هذه الأصوات مستعلية يرتفع بها اللسان إلى الحنك الأعلى، بينما هو ينخفض بالإمالة لأن في الإمالة انحداراً للسان، أو كما قال سيبويه: "فَلَمَّا كانَتِ الْحُرُوفُ مُسْتَعْلِيَةً، وَكانَتِ الْأَلِفُ تَسْتَعْلِي، وَقَرُبَتْ مِنَ الْأَلِفِ، كانَ الْعَمَلُ مِنْ وَجْهٍ واحِدٍ أَخَفَّ عَلَيْهِمْ، كَما أَنَّ الْحَرْفَيْنِ إِذا تَقارَبَ مَوْضِعُهُما كانَ رَفْعُ اللِسانِ مِنْ مَوْضِعٍ واحِدٍ أَخَفَّ عَلَيْهِمْ فَيُدْغِمُونَهُ"[5].

والثاني: وهو الراء غير المكسورة، إذا وقعت الألف قبلها أو بعدها، أي أن هذه الراء التي تقع قبلها الألف أو بعدها تكون مضمومة أو مفتوحة[6]. يقول سيبويه: "وَمَتى اتَّصَلَتْ بِالْأَلِفِ راءٌ مَفْتُوحَةٌ أَوْ مَضْمُومَةٌ مَنَعَتِ الْإِمالَةَ"[7]. ويعلل العلماء ذلك بأن الراء حرف تكرير، فإذا كانت

---

[1] انظر: الكتاب، سيبويه ٤/١٢٨ – ١٣١، وأسرار العربية، الأنباري ٣٥٠ – ٣٥١ وشرح المفصل، ابن يعيش ٩/٥٩ – ٦١، وشرح شافيه ابن الحاجب، رضي الدين الاسترابادي ٣/١٥ – ١٨.

[2] الكتاب، سيبويه ٤/١٣١ – ١٣٢، وشرح المفصل، ابن يعيش ٩/٦٠.

[3] انظر: الكتاب، سيبويه ٤/١٣٠-١٣٢، وشرح المفصل، ابن يعيش ٩/٦٠، وأسرار العربية، الأنباري ٣٥٠-٣٥١.

[4] انظر: في الدراسات القرآنية واللغوية، د. عبد الفتاح شلبي ٢٥١ – ٢٥٣.

[5] الكتاب، سيبويه ٤/١٢٩، وشرح المفصل، ابن يعيش ٩/٦٠، وأسرار العربية، الأنباري ٣٤٩-٣٥١.

[6] انظر: الأصول، ابن السراج ١٦٠، وشرح المفصل، ابن يعيش ٩/٦١، وشرح شافيه ابن الحاجب، رضي الدين الاسترابادي ٣/٢٠، والإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ١/٢٦٩، وأسرار العربية، الأنباري ٣٤٩.

[7] الكتاب، سيبويه ٤/١٣١.

مفتوحة أو مضمومة، فكأنه قد اجتمع فيها فتحتان أو ضمتان، فلذلك منعت الإمالة، أما إذا كانت مكسورة، فكأنه قد اجتمع فيها كسرتان، فلذلك أوجبت الإمالة[1]. وتعليلهم هذا يفسر لنا سبب إمالة الألف مع حروف الاستعلاء إذا اتصلت بها راء مكسورة.

منهج حمزة في الإمالة:

عرف حمزة بأنه من القراء المكثرين للإمالة، كما أنه من أصحاب الإمالة الكبرى (الشديدة)، وما أثر عنه من الإمالة الصغرى (المتوسطة) قليل جداً لا يكاد يذكر.

وقبل الحديث عن مواطن الإمالة في قراءة الإمام حمزة وتعليلها في ضوء أسباب الإمالة التي ذكرها العلماء، وفي ضوء معطيات علم الأصوات الحديث، لا بد من الإشارة إلى موضوع هام يتعلق بحديث العلماء عن الإمالة، وهو أنهم يقولون بإمالة الهاء أو الراء أو غير ذلك من الأصوات. ولعله قد اختلطت عليهم هذه الحروف مع حركاتها الممالة (الفتحة والألف)، لأن الألف والفتحة هما الصوتان اللذان يمالان فقط في سياق ما ذكروا، وهذه بعض صور الإمالة عند حمزة:

أ. قرأ حمزة من رواية أبي عمر وابن سعدان عن سليم بإمالة كل ألف من اسم بعدها راء مكسورة، إذا كان كسرها كسر إعراب، وهذا في جميع القرآن، نحو: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[2]، ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[3] ﴿إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾[4]، ﴿إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ﴾[5]، ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ﴾[6]

---

[1] انظر: شرح المفصل، ابن يعيش ٦١/٩، وأسرار العربية، الأنباري ٣٥١.

[2] سورة البقرة: ١٦٧.

[3] سورة البقرة: ١٦٤.

[4] سورة آل عمران: ٧٥.

[5] سورة آل عمران: ٧٥.

[6] سورة الأعراف: ٧٨.

وأشباه ذلك[1] . في حين أنه قد رُوي عنه تقليل الألف قبل الراء في حالة الجر من الكلمتين التاليتين: "وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ"[2]، "لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ"[3] دون غيرهما[4].

وتعليل إمالة الألف في هذه الكلمات هو أنها جاءت متبوعة براء مكسورة، يقول المبرد: "اعلم أن الراء مكررة في اللسان، ينبو فيها بين أولها وآخرها نبوة، فكأنها حرفان، فإذا جاءت بعد الألف راء مكسورة مالت الألف من أجلها"[5]، ويؤكد هذا ابن يعيش بقوله: "إنما كانت الراء كذلك لأنها حرف تكرير، فإذا نطقت به خرج كأنه متضاعف، فإذا كانت مكسورة فهي تقوي الإمالة أكثر من قوة غيرها من الحروف المكسورة، لأن الكسرة تتضاعف، فهي من أسباب الإمالة"[6].

فالألف صوت متسع (مستفل) أتبع بالراء والكسرة، وهما صوتان ضيقان (مستعليان)، فما كان من ذلك إلا أن تأثرت الألف بهذين الحرفين، فمالت نحو الياء لمماثلتهما. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

١. إمالة الألف إمالة كبرى في كل اسم مختوم براء مكسورة، نقول:

نهارِ ← نهارِ.

Nahâri ← Nahâri[7]

---

[1] المبسوط في القراءات العشر، أحمد الأصبهاني ١١١.

[2] سورة إبراهيم: ٢٨ دون غيرها.

[3] سورة غافر: ١٦، وفي جميع القرآن.

[4] انظر: سراج القارئ المبتدئ وتذكار القارئ المنتهي، ابن القاصح ١١٤ – ١١٥، والإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ٢٧٣/١، والتيسير في القراءات السبع، الداني ٥١، والتذكرة في القراءات، ابن غلبون، المجلد الأول ٢٦٩، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٥٦/٢.

[5] المقتضب، المبرد ٤٨/٣.

[6] شرح المفصل، ابن يعيش ٦١/٩، وانظر: علم اللغة العام (الأصوات)، د. كمال بشر ١٢٩، والأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ٦٦.

[7] الفتحة فوق رمز الحركة للدلالة على الحركات الطويلة فـ (ā) للدلالة على الألف و (ē) للدلالة على الألف الممالة إمالة كبرى.. وهكذا.

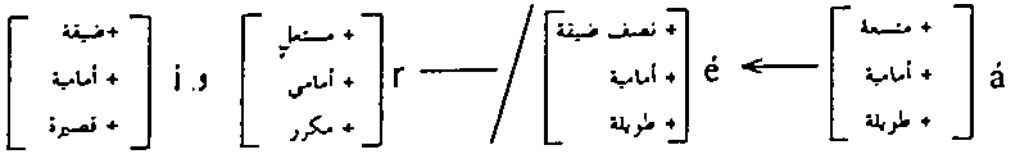

تحولت الحركة المعيارية الرابعة /á/ إلى الحركة المعيارية الثانية [é] في الموقع الـــذي جاءت فيه متبوعة بالراء / r/ والحركة المعيارية الأولى / i/. والمماثلة رجعية (مباشرة و غـير مباشرة).

ولما كان هذا ينطبق على كل ألف في اسم مختومة براء مكسورة، فإنه يمكن القول:

قاعدة:

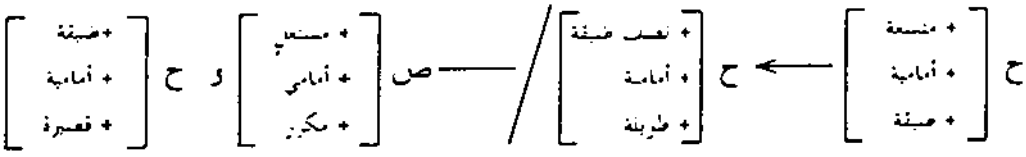

تتحول الحركة المعيارية (المتسعة، الأمامية، الطويلة) إلى الحركة المعياريـــة (نصـــف الضيقة، الأمامية، الطويلة) في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالصامت (المستفل، المكـــرر)، و الحركة المعيارية (ضيقة، أمامية، قصيرة). والمماثلة رجعية (مباشرة وغير مباشرة).

٢. إمالة الألف إمالة صغرى في "البوار، القهار"، نقول:

بوارِ ← بوارِ　　قهارِ ← قهارِ

Bawéri ← Bawári　　Qahhéri ← Qahhári

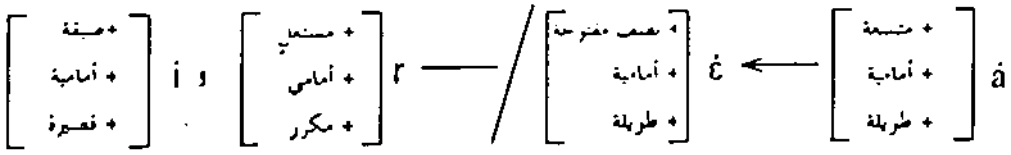

تحولت الحركة المعيارية الرابعة /á/ إلى الحركة المعيارية الثالثة [é] في الموقع الـــذي جاءت فيه متبوعة بالراء / r/ والحركة المعيارية الأولى /i/. والمماثلة رجعية (مباشرة وغـــير مباشرة).

ب. قرأ حمزة بتقليل الألف فيما تكررت فيه الراء نحو: "الاشرارِ، الأبرارِ، القرارِ" بشـــرط أن تكون الراء الثانية مكسورة[1].

ويعلل مكي بن أبي طالب الإمالة في هذه الكلمات بقوله: "للكسرة التي بعد الألف. وقوي ذلك لأن الكسرة على الراء أقوى منها على غيرها للتكرير الذي في الراء، وانفتاح الراء قبـــل الألف يضعف الإمالة فيه، لكن لما أوجبت إمالة الألف أن ينحى بفتحة الراء إلى الكسر حســـن قليلاً الإمالة فيه"[2].

إن إمالة الألف إمالة صغرى كانت بسبب وقوعها بين راءين ثانيتهما مكسورة، فـــالألف صوت مستفل، والراء صوت مستعل كما هي الكسرة، وهذا يتضمن تحرك اللسان متصعداً ثـــم منسفلاً ثم متصعداً، وهذا صعب، لذلك مالت الألف إلى الياء لتقترب من الراء والكسرة ويتحرك اللسان مرة واحدة متصعداً. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

قرارِ ← قرارِ

Qarêri ← Qarâri

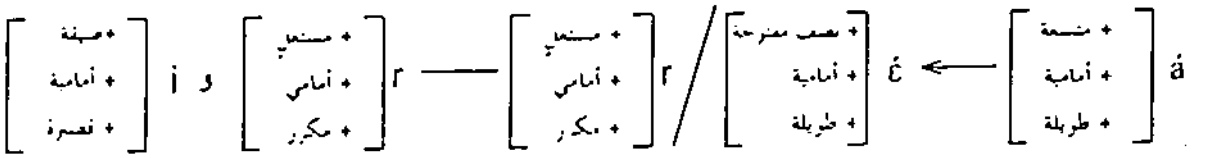

تحولت الحركة المعيارية الرابعة /â/ إلى الحركة المعيارية الثالثة [ê] في الموقع الـــذي جاءت فيه مسبوقة بالراء / r/ ومتبوعة بالراء /r/ والحركة المعيارية الأولـــى / i/ والمماثلـــة مزدوجة: تقدمية مباشرة ورجعية (مباشرة وغير مباشرة).

---

[1] انظر: سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح ١١٤ – ١١٥، والكشف عن وجوه القـــراءات الســـبع وعللـــها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٧٢ – ١٧٣، والإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ٢٧١ – ٢٧٣، والتيسير في القراءات الســـبع، الداني ٥١، والتذكرة في القراءات، ابن غلبون ٢٦٦-٢٦٧، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢/٥٨-٥٩.

[2] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٧٢.

ولما كان هذا ينطبق على جميع الكلمات التي هي من مثلها، فإنه يمكن القول:

قاعدة:

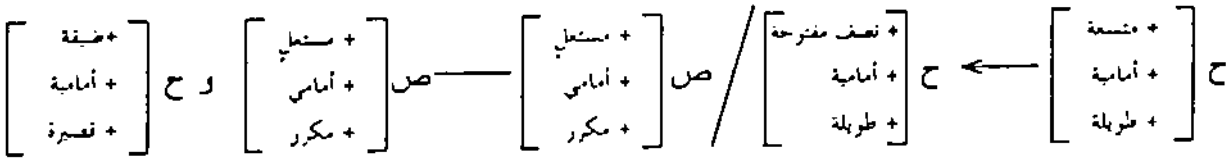

تتحول الحركة المعيارية (المتسعة، الأمامية ، الطويلة) إلى الحركة المعيارية (نصف المفتوحة، الأمامية، الطويلة) في الموقع الذي تكون فيه مسبوقة بالصامت (المستعلي، المكرر)، ومتبوعة بالصامت (المستعلي، المكرر) والحركة المعيارية (الضيقة، الأمامية، القصيرة). والمماثلة مزدوجة: تقدمية مباشرة، ورجعية (مباشرة وغير مباشرة).

ويرى الباحث أن الراء سبب كاف لإمالة الألف في هذه الكلمات، لهذا فإن إمالتها له ما يسوغه حتى لو لم تكن الكسرة موجودة.

ج. تفرد حمزة بإمالة الألف في "آتيك" من قوله تعالى: " قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ مرتين في النمل[1]، برواية خلف[2].

يقول مكي بن أبي طالب: "أمال الألف على أنها ألف فاعل، وأمال الهمزة لكسرة التاء"[3]. وقد علل العلماء الإمالة هنا للكسرة التي بعد الألف[4].

---

[1] سورة النمل: ٣٩ و ٤٠.

[2] انظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ٣٧٩/١، والمبسوط في القراءات العشر، الأصبهاني ١١٨، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١٧٣/١، والتذكرة في القراءات، ابن غلبون، المجلد الأول ٢٥٣، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٦٣/٢.

[3] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١٧٣/١.

[4] انظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ٣٧٩/١، والمبسوط في القراءات العشر، الأصبهاني ١١٨، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١٧٣/١، والتذكرة في القراءات، ابن غلبون، المجلد الأول ٢٥٣، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٦٣/٢.

ومن قول مكي وتعليل العلماء للإمالة في "أتيك" إمالة كبرى يتبين لنا أن جعلهم الكسرة هي سبب الإمالة (كسرة التاء) ظناً منهم أن على التاء كسرة قصيرة. والحقيقة أن حركة التاء هي الياء (الكسرة الطويلة)، وهي السبب في إمالة الألف. والألف صوت متسع (مستفل)، والياء صوت ضيق (مستعل) لذلك مالت الألف نحو الياء لتقترب منها فتماثلها. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

أتيك ← أتيك

ʔ étika ← ʔátika

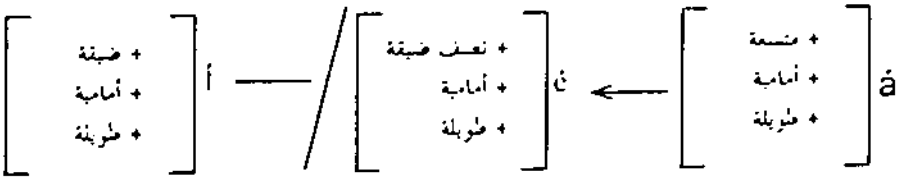

تحولت الحركة المعيارية الرابعة /á/ إلى الحركة المعيارية الثانية [é] في الموقع الذي جاءت فيه متبوعة بالحركة المعيارية الأولى/ أ /. والمماثلة رجعية مباشرة.

د. تفرد حمزة بإمالة الألف في "ضعافاً" في قوله تعالى:"ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا"[1]، برواية خلف[2] . وقد أميلت الألف مع وجود صوت الاستعلاء علماً بأن أصوات الاستعلاء جميعاً تمنع الإمالة، وقد علل العلماء ذلك بأن كسرة الضاد هي التي أدت إلى ذلك[3] .

يقول سيبويه في تعليل الإمالة في "ضعافاً" وأمثالها: "إِذا كانَ حَرْفٌ مِنْ هذِهِ الْحُرُوفِ قَبْلَ الْأَلِفِ بِحَرْفٍ وَكانَ هذا الْحَرْفُ (أي حرف الاستعلاء والإطباق) مَكْسُورًا فَإِنَّهُ لا يَمْنَعُ الْأَلِفَ

---

[1] سورة النساء: ٩

[2] انظر: التبصرة في القراءات، مكي بن أبي طالب ١٢٨، والمبسوط في القراءات العشر، الأصبهاني ١١٨، والإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ١/٢٧٨، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٧٤، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢/٦٣.

[3] انظر: السابقة،الصفحات نفسها.

مِنَ الإمالةِ... نَحْو: غِلاب، خِداع، ضِعاف"[1]، ويقول الأنباري: "فإنك إذا أتيت بالمستعلي مكسوراً أضعفت استعلاءه، ثم إذا أملت انحدرت بعد تصعّد، والانحدار بعد التصعد سهل خفيف، فبان الفرق بينهما"[2]، ويقول: "فالإمالة في ضرب المثال مع الكسرة بمنزلة النزول من موضع عالٍ بدرجة أو سلم"[3].

والحقيقة أن تعليل الإمالة بسبب الكسرة صحيح، ويمكن تحليل هذا فونولوجياً كالآتي:

ضِعافاً ← ضعافاً

di?éfan ← di?áfan

$$\text{á} \begin{bmatrix} +\text{منفتحة} \\ +\text{أمامية} \\ +\text{طويلة} \end{bmatrix} \longleftarrow \text{é} \begin{bmatrix} +\text{تصعد صيغة} \\ +\text{أمامية} \\ +\text{طويلة} \end{bmatrix} / \text{i} \begin{bmatrix} +\text{صيغة} \\ +\text{أمامية} \\ +\text{طويلة} \end{bmatrix} \text{ــــ}$$

تحولت الحركة المعيارية الرابعة /á/ إلى الحركة المعيارية الثانية [é] في الموقع الذي تكون فيه مسبوقة بالحركة المعيارية الأولى / i/. والمماثلة تقدمية غير مباشرة.

هـ. تفرد حمزة بإمالة الألف في عينات الأفعال العشرة الآتية: "جاء"، "شاء"، "زاد"، "زان"، "خاف"، "طاب"، "خاب"، "حاق"، "ضاق"، "زاغ"، كيف جاءت إذا كانت ثلاثية ماضية نحو: ﴿جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾[4]، ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾[5]، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾[6]، ﴿خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾[7]، ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾[8]، إلا "زاغ" فإنها تمال فقط في: "زاغ" و "زاغوا"

---

[1] الكتاب، سيبويه ٤/١٣٠ – ١٣١، وانظر: شرح المفصل، ابن يعيش ٩/٦٠.

[2] أسرار العربية، الأنباري ٣٥٠.

[3] السابق ٣٥٠-٣٥١.

[4] سورة آل عمران: ١٨٤.

[5] سورة الأنعام: ١٠٩.

[6] سورة البقرة: ٢٠.

[7] سورة النساء: ٩.

[8] سورة المطففين: ١٤.

ولا تمال في غيرهما نحو "زاغت"[1]. وذكر الأصبهاني من هذه الأفعال ثمانيـــة فأسـقط منها: "ران، خاف"، كما ذكر أن ألف "زاغت" تمال في رواية خلاد[2].

يقول سيبويه: "وَمِمّا يُمِيلُونَ أَلِفَهُ كُلُّ شَيْءٍ كانَ مِنْ بَناتِ الْياءِ وَالْواوِ، مِمّا هُما فيهِ عَيْـنٌ إِذا كانَ أول "فَعَلْتُ" مَكْسُورًا نَحَوْا بِالْفَتْحَةِ نَحْوَ الْكَسْرَةِ، كَما نَحَوْا بِالْأَلِفِ نَحْوَ الْياءِ في ما كـانَتْ أَلِفُهُ في مَوْضِعِ الْياءِ، فَهْيَ لُغَةٌ لِبَعْضِ الْحِجازِ، فَأَمّا الْعامَّةُ، فَلا يُمِيلُونَ"[3]، وقـال أيضـاً: "وَلا يُمِيلُونَ ما كانَتِ الْواوُ فيهِ عَيْنًا إِلّا ما كانَ مُنْكَسِرَ الْأَوَّلِ، وَذلِكَ: خافَ، وطابَ، وهابَ"[4].

وذهب ابن يعيش إلى جواز الإمالة في مثل هذا، كما فاضل بين ما أصله ياء وما أصلـه واو، إذ يرى أن الألف إذا كانت منقلبة عن واو جازت إمالتها إذا كانت فعلاً على وزن "فَعَـل" مثل "خاف"، إلا أن الإمالة فيما كان من الياء أحسن؛ لأن فيه علتين، وليس في ذوات الـواو إلا علة واحدة، وهي الكسرة لا غير[5].

ويفهم من كلام سيبويه وابن يعيش أن الإمالة في ما كان من ذوات الياء أقوى وأحسـن؛ لأن فيه علتين هما: الكسرة في وزن "فَعَلْت"، والياء التي هي أصل الألف، أما إمالة مـا كـان منقلباً عن واو فعلته واحدة، وهي الكسرة في وزن "فَعَلْت"، وعلى هذا الأساس جاء تعليل مكـي ابن أبي طالب سبب إمالة الألف في هذه الأفعال إذ قال: "وعلة الإمالة في ذلك أنه أمـال ليـدل على أن الحرف منها ينكسر عند الإخبار في قولك: "جِئْت وشِئْت، وخِفْت، وزِغْـت، وطِبْـت، وضِقْت، وخِيْت، وخِفْت"، فدل على أن الأول منها مكسور عند الإخبار، فعملت الكسرة المقدرة،

---

(1) انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٧٤، ١٨٢، والإقناع في القراءات السبع، ابـن الباذش ١/٣٠٢-٣٠٦، والتذكرة في القراءات، ابن غلبون، المجلد الأول ٢٤٢، والتيسير في القراءات السـبع، الـداني ٥٠، والنشـر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢/٥٩ - ٦٠ (زاغت في سورتي: الأحزاب: ١٠، ص: ٦٣).

(2) المبسوط في القراءات العشر، أحمد بن الحسين الأصبهاني ١١٨-١١٩.

(3) الكتاب، سيبويه ٤/١٢٠.

(4) السابق ٤/١٢٠-١٢١.

(5) انظر: شرح المفصل، ابن يعيش ٩/٥٨.

فأميلت الألف لها"[1] ثم أخذ يفصل القول في ترتيب علل الإمالة في هذه الأفعال من حيث الدرجة والقوة وقسمها في ضوء ذلك إلى أربعة أقسام هي[2] :

الأول: ويمثل الفعل "شاء"، وهو أقواها، وذلك أن فيه خمس علل تقوى الإمالة بها، إحداها أن الأول ينكسر عند الإخبار في قولك "شئت". والثانية أن الألف التي هي عين الفعل الممالة أصلها الياء فيه. والثالثة أن الهمزة في آخره تشبه الألف لأنها أختها في قرب المخرج، وفي أنها تبدل من الهمزة كثيراً، فصار كأن في آخره ألفاً، فقويت الإمالة لذلك. والرابعة أن العين في المستقبل منه مكسورة، فأميلت الألف في الماضي لتدل على كسرة العين في المستقبل. والخامسة أن مستقبل "شاء" جاء على مثال مستقبل "فَعِلَ" (بكسر العين) لأنه جاء على "يَفْعَلُ" (بفتح العين) لأجل الهمزة، وأصل عينه الكسرة، فكأن العين من "شاء" يشبه العين من "خاف" التي أصل عينها الكسر.

الثاني: ويمثل الفعل "جاء" وجعله في المرتبة الثانية (بعد شاء) من حيث قوة الإمالة، لأن فيه أربع علل هي العلل الأربع الأولى في "شاء"، وهو يفتقد العلة الخامسة في "شاء" والتي تتضمن كون مستقبل "شاء" على وزن "يَفْعَلُ" (بفتح العين) مع أن أصله الكسر، وذلك لأجل الهمزة.

الثالث: ويمثل الأفعال "طاب، خاب، ضاق، زاغ، حاق، زاد"، وتأتي هذه الأفعال في الدرجة الثالثة، من حيث قوة الإمالة بعد "شاء وجاء"، وذلك لأن فيها عللاً ثلاثا هي الثلاث الأولى في "شاء وجاء".

---

[1] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٧٤.

[2] السابق، ١/١٧٤- ١٧٥.

الرابع: ويمثل الفعل "خاف" ويأتي بعد الأفعال السابقة جميعها في قوة الإمالة، وذلك لأن فيه علتين فقط، أولاهما أن الأول ينكسر في الإخبار في قولك "خِفْتَ"، وهذه العلة تشترك فيها مع باقي الأفعال. ثانيتهما أن عين الفعل منه أصله الكسر.

أما الفعل "ران"، فإن مكياً لم يعلل له بما علل به للأفعال السابقة، وهو لكسرة تعرض في بعض الأحوال، وإنما علل له تحت باب ما أميل لتدل إمالته على أصله، ومنه ما أميل لأن أصل ألفه الياء، يقول: "ومما أميل لأن أصل ألفه الياء قوله: "بل ران"... وهو من "الرين"، وهو الغلبة، تقول: ران، يرين، أي: غلب. فالياء ظاهرة في مصدره وفعله، فلذلك أميل، ولم تمنعه فتحة الراء من الإمالة لأن الألف أصلية"[1].

ويلاحظ على اشتراط العلماء في هذه الأفعال أن تكون ثلاثية ماضية إذا ما أردنا إمالتها أنهم أرادوا أن يبقى لام هذه الأفعال مفتوحاً، ولذلك يمكن تفسير إمالة الألف في الأفعال السابقة وفي ضوء علم الأصوات الحديث على النحو الآتي:

١. جاءت الإمالة في الأفعال "شاء، جاء، ران، زاد، زاغ" على سبيل المماثلة بين الألف وما سبقها من أصوات وهي "ش،ج،ر،ز"، وهذا من جهة، وعلى سبيل المخالفة[2] بين الألف والفتحة التي تليها من جهة ثانية، ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

جاءَ ← جاءَ

jé?a ← já?a

---

[1] انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٧٧ و ١٨٢. ولكن ابن الباذش وابن الجزري، وغيرهما، قد حملوها مما أميل لكسرة تعرض في بعض الأحوال (انظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ١/٣٠٢، و النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢/٣٤).

[2] المخالفة: وهي عكس المماثلة، وتكون بإحداث تخالف بين صوتين متماثلين في سلسلة الكلام، وتكون نتائج أحدهما على الآخر أو بتأثر صوت ثالث، وتنقسم إلى تقدمية (مباشرة وغير مباشرة) ورجعية (مباشرة وغير مباشرة). انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ٢١٠.

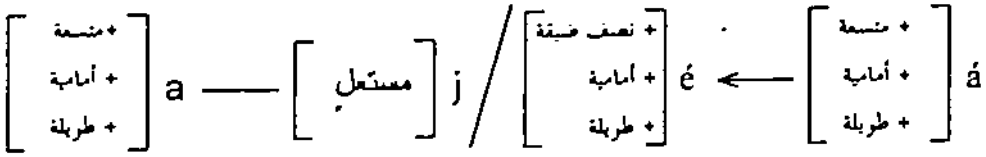

تحولت الحركة المعيارية الرابعة /á/ إلى الحركة المعيارية الثانية [é] في الموقع الذي جاءت فيه مسبوقة بالجيم / j/ ومتبوعة بالحركة المعيارية الرابعة /a/. والمماثلة تقدمية مباشرة، والمخالفة رجعية مباشرة.

فالألف صوت متسع (مستفل) نحا نحو الياء لمناسبة الجيم (وهو صوت مستعل)، ومماثلته، كما مالت الألف نحو الياء لمخالفة الفتحة التي على الهمزة، وهي صوت (مستفل) أيضاً. والمماثلة تقدمية مباشرة، والمخالفة رجعية غير مباشرة. وهذا ينطبق على الأفعال الأربعة الأخرى.

٢. جاءت الإمالة في الأفعال: "خاف، خاب، طاب، ضاق" على سبيل المخالفة بين "الخاء والطاء والضاد" و الألف من جهة، وبين الألف والفتحة التي على الحرف الأخير (لام الفعل) من جهة ثانية. فـ"الخاء، والضاد، والطاء" أصوات خلفية، إذ موضع نطقها في منطقة الطبق حين تكون مرققة، وهي لهوية حين تكون مفخمة، وهي في هذه المواقع لهوية لأنها أصوات مفخمة؛ وعلى ذلك فالألف خلفية لأنها مفخمة، وعندما تمال الألف، فإنها تصبح أمامية، وبذلك تخالف "الخاء والطاء والضاد"، كما أنها بميلانها تخالف الفتحة المرققة والتي هي صوت مفتوح (مستفل)؛ فهي بإمالتها تتحول إلى صوت (مستعل)، فتخالف بذلك الفتحة.

ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

خافَ ← خافَ

xéfa ← xáfa

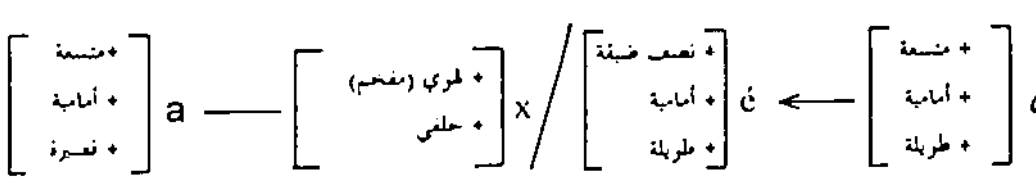

تحولت الحركة المعيارية الخامسة /á/ إلى الحركة المعيارية الثانية [é] في الموقع الذي جاءت فيه مسبوقة بالخاء / x/ المفخمة، ومتبوعة بالحركة المعيارية الرابعة / a/. والمخالفة مزدوجة (تقدمية ورجعية).

وينطبق هذا على "خاب، وطاب، وضاق".

٣. جاءت الإمالة في الفعل "حاق" على سبيل المخالفة بين الحاء والألف من جهة، وبين الألف والفتحة التي على لام الفعل من جهة ثانية. فالحاء صوت مستفل، والألف كذلك صوت مستفل، كما هي الفتحة التي على القاف، وميلان الألف يحولها إلى صوت مستعل، فيخالف الحاء والفتحة و هما صوتان مستفلان. ويمكن تحليل ذلك فونولوجيا كالآتي:

حاق ← حاق

héqa? ← háqa??

[+منتسبة + أمامية + قصيرة] a ـــــ [مستفل] h / [+ تعلو ضيقة + أمامية + طويلة] é ← ـــــ [+ منتسبة + أمامية + طويلة] á

تحولت الحركة المعيارية الرابعة /á/ إلى الحركة المعيارية الثانية [é] في الموقع الذي جاءت فيه مسبوقة بالحاء /h/ ومتبوعة بالحركة المعيارية الرابعة /a/. والمخالفة مزدوجة (تقدمية ورجعية).

ولما كانت الإمالة في هذه الأفعال مخصوصة (أي لا تكون إلا فيها)، فلم يمل الإمام حمزة ما هو من مثلها من الأفعال نحو: سار، سال، كاد...، فإنه يمكننا القول إن الإمالة هنا ما يتبع فيه الرواية، ولا تقوى فيه علة جامعة[1].

---

[1] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٧٦.

و. قرأ حمزة بإمالة ألف "كلا" من قوله تعالى: " أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا "[1]. وقد تفرد بها حمـــزة،و الكسائي،وخلف[2].والإمالة هنا من أجل الكسرة التي قبل الألف[3] .

وأشار مكي بن أبي طالب إلى مضمون المماثلة غير المباشرة التي تتحصل من إمالـــة ألف "كلاهما"، فذكر أن هذه الألف أميلت لتماثل الكسرة التي على الكاف، وقال: "ولم يعتد باللام لأن الحرف الواحد لا يمنع و لا يحجز، وقد أمالت العرب الألف للكسرة التي قبلها، وقد حـــال بينهما حرفان، نحو قولهم: "لن تضربها، وتريد أن تنزعها"، فأمالوا المكسورة ولم يعتدوا بالـهاء لخفائها، و لا بالباء، ولا بالعين لأنه حرف واحد"[4].

وقد استدل البصريون بإمالة ألف "كلاهما" في هذه القراءة على أنها ليست للتثنية، إذ لـو كانت للتثنية لما أميلت[5].

والألف صوت مستفل (متسع) والكسرة صوت مستعل (ضيق)، فأثرت الكسرة في الألف لمجاورتها لها وأكسبتها شيئا من الضيق (الاستعلاء) الذي تتصف به، وحدثت المماثلة بينهما بأن تحولت الألف إلى حركة نصف ضيقة. ويمكن تحليل ذلك فونولوجيا كالآتي:

كلا ← كلا

kilé ← kilá

$$\text{á} \longrightarrow \begin{bmatrix} +\text{متسعة} \\ +\text{أمامية} \\ +\text{طويلة} \end{bmatrix} \quad \text{é} \longleftarrow \begin{bmatrix} +\text{نصف ضيقة} \\ +\text{أمامية} \\ +\text{طويلة} \end{bmatrix} \quad \text{i} \;/\; \begin{bmatrix} +\text{ضيقة} \\ +\text{أمامية} \\ +\text{قصيرة} \end{bmatrix} \longrightarrow$$

---

[1] سورة الإسراء: ٢٣.

[2] انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٧٣، والإقناع في القراءات السبع، ابن البـاذش ١/٢٧٨، والتذكرة في القراءات، ابن غلبون، المجلد الأول ٢٧٣، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢/٥٠-٥١.

[3] انظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ١/٢٧٨، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طـالب ١/١٧٣، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢/٥٠-٥١.

[4] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٧٣.

[5] الإنصاف في مسائل الخلاف، الأنباري ٤٤٨.

تحولت الحركة المعيارية الرابعة /ة/ إلى الحركة المعيارية الثانية [ع] في الموقع الذي جاءت فيه مسبوقة بالحركة المعيارية الأولى / ا/. والمماثلة تقدمية غير مباشرة.

ز. قرأ حمزة بإمالة كل ألف هي لام الكلمة، أصلها ياء حيث وقعت في القرآن الكريم سواء أكانت ثالثة أم رابعة فأكثر في اسم أو فعل، وذلك مثل: "نأى ، أتى، رأى، نرى يرى، ترى، سعى، رمى، عسى، هدى، أحيا، استوى، اشترى، افترى، اجتبى، تتمارى، يتوارى، ترضى، تولى، سوى، تولى، استهدى، نادى، تراءى، يتوفى، يفترى،" وشبهه، وهذا في الأفعال سواء اتصل بها ضمير أم لم يتصل. وفي الأسماء مثل: "الهوى الهدى، الزنى، المأوى، المنتهى، فتى، مجرى، محيى، يحيى، موسى، عيسى، منتهى، أدرى، أعمى، والتوراة"، وشبهه اتصلت بها ضمير أم لم يتصل[1]. كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[2]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[3]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾[4]، ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾[5]، ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[6]، ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾[7].

---

[1] انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٧٧ - ١٨٦، والتذكرة في القراءات، ابن غلبون، المجلد الأول ٢٤١-٢٦٦، والتيسير في القراءات السبع، الداني ٤٦-٥٣، والإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش، ١/٢٧٨-٣٠١، وسراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح ١٠٣-١٠٨، والمبسوط في القراءات العشر، الأصبهاني ١١١-١١٩، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢/٣٥-٥٤.

[2] سورة طه: ٥٠.

[3] سورة الأنفال: ١٧.

[4] سورة الإسراء: ٣٢.

[5] سورة هود: ٤١.

[6] سورة الأنفال: ٤٠.

[7] سورة آل عمران: ٣.

وقد وضع القراء ضابطا لمعرفة الألف المنقلبة عن الياء من الألف المنقلبة عن واو وهذا الضابط هو:[1]

١. إذا كانت الألف في اسم فيثنى هذا الاسم، فإن انقلبت ألفه ياء في التثنية دل على أن هذه الألف منقلبة عن ياء، فنقول في اليائي من الأسماء: "المولى، فتى الهدى: المولِيان، فتيان الهديان"، ونقول في الواوي من الأسماء: "الصفا، شفا، سنا: الصفوان، شفوان، سنوان".

٢. وإن كانت الألف في فعل فبإسناد ذلك الفعل إلى تاء الفاعل، فإن انقلبت ألف الفعل بعد الإسناد ياء دل ذلك على أن أصلها الياء، فنقول في اليائي من الأفعال: "أتى، رمى، سعى: أتيت، رميت، سعيت"، ونقول في الواوي من الأفعال: "دعا، دنا، عفا: دعوت، دنوت، عفوت".

وذكر سيبويه هذا النوع من الإمالة وعلل له، فقال: "أَمّا ما كانَ مِنْ بَناتِ الْياءِ فَتُمالُ أَلِفُهُ، لِأَنَّها في مَوْضِعِ ياءٍ وَبَدَلٌ مِنْها فَنَحَوْا نَحْوَها"[2].

وذهب ابن يعيش إلى مثل هذا حين قال: "الألف إذا كانت في آخر الكلمة فلا تخلو أن تكون عن واو أو ياء، فإن كانت منقلبة عن ياء في اسم أو فعل؛ فإمالتها حسنة، وذلك قولك: "رمى، قضى، سعى"، وفي الاسم: "فتى، ورحى"[3].

ويذكر مكي بن أبي طالب أن هذه الألفات أميلت لتدل إمالتها على أصلها وهو الياء، يقول عند حديثه عما أميل لتدل إمالته على أصله: "وذلك أن تكون الألف أصلها الياء ... فتجب

---

[1] انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٨٠-١٨٣، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢/٣٦.

[2] الكتاب، سيبويه ٤/١١٨.

[3] شرح المفصل، ابن يعيش ٩/٥٧.

الإمالة لتدل على أصل الألف"[1]، ويقول معللا ذلك: "وعلة إمالته لتقرب الألف من أصلها"[2].

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن إمالة مثل هذه الألف تعد مرحلة من مراحل تطور نطق أصوات اللين في العربية، فهذه الألف كان ينطق بها في أول الأمر خالصة، فـ "رمى" كانت تنطق في المرحلة الأولى "رمي"، ثم تطور نطق الياء، فصارت مرحلة وسطا بين الألف والياء، وهذا ما يعرف بالإمالة[3] .

ح. قرأ حمزة بإمالة ألف التأنيث في ما كان على:

١. وزن "فعلى" (بضم الفاء) مثل: "الأنثى، السوءى، الأخرى، البشرى، الكبرى، طوبى، القصوى، الدنيا، القربى" وشبهه سواء اتصل بها ضمير أم لم يتصل، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[4] ﴿ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾[5] وشبهه.

٢. وزن "فعلى" (بفتح الفاء) مثل: "التقوى، النجوى، صرعى، شتى، أسرى، سكرى، موتى، دعوى" وشبهه، سواء اتصل بها ضمير أم لم يتصل، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾[6]، ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾[7]، وشبهه.

---

[1] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٧٧، وانظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ١/٢٨٠ – ٢٩٣، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢/٣٥-٣٦.

[2] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٧٩.

[3] انظر: في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس ٦٥.

[4] سورة البقرة: ٩٧.

[5] سورة البقرة: ٨٣.

[6] سورة البقرة: ١٩٧.

[7] سورة الأعراف: ٥.

فَكَذلِكَ كُلُّ شَيْءٍ كانَ مِثْلَهُما مِمّا يَصيرُ في تَثْنِيَةٍ أَوْ فِعْلِ ياءٌ، فَلَمّا كانَتْ في حُرُوفٍ لا تَكُونُ مِنْ بَناتِ الْواوِ أَبَدًا صارَتْ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ رَمى وَنَحْوِها"[1].

ط. قرأ حمزة بإمالة كل ألف هي لام الكلمة إذا كانت زائدة رابعة فاكثر في اسم أو فعل، وذلك مثل: "زَكّى، تَزَكّى، تَعالى، تَذَعّى، يُتْلى، تَتْلى، اعْتَدى، تَجَلّى، نَجّا، تَبَلّى، ابْتَلى، أَنْجى، اسْتَعْلى"، وشبهه، وذلك في الأفعال سواء اتصل بها ضمير أم لم يتصل، كما في قوله تعالى: " قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكّاهَا "[2]، " سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ "[3]، وشبهه، وفي الأسماء مثل:" أعلى، أدنى، أشقى، أزكى، الضحى، العلى، الدنيا، الربا" وشبهه سواء اتصل به ضمير أم لم يتصل، كما في قوله تعالى: "إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا"[4]. " وَالضُّحَىٰ "[5] "الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوٰا"[6]،وشبهه [7].

وقد ذكر سيبويه إمالة الألف في مثل هذه المواضع وعلل لها قال: "وَالإِمالَةُ في الْفِعْلِ لا تَنْكَسِرُ إِذا قُلْتَ: "غَزا، صَفا، دَعا" وَإِنَّما كانَ في الْفِعْلِ مُتَلَبِّبًا، لِأَنَّ الْفِعْلَ لا يَثْبُتُ عَلى هذِهِ الْحالِ لِلْمَعْنى، أَلا تَرى أَنَّكَ تَقُولُ: "غَزا" ثُمَّ تَقُولُ: "غَزِيَ" فَتُدْخِلُهُ الْياءُ، وَتَغْلِبُ عَلَيْهِ مَوْعِدَةُ الْحُرُوفِ عَلى حالِها. وَتَقُولُ: "اغْزُوا" فَإِذا قُلْتَ: "أَغْزى" قَلَبْتَ وِعِدَّةُ الْحُرُوفِ عَلى حالِها...، وَتَخْرُجُ إِلى

---

[1] الكتاب، سيبويه ٤/١٢٠.

[2] سورة الشمس: ٩.

[3] سورة الأنعام: ١٠٠.

[4] سورة الشمس: ١٢.

[5] سورة الضحى: ١.

[6] سورة البقرة: ٢٧٥.

[7] انظر: سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح ١٠٦، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٧٧-١٧٨، والمبسوط في القراءات العشر، الأصبهاني ١١٣-١١٧، والإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش، ١/٢٨٠-٢٩٦، والتذكرة في القراءات، ابن غلبون، المجلد الأول ٢٤٨-٢٦٣، والتيسير في القراءات السبع، الداني ٤٦-٤٩، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢/٣٥-٣٧.

الْياءِ تَقُوْلُ: لَأُغْزِيَنَّ"[1]. وقال "فَإِذا بَلَغَتِ الْأَسْماءُ أَرْبَعَةَ أَحْرُفٍ أَوْ جاوَزَتْ مِنْ بَناتِ الْواوِ فَالْإِمالَةُ مُسْتَبِبَّةٌ، لِأَنَّها قَدْ خَرَجَتْ إِلى الْياءِ"[2].

وتابعه ابن يعيش في ذلك قال: "الألف إذا كانت في آخر الكلمة فلا تخلو من أن تكون منقلبة عن واو أو ياء... وإن كانت عن الواو، فإن كانت فعلاً جازت الإمالة فيه على قبح نحو قولك: "غزا، ودعا، وعدا"، لأن هذا البناء قد ينقل بالهمزة إلى أفعل فتصير واوه ياء؛ لأن الواو إذا وقعت رابعة صارت ياء نحو: "أغزيت، و أدعيت"، فتقول: "أغزي، وأدعي" بالإمالة. وأيضاً فإنه قد يبني لما لم يسم فاعله فيصير إلى الياء، ونحو: "غزا ودعا"، فتخيلوا ما هو موجود في الحكم موجوداً في اللفظ"[3].

وقد سار القراء في تعليلها على ما ذهب إليه سيبويه وابن يعيش وغيرهما، في أن الإمالة في هذه الكلمات من باب إمالة الألف المشبهة بالمنقلبة، والتي تصير ياء في الفعل عند إسناده إلى تاء الفاعل مثل: "تعاليت، وتزكيت"، وفي الاسم عند التثنية مثل: "أدنيان، وأزكيان". فأميلت الألف تشبيهاً لها بالألف المنقلبة عن ياء، فتقرب من حكمها.[4]

ويعلل الدكتور عبد الفتاح شلبي إمالة الألف في بعض الكلمات مثل: "الضحى، ضحاها، دحاها" أنها جاءت من اجل التناسب أو الانسجام الصوتي. فهذه الكلمات جاءت رؤوس آيات في سور رؤوس آيها جميعاً ممالة، وأما ما روي عن حمزة من أنه لم يمل بعض الكلمات على الرغم من أنها رؤوس آيات، فقد علله شلبي بأن: "تلاها، وطحاها، وسجى" جاءت رؤوس آيات وقعت في أوائل السور، فلم يكن التناسب فيها ظاهراً ظهوره في قوله "دحاها" التي جاءت رأس

---

[1] الكتاب، سيبويه ٤/١١٩.

[2] السابق ٤/١٢٠.

[3] شرح المفصل، ابن يعيش ٩/٥٧.

[4] انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٧٧-١٧٨، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢/٣٦-٣٧.

آية متوسطة لآيات قبلها وبعدها رؤوس آيها ممال"[1] والحقيقة أن تعليل شلبي هذا ينتظم من الكلمات ما كان أصل ألفها الياء، أو مبدله من واو، أو زائده للتأنيث[2].

ي. قرأ حمزة بإمالة ألف الندبة في قوله تعالى: "أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ"[3]، و قوله تعالى: "وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ"[4]، و قوله تعالى: "يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا"[5].

كما قرأ بإمالة الألف في اسمي الاستفهام: "أنى"، متى" كما في قوله تعالى: "أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ"[6] و "وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ"[7]، وأمال كذلك "بلى" في قوله تعالى: "بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً"[8][9].

قال سيبويه: "وَمِمَّا يُمِيلُونَ أَلِفَهُ كُلُّ اسْمٍ كَانَتْ فِي آخِرِهِ أَلِفٌ زَائِدَةٌ لِلتَّأْنِيثِ أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ، لِأَنَّهَا بِمَنْزِلَةِ مَا هُوَ مِنْ بَنَاتِ الْيَاءِ"[10]، ويقول مكي بن أبي طالب عند حديثه عن الألف الزائدة التي تجري على حكم الأصلية: "ومنه ما فيه ألف التأنيث، فتمال لأن التأنيث له الكسر والياء في قوله: أنى لك، ومتى"[11]، وفي حين أنه جعل: "أنى، يا حسرتي، يا ويلتي، يا أسفي" مما أميل لأن أصله الياء، قال: "ومن ذلك "أنى" التي بمعنى كيف ومن أين، و "يا ويلتى، ويا حسرتى، ...

---

[1] انظر: في الدراسات القرآنية واللغوية، د. عبد الفتاح شلبي ١٩٣-١٩٤.

[2] سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح ١٠٨، والسور التي رؤوس آيها ممالة في قراءة حمزة هي "طه، النحم، سأل سائل، النازعات، عبس، الأعلى، الشمس، الليل، الضحى، العلق".

[3] سورة الزمر: ٥٦.

[4] سورة يوسف: ٨٤.

[5] سورة الفرقان: ٢٨.

[6] سورة آل عمران: ٤٠.

[7] سورة الإسراء: ٥١.

[8] سورة البقرة: ٨١

[9] انظر: سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح ١٠٤-١٠٧، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٧٨ و ١٨٥، والتذكرة في القراءات، ابن غلبون، المجلد الأول ٢٥٧ و ٢٦١، ٢٧٢، والإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ١/٢٨٥ و ٣٠٠، والتيسير في القراءات السبع، الداني ٤٦ و ٤٨، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢/٣٧.

[10] الكتاب، سيبويه ٤/١٢٠.

[11] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٧٨.

يا أسفى.... وكله أصل ألفه الياء وهو علة إمالته"[1]. أما ابن القاصح، فيعلل إمالتها بأنها رسمت في المصحف ياء[2] ، وقد تابعه على ذلك ابن الجزري[3].

والحقيقة أنه وفي ضوء معطيات علم الأصوات الحديث، يمكن تعليل إمالة الألف في الكلمات السابقة جميعاً في (ز،ح،ط،ي) على النحو الآتي:

أولاً: المماثلة بين الألف وما يسبقها من أصوات، وتشمل:

١. المماثلة بين الألف والكسرة التي تسبقها، وذلك مثل: "الربا، الزنى"[4] وشبهه مما كانت فيه الألف فى الموقع الأخير ومسبوقة بكسرة. فالألف صوت متسع والكسرة صوت ضيق، فتميل الألف نحو الياء لتقترب من الكسرة. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

الرّبا ← الرِبا

arribá ← arribá

$$\acute{a} \leftarrow \begin{bmatrix} +\text{متسعة} \\ +\text{أمامية} \\ +\text{طويلة} \end{bmatrix} \acute{a} \leftarrow \begin{bmatrix} +\text{بعض ضيقة} \\ +\text{أمامية} \\ +\text{طويلة} \end{bmatrix} \acute{i} \; / \; ____ \begin{bmatrix} +\text{متسعة} \\ +\text{أمامية} \\ +\text{قصيرة} \end{bmatrix}$$

تحولت الحركة المعيارية الرابعة / á/ إلى الحركة المعيارية الثانية [í] في الموقع الذي جاءت فيه أخيرة، ومسبوقة بالحركة المعيارية الأولى /i/. والمماثلة تقدمية غير مباشرة.

ولما كان هذا ينطبق على جميع الكلمات التي هي من مثلها، فإنه يمكن القول:

قاعدة:

$$ح \leftarrow \begin{bmatrix} +\text{مفتوحة} \\ +\text{أمامية} \\ +\text{طويلة} \end{bmatrix} ح \leftarrow \begin{bmatrix} +\text{بعض ضيقة} \\ +\text{أمامية} \\ +\text{طويلة} \end{bmatrix} ح \; / \; ____ \begin{bmatrix} +\text{ضيقة} \\ +\text{أمامية} \\ +\text{قصيرة} \end{bmatrix}$$

---

[1] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٨٥.

[2] انظر: سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح ١٠٥.

[3] انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢/٣٧.

[4] السابق، الصفحة نفسها.

تتحول الحركة المعيارية (المتسعة، الأمامية، الطويلة) إلى الحركة المعيارية (نصف الضيقة، الأمامية، الطويلة) في الموقع الذي تكون فيه أخيرة، ومسبوقة بالحركة المعيارية (الضيقة، الأمامية، القصيرة). والمماثلة تقدمية غير مباشرة.

٢. المماثلة بين الألف وأنصاف الحركات (الواو، والياء) التي تسبقها، وذلك مثل: "القوى، الهوى، التقوى، الدنيا، العليا"، وشبهه مما كانت فيه الألف في الموقع الأخير ومسبوقة بواو أو ياء. فالواو والياء صوتان ضيقان، والألف صوت متسع، فتميل الألف نحو الياء لتقترب منهما. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالأتي:

الهوى ← الهوى　　الدنيا ← الدنيا

alhawé ← alhawá　　addunyé ← addunyá

$$\begin{bmatrix} +\text{متسعة} \\ +\text{أمامية} \\ +\text{طويلة} \end{bmatrix} \text{á} \longrightarrow \text{é} \Big/ \begin{bmatrix} +\text{نصف ضيقة} \\ +\text{أمامية} \\ +\text{طويلة} \end{bmatrix} \begin{bmatrix} +\text{ضيقة} \\ +\text{حلقية} \\ +\text{نصف حركة} \end{bmatrix} \text{w} \text{ ــــ}$$

$$\begin{bmatrix} +\text{متسعة} \\ +\text{أمامية} \\ +\text{طويلة} \end{bmatrix} \text{á} \longrightarrow \text{é} \Big/ \begin{bmatrix} +\text{نصف ضيقة} \\ +\text{أمامية} \\ +\text{طويلة} \end{bmatrix} \begin{bmatrix} +\text{ضيقة} \\ +\text{حلقية} \\ +\text{نصف حركة} \end{bmatrix} \text{y} \text{ ــــ}$$

تحولت الحركة المعيارية الرابعة /á/ إلى الحركة المعيارية الثانية [é] في الموقع الذي جاءت فيه أخيرة، ومسبوقة بنصف حركة. والمماثلة تقدمية مباشرة.

وينطبق هذا على كل ألف تأتي في الموقع الأخير مسبوقة بنصف حركة، لهذا يمكن القول:

قاعدة:

$$\begin{bmatrix} +\text{متسعة} \\ +\text{أمامية} \\ +\text{طويلة} \end{bmatrix} \text{ح} \longrightarrow \text{ح} \Big/ \begin{bmatrix} +\text{نصف ضيقة} \\ +\text{أمامية} \\ +\text{طويلة} \end{bmatrix} \text{ح}_{١/٢} \text{ ــــ}$$

تتحول الحركة المعيارية (المتسعة، الأمامية، الطويلة) إلى الحركة المعيارية (نصف الضيقة، الأمامية، الطويلة) في الموقع الذي تكون فيه أخيرة، ومسبوقة بنصف حركة. والمماثلة تقدمية مباشرة.

٣. المماثلة بين الألف وما يسبقها من صوامت مستعلية، وذلك مثل: "أتى، نرى، سعى، أبى، اشترى، افتدى، أنجى، أعلى، العسرى، كسالى، أسارى، التوراة، أنى، متى، بلى، يا أسفى، يا ويلتى، يا حسرتى"، وشبهه مما كانت فيه الألف في الموقع الأخير مسبوقة بصامت مستعلٍ، فالألف صوت مستفل، وميلانها نحو الياء يجعلها تقترب من هذه الصوامت المستعلية، ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

نرى ← نرى　　كسالى ← كسالى　　متى ← متى

naré ← narά　　kusálé ← kusálά　　maté ← matά

$$\text{á} \longleftarrow \begin{bmatrix} +\text{متسعة} \\ +\text{أمامية} \\ +\text{طويلة} \end{bmatrix} \text{é} \longleftarrow \begin{bmatrix} +\text{نصف ضيقة} \\ +\text{أمامية} \\ +\text{طويلة} \end{bmatrix} \text{ص} \Big/ \begin{bmatrix} +\text{مستعلٍ} \end{bmatrix} \text{——}$$

تحولت الحركة المعيارية الرابعة / á / إلى الحركة المعيارية الثانية [é] في الموقع الذي جاءت فيه أخيرة، ومسبوقة بصوامت مستعلية. والمماثلة تقدمية مباشرة.

ولما كان هذا ينطبق على كل الكلمات التي تأتي فيها الألف في الموقع الأخير مسبوقة بصامت مستعل، فإنه يمكن القول:

قاعدة:

$$\text{ح} \begin{bmatrix} +\text{متسعة} \\ +\text{أمامية} \\ +\text{طويلة} \end{bmatrix} \longleftarrow \text{ح} \begin{bmatrix} +\text{نصف ضيقة} \\ +\text{أمامية} \\ +\text{طويلة} \end{bmatrix} \text{ص} \Big/ \begin{bmatrix} +\text{مستعلٍ} \end{bmatrix} \text{——}$$

تتحول الحركة المعيارية (المتسعة، الأمامية، الطويلة) إلى الحركة المعيارية (نصف الضيقة، الأمامية، الطويلة) في الموقع الذي تكون فيه أخيرة، ومسبوقة بصامت (مستعل).

ثانياً: المخالفة بين الألف وما يسبقها من أصوات تماثلها، وتشمل:

١. المخالفة بين الألف وما يسبقها من صوامت مفخمة، وذلك مثل:"قضى، سقى، يرضى، أعطى، ألقى، يتمطى، تلظى، وصى، تعاطى، مرضى" وشبهه، مما كانت فيه الألف في الموقع الأخير مسبوقة بصامت مفخم، فهذه الصوامت في هذه المواقع مفخمة موضع نطقها اللهاة، وهي خلفية، وعلى ذلك فالألف خلفية لأنها مفخمة، فمالت الألف نحو الياء لتتحول إلى أمامية، وبذلك تخالف هذه الصوامت. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

سقى ← سقى

saqé ← saqá

$$\acute{a} \begin{bmatrix} + \text{متسعة} \\ + \text{خلفية} \\ + \text{طويلة} \end{bmatrix} \longrightarrow \text{ق} \begin{bmatrix} + \text{نصف ضيقة} \\ + \text{أمامية} \\ + \text{طويلة} \end{bmatrix} \Big/ \text{q} \begin{bmatrix} + \text{فوى (مفخم)} \\ + \text{خلفي} \end{bmatrix} ____$$

تحولت الحركة المعيارية الخامسة /á/ إلى الحركة المعيارية الثانية [é] في الموقع الذي جاءت فيه أخيرة، ومسبوقة بالقاف /q/. والمخالفة تقدمية مباشرة.

ولما كان هذا ينطبق على كل ألف تأتي في الموقع الأخير مسبوقة بصامت مفخم، فإنه يمكن القول:

قاعدة:

$$\text{ح} \begin{bmatrix} + \text{متسعة} \\ + \text{خلفية} \\ + \text{طويلة} \end{bmatrix} \longrightarrow \text{ح} \begin{bmatrix} + \text{نصف ضيقة} \\ + \text{أمامية} \\ + \text{طويلة} \end{bmatrix} \Big/ \text{ص} \begin{bmatrix} + \text{مفخم} \end{bmatrix} ____$$

تتحول الحركة المعيارية (المتسعة، الخلفية، الطويلة) إلى الحركة المعيارية (نصف الضيقة، الأمامية، الطويلة) في الموقع الذي تكون فيه أخيرة، ومسبوقة بصوت مفخم. والمخالفة تقدمية مباشرة.

٢. المخالفة بين الألف وما يسبقها من صوامت مفتوحة (مستفلة)، وذلك مثل: "أوحى" وشبهه مما كانت فيه الألف في الموقع الأخير مسبوقة بصامت استفالي. فالألف صوت استفالي وكذلك الحاء، فتميل الألف نحو الياء لتتحول إلى صوت استعلائي، فتخالف الحاء. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

أوحى ← أوحى

?whé ← ?whá

$$\text{â} \begin{bmatrix} + \text{متسعة} \\ + \text{أمامية} \\ + \text{طويلة} \end{bmatrix} \longrightarrow \text{é} \begin{bmatrix} + \text{نصف ضيقة} \\ + \text{أمامية} \\ + \text{طويلة} \end{bmatrix} / \text{h} \begin{bmatrix} + \text{مستفل} \end{bmatrix} \text{——}$$

تحولت الحركة المعيارية الرابعة /â/ إلى الحركة المعيارية الثانية [é] في الموقع الذي جاءت فيه أخيرة، ومسبوقة بالحاء /h/. والمخالفة تقدمية مباشرة.

وينطبق هذا على كل ألف تأتي في الموقع الأخير مسبوقة بصوت استفالي، لهذا يمكن القول:

قاعدة:

$$\text{ح} \begin{bmatrix} + \text{متسعة} \\ + \text{أمامية} \\ + \text{طويلة} \end{bmatrix} \longrightarrow \text{é} \begin{bmatrix} + \text{نصف ضيقة} \\ + \text{أمامية} \\ + \text{طويلة} \end{bmatrix} / \text{ص} \begin{bmatrix} + \text{مستفل} \end{bmatrix} \text{——}$$

تتحول الحركة المعيارية (المتسعة، الأمامية، الطويلة) إلى الحركة المعيارية (نصف الضيقة، الأمامية، الطويلة) في الموقع الذي تكون فيه أخيرة، ومسبوقة بصامت (مستقل). والمخالفة تقدمية مباشرة.

ك. قرأ حمزة بإمالة الفتحة في الفعلين "رأى" و "تأى" كما في قوله تعالى: ﴿لَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ [1]، "﴿أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾"[2]. وقرأ أيضا بإمالة الألف في "تراءى" كما في قوله تعالى: "﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾"[3]. وقد عبر العلماء عن هذه الظاهرة بـ (الإمالة للإمالة) أي أن الفتحة في "تأى" و"رأى" والألف في "تراءى" أميلت لأجل الألف الممالة في آخر هذه الأفعال[4].

وقد ذكر سيبويه الإمالة في مثل هذه الكلمات، وجعل سببها الإمالة للإمالة، قال: "وَقَالَ نَاسٌ: رَأَيْتُ عِمَادًا، فَأَمَالُوا لِلْإِمَالَةِ، كَمَا أَمَالُوا لِلْكَسْرَةِ"[5]، وتابعه ابن يعيش وذكر أن هذه الإمالة تهدف إلى تناسب الأصوات وتقارب الأجراس (أي إلى التجانس الصوتي والمماثلة)، قال: "وقد أمالوا الألف لألف ممالة قبلها. قالوا: رأيت عمادا ومعزانا، وحسبت حسابا، وكتبت كتابا، أجروا الألف الممالة مجرى الياء لقربها منها، فأجنحوا الألف الأخيرة نحو الياء والفتحة قبلها نحو الكسرة، كما فعلوا ذلك في ما قبلها من الألف والفتحة، والغرض من ذلك تناسب وتقارب أجراسها، فاعرفه"[6].

---

[1] سورة الأنعام: ٧٦.

[2] سورة الإسراء: ٨٣، وقد وردت في موضع آخر في سورة فصلت: ٥١، ولم ترد في غير هذين الموضعين.

[3] سورة الشعراء: ٦١.

[4] انظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ١/٣٠٦ – ٣١١، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٩١، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٤٣ و ٤٤،٤٦.

[5] الكتاب، سيبويه ٤/١٢٣.

[6] شرح المفصل، ابن يعيش ٩/٥٨-٥٩.

وعلل ابن الحاجب الإمالة في "رأى، ونأى" قال: "أمال بعضهم فتحتي الـــراء والنـــون لإمالة فتحة الهمزة، وذلك لأن الهمزة حرف مستثقل، فطلب التخفيف معها أكثر بتعديل الصـوت في مجموع الكلمة"[1].

أما مكي بن أبي طالب فقد علل الإمالة في هذه الأفعال بقوله: "ولم تتمكن إمالة الألـــف إلى الياء إلا بإمالة فتحة الهمزة التي قبلها إلى الكسرة، ثم أمالوا الراء لما وقع بعدها من الإمالة؛ ليعمل اللسان عملاً واحداً في الثلاثة الأحرف"[2]. وهذا في "رأى". أما في "نأى" فقد قال: "فأمـــا علة من أمال النون في "نأى"، فإنه لما وقع بعدها حرفان ممالان، أمال النون للإمالة التي بعدها، فيكون عمل اللسان من جهة واحدة. وهذا من الإمالة للإمالة، وهو قليل"[3].

ويقصد بقوله (حرفان ممالان) الألف في آخرها وفتحة الهمزة. أما في "تراءى" فقـــال: "... وهذه كلمة تجتمع فيها في وقف حمزة أربعة أحرف ممالة متوالية: الراء، والألـــف، التـــي بعدها، والهمزة المخففة، والألف التي بعدها"[4].

وقول مكي هذا وإن كان صحيحاً في الحكم، فإنه غير ذلك في التعليل، فالألف لا تسبقها فتحة في هذه الأفعال، كما أن الألف الأولى في تراءى لا تسبقها فتحة.

ويمكن تحليل المماثلة في الكلمات السابقة فونولوجياً كالآتي:

نأى ← نأى　　رأى ← رأى

ne?é ← na?é　　re?é ← ra?é

---

[1] شرح شافيه ابن الحاجب، رضي الدين الاستراباذي ٣/١٣.

[2] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٨١.

[3] السابق ١/١٨٩.

[4] السابق ١٩٢.

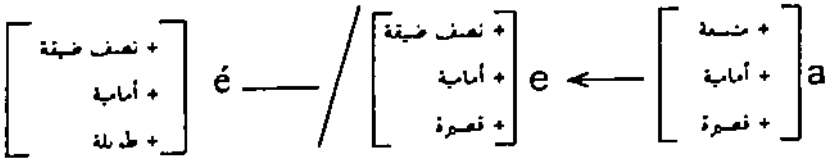

تحولت الحركة المعيارية الرابعة /a/ إلى الحركة المعيارية الثانية [e] في الموقع الـذي جاءت فيه متبوعة بالحركة الميعارية الثانية /ئ/. والمماثلة رجعية غير مباشرة.

تراءى ← تراءى

tarâ?é ← tarâ?é

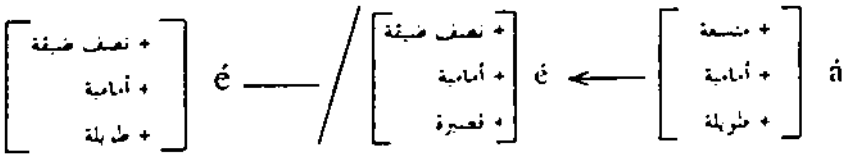

تحولت الحركة المعيارية الرابعة /á / إلى الحركة المعيارية الثانية [é] في الموقع الـذي جاءت فيه متبوعة بالحركة المعيارية الثالثة /ئ/. والمماثلة رجعية غير مباشرة.

ويرى الباحث أن الإمالة في هذه الأفعال لم تكن مقصورة على مماثلة الألف الممالة فـي أخرها، بل أن هنالك علة أخرى وهي مماثلة الراء التي تسبق الفتحة والألف في "رأى وتراءى"، والنون التي تسبق الفتحة في "نأى"، ودليل ذلك أن حمزة يقرأ بإمالة الفتحتين في "رأى ونـــأى"، والألف الأولى في "تراءى" مع عدم إمالة الألف في أخرها عند الوصل[1].

والفتحة والألف صوتان مستفلان، والراء والنون صوتان مستعليان، فتمال الفتحة فـــي "رأى ونأى" والألف في "تراءى" لمماثلتهما في الاستعلاء. ويمكن توضيح ذلك بالمعادلات الآتية:

نأى (ne?é)

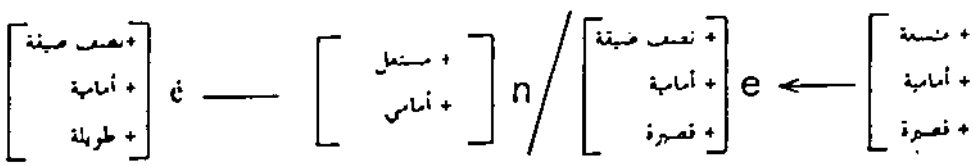

[1] انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١٩٢/١.

تحولت الحركة المعيارية الرابعة /a/ إلى الحركة المعيارية الثانية [e] في الموقع الـذي جاءت فيه مسبوقة بالنون /n/ ومتبوعة بالحركة المعيارية الثانية /é/. والمماثلة مزدوجة (تقدمية مباشرة، ورجعية غير مباشرة).

رأى (re?é)

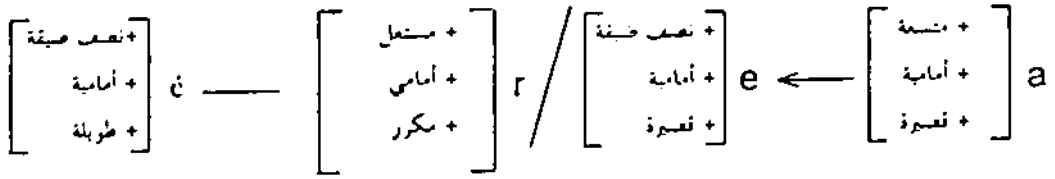

تحولت الحركة المعيارية الرابعة /a/ إلى الحركة المعيارية الثانية [e] في الموقع الـذي جاءت فيه مسبوقة بالراء /r/ ومتبوعة بالحركة المعيارية الثانية /é/. والمماثلة مزدوجة (تقدمية مباشرة ورجعية غير مباشرة).

تراءى (taré?é)

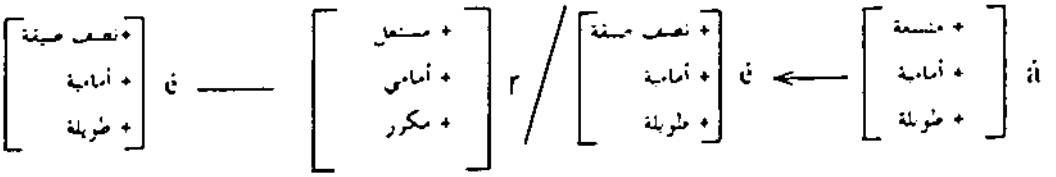

تحولت الحركة المعيارية الرابعة /á/ إلى الحركة المعيارية الثانية [é] في الموقع الـذي جاءت فيه مسبوقة بالراء /r/ ومتبوعة بالحركة المعيارية الثانية /é/. والمماثلة مزدوجة (تقدمية مباشرة ورجعية غير مباشرة).

ل. قرأ حمزة بإمالة ألف أصوات الهجاء الآتية في أوائل السور[1]:

١. الراء: من "الر" في أوائل السور الآتية: يونس، يوسف، هود، الحجر، إبراهيم، ومن "المـر" في أول سورة الرعد.

---

[1] انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٨٦ – ١٨٨، والإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ١/٣٢١ – ٣٢٣، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢/٦٦-٧١، والإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي ١/٢٦٠-٢٦١، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١/٢٨٥ – ٢٨٦.

٢. الطاء: من "طه" في أول سورة طه، ومن "طسم" في أول سورتي: القصص، الشعراء، ومن "طس" في أول سورة النمل.

٣. الياء: من "كهيعص" في أول سورة مريم، ومن "يس" في أول سورة يس.

٤. الحاء: من "حم" في أوائل السور السبع الآتية: غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف.

٥. الهاء: من "طه" في أول سورة طه.

قال مكي بن أبي طالب في تعليلها: "وعلة الإمالة في ذلك كله أن هذه الحروف ليست بحروف معان كـ"ما، ولا"، إنما هي أسماء لهذه الأصوات الدالة على الحروف المحكية المقطعة، والأسماء لا تمتنع إمالة ألفها ما لم تكن من الواو، وليست الألف فيها من الواو. ويدل على أنها أسماء أنك تخبر عنها فتعربها، فتقول: حاؤك حسنة، وصادك محكمة، وإذا عطفت بعضها على بعض أعربتها كالعدد، فلما كانت أسماء، أمالها من أمالها ليفرق بالإمالة بينها وبين الحروف التي للمعاني، التي لا تجوز إمالتها نحو: "ما، ولا، وإلا"، وإنما لم تجز إمالة هذه الحروف ليفرق بين الحرف والاسم، ولو سميت بهذه الحروف جازت إمالتها"[1].

وهو بهذا يتبع سيبويه الذي قال "وَقالوا: "با، وتا" فى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ (يعني بالإمالة)، لأَنَّها أَسْماءُ ما يُلْفَظُ بِهِ، وَلَيْسَ فيْها ما في: "قَدْ، وَلا"، وَإِنَّما جاءَتْ كَسائِرِ الْأَسْماءِ لا لِمَعْنًى أَخَرَ"[2]. وأقر مكي بهذا عندما قال: "هذا مذهب سيبويه في إجازة إمالة هذه الحروف التي في أوائل السور، فإن سميت بشيء من هذه الحروف جازت الإمالة"[3].

---

[1] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٨٨.

[2] الكتاب، سيبويه ٤/١٣٥.

[3] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٨٦ - ١٨٧.

ويمكن تعليل الإمالة في هذه المواضع، وفي ضوء معطيات علم الأصوات الحديث على النحو الآتي:

١. ألف الياء من "كهيعص" و "يس"، أميلت الألف لمماثلة الياء (نصف حركة) التي تسبقها. فإمالة الألف تجعلها تقترب من هذه الياء فتماثلها. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

يس ← يس

yésìn ← yásìn

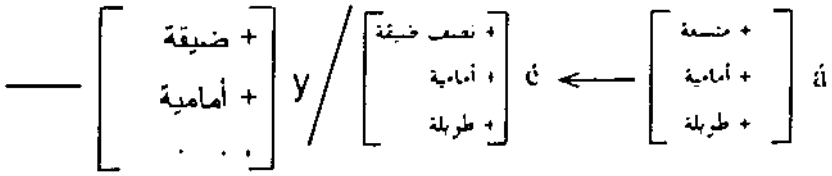

تحولت الحركة المعيارية الرابعة /á/ إلى الحركة المعيارية الثانية [é] في الموقع الذي جاءت فيه مسبوقة بالياء (نصف حركة) /y/. والمماثلة تقدمية مباشرة.

وينطبق هذا على ألف الياء من "كهيعص".

٢. ألف الراء في "الر، والمر"، أميلت الألف لمماثلة الراء التي تسبقها. فالألف صوت مستفل، والراء صوت مستعل، فمالت الألف نحو الياء لتصبح صوتاً مستعلياً، فتماثل الراء، ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

الر ← الر

?liflámré? ← ?aliflámrá?

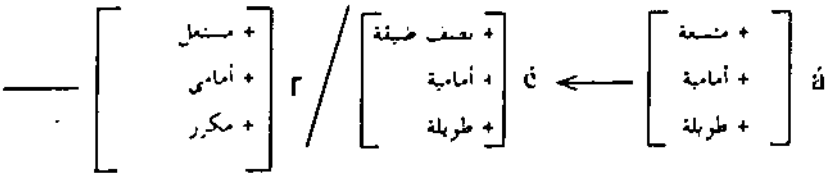

تحولت الحركة المعيارية الرابعة /á/ إلى الحركة المعيارية الثانية [é] في الموقع الذي جاءت فيه مسبوقة بالراء /r/. والمماثلة تقدمية مباشرة.

وينطبق هذا على ألف الراء من "المر".

٣. ألف الطاء من "طه، طسم، طس"، أميلت الألف لمخالفة الطاء التي تسبقها. فالطاء صوت خلفي مفخم هنا، وموقعه اللهاة، وعلى ذلك فالألف خلفية لأنها مفخمة، فمالت الألف نحو الياء لتتحول إلى حركة أمامية، فتخالف الطاء. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

طس ← طس

ṭésin ← ṭásin

$$\acute{a} \left[\begin{array}{l}+\text{منسعة}\\+\text{خلفية}\\+\text{طويلة}\end{array}\right] \longrightarrow \acute{e} \Big/ \left[\begin{array}{l}+\text{تعصف صفة}\\+\text{أمامية}\\+\text{طويلة}\end{array}\right] \text{ṭ} __ \left[\begin{array}{l}+\text{ذوي (مفخم)}\\+\text{خلفي}\end{array}\right]$$

تحولت الحركة المعيارية الخامسة /á/ إلى الحركة المعيارية الثانية [é] في الموقع الذي جاءت فيه مسبوقة بالطاء /ṭ/. والمخالفة تقدمية مباشرة.

وينطبق هذا على ألف الطاء من "طسم، وطه".

٤. ألف الحاء من "حم"، أميلت الألف لمخالفة الحاء التي تسبقها. فالألف صوت مستفل، والحاء كذلك، فأميلت الألف لتتحول إلى صوت مستعل فتخالف الحاء. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

حم ← حم

hémim ← hámim

$$\acute{a} \left[\begin{array}{l}+\text{منسعة}\\+\text{أمامية}\\+\text{طويلة}\end{array}\right] \longrightarrow \acute{e} \Big/ \left[\begin{array}{l}+\text{تعصف صفة}\\+\text{أمامية}\\+\text{طويلة}\end{array}\right] \text{ḥ} __ \left[\begin{array}{l}+\text{مستفل}\end{array}\right]$$

تحولت الحركة المعيارية الرابعة /á/ إلى الحركة المعيارية الثانية [é] في الموقع الذي جاءت فيه مسبوقة بالحاء /ḥ/. والمخالفة تقدمية مباشرة.

٥. ألف الهاء من "طه"، أميلت الألف لمماثلة ألف الطاء الممالة، وهذا ما سمي بالإمالة للإمالة، ثم لكونها جاءت في الموقع الأخير، وهذا مما يقوي الإمالة. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

طه ← طه

ṭéhé ← ṭéhá

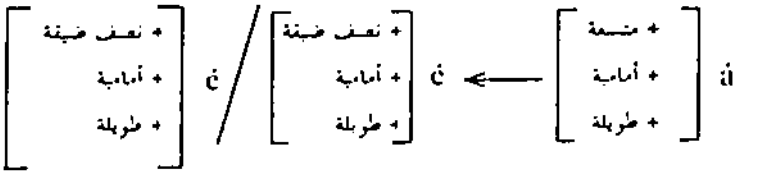

تحولت الحركة المعيارية الرابعة /á/ إلى الحركة المعيارية الثانية [é] في الموقع الذي جاءت فيه أخيرة، ومسبوقة بالحركة المعيارية الثانية /é/. والمماثلة تقدمية غير مباشرة.

م. إذا كانت إحدى الكلمات التي يميلها حمزة متبوعة بساكن، فإنه يميلها عند الوقف عليها فقط، ونأخذ مثلاً لذلك الفعل "نرى". فحمزة يميل الألف فيه عندما لا يكون متبوعاً بساكن كما في الآية: "أونرى ربنا"[1]. فإذا كانت متبوعة بساكن كما في "نرى الله جهرة"[2]، فإن الإمام حمزة يميل ألف "نرى" عند الوقف عليها فقط، ولا يميلها عند الوصل. ومن أمثلة ذلك أيضاً الكلمات الآتية: "موسى، عيسى، هوى، أدنى، أزكى" وغيرها، وذلك في مثل الآية الآتية: " وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ "[3]، فعند الوصل لا تمال ألف "موسى"، ولكنها عند الوقف عليها تمال. ومثل ذلك أيضاً: " عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ "[4]، فإن ألف "عيسى" لا تمال وصلاً، وتمال عند الوقف عليها فقط. ومثل ذلك أيضاً: "هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ "[5]، وهلم جرا[6].

---

[1] سورة الفرقان: ٢١.

[2] سورة البقرة: ٥٥.

[3] سورة المؤمنون: ٤٩.

[4] سورة المائدة: ١١٤.

[5] سور البقرة: ١٢٠.

[6] انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١٩٩ – ٢٠٢.

مما سبق يمكن القول إن علم الأصوات الحديث وفي تفسيره للإمالة وتعليلها، لا يسلم بما هو عند المتقدمين من علل في أكثرها، وذلك لأن كثيراً مما ذكره المتقدمون من أسباب للإمالة تتعلق بما هو معنوي، وتغفل ما هو ملحوظ ملفوظ. ومن هنا جاء علم الأصوات الحديث ليبني عليه جميعاً على ما هو ملحوظ ملفوظ، لأن الإمالة أمر ملحوظ في النطق، والأولى إرجاعه لأمر منطوق به تأثيره ظاهر وبين.

الفصل الرابع

المـــد

- تعريف المد.

- سبب المد وعلته.

- أقسام المد ومنهج حمزة فيها:

المد مع الهمز:

أ. المد المنفصل.

ب. المد المتصل.

جـــ. مد البدل.

المد مع السكون:

أ. المد العارض.

ب. المد اللازم.

- المد المعنوي.

المد من الظواهر اللغوية البارزة، والتي عنيت بها كتب اللغة والقراءات، واهتم بها علماء التجويد، وذلك لتنوع أسبابها، وتعدد درجاتها، واختلاف القراء فيها. فقد جاء القراء جميعهم بالمد في قراءاتهم، إلا أن الاختلاف بينهم كان في درجات هذا المد بأقسامه المختلفة.

ولما لهذه الظاهرة من أهمية بالغة، ولما كانت قد برزت في قراءة حمزة بصورة شكلت لها منهجاً خاصاً، فقد جاء هذا الفصل من البحث ليعرض لهذه الظاهرة من خلال: تعريفها وأنواعها، وبيان سببها وعلتها، ثم ذكر أقسامها، والتي يعرض من خلالها لمنهج حمزة في هذه الظاهرة. ويأتي هذا كله في ضوء رأي المتقدمين ومعطيات علم الأصوات الحديث.

تعريف المد:

المد في اللغة: الجذب والمطل والزيادة[1].

وفي الاصطلاح: زيادة مط في حرف المد على الحد الطبيعي، ومنه القصر، وهو ترك تلك الزيادة[2].

وأصوات المد في العربية هي أصوات المد واللين، وصوتا اللين. أما أصوات المد واللين فهي الألف، ولا تكون إلا حركة، والياء والواو، عندما تكون إحداهما حركة للصوت الذي يسبقها، وأما صوتا اللين فهما الياء والواو الساكنان المفتوح ما قبلهما. يقول ابن جني: "وَالْحُرُوْفُ الْمَمْطوْلَةُ هِيَ الْحُرُوْفُ الثَّلاثَةُ اللَّيِّنَةُ الْمُصَوَّتَةُ، وَهِيَ الْأَلِفُ وَالْياءُ وَالْواوُ"[3]، ويقول في موضع آخر: "وَقَدْ أَجْرَوْا الْياءَ وَالْواوَ السّاكِنَتَيْنِ الْمَفْتوْحُ ما قَبْلَهُما مَجْرى النّابِعَتَيْنِ لِما هُوَ

---

[1] لسان العرب، مادة مدد.

[2] الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي ٢٧١/١، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٣١٣/١، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١٥٧/١.

[3] الخصائص، ابن جني ١٢٤/٣.

مِنْهُما"[1]. وجاء في الكشف: "المد لا يكون إلا في حروف المد واللين، وهي الألف التي قبلها فتحة، والواو التي قبلها ضمة، والياء التي قبلها كسرة... ويكون المد أيضاً في حرفي اللين إذا أتت بعدهما همزة أو مشدد. وحرفا اللين الواو والياء الساكنتان اللتان قبلهما فتحة"[2].

تقسم الحركات في الدراسات الصوتية المعاصرة -بحسب الطول- إلى قصار كالفتحة والضمة والكسرة، ومتوسطات، وهي التي تكون أطول من الحركات القصار، وأقصر من نظائرها الطوال. وهذه ليس لها وجود صوتوني (فونيمي) في اللغة العربية، ذلك أن إطالة الحركة القصيرة حتى تصبح حركة متوسطة لا يؤدي إلى تغيير فى المعنى. وأما الحركات الطوال فهي ألف المد، وواو المد، وياء المد. والحركات المطولة هي الألف والواو والياء عندما تزاد كمياتها، فتصبح أطول من صورتها الطبيعية. والحركات الطوال لها وجود صوتوني في العربية، ذلك أن إطالة الحركة القصيرة لتصبح حركة طويلة في كثير من الكلمات، تؤدي إلى تغيير معناها، وذلك كما في: (مؤمنٌ) التي إذا أطيلت ضمة النون فيها أصبحت: (مؤمنون)، وكما في: (مؤمناً) التي إذا أطيلت فتحة النون فيها أصبحت: (مؤمنان)، وكما في: (مؤمنٍ) التي إذا أطيلت كسرة النون فيها أصبحت: (مؤمنين)[3]. أما الحركات المطولة فليس لها وجود صوتوني في اللغة العربية، ذلك أن إطالة الحركة الطويلة لتصبح حركة مطولة لا يؤدي إلى تغيير المعنى. فالصوائت في العربية لها درجتان من الطول: قصيرة هي الحركات، وطويلة، وهي حروف المد. وكل زيادة في مدها بعد ذلك لا تؤدي إلى درجة ثالثة يكون لها شأن في

---

[1] الخصائص،ابن جني ١٢٧/٣.

[2] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكى بن أبي طالب ٤٥/١، وانظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٣١٣/١، و إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١٥٧/١.

[3] تحليل الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب، د. سمير ستيتية ١٦.

تغيير المعنى، إنما تكون تلك الزيادة نوعاً من التأثر الناتج عن التركيب، حين تقع حروف المد في سياقات معينة[1].

وقد تقع الواو والياء في سياقات معينة تخرجهما عن كونهما حركتين، بحيث تحملان إضافة إلى ما فيهما من الصفات بعض صفات الصوامت، وهذا ما أطلق عليه علماء الأصوات المحدثون (أنصاف الحركات). ويختص المد في (أنصاف الحركات) بما جاء منها ساكنة بعد فتح، وذلك نحو: بَيْن، ومَوْت، ونحوهما. وقد علل ابن جني المد في هذين الصوتين قائلاً: "وَذلِكَ أَنَّ الْفَتْحَةَ (التي تسبق صوت اللين) وَإِنْ كانَتْ مُخالِفَةَ الْجِنْسِ لِلْياءِ وَالْواوِ فَإِنَّ فيها سِرًّا لَهُ، وَمِنْ أَجْلِهِ جازَ أَنْ تُمْتَدَّ الْياءُ وَالْواوُ بَعْدَها في نَحْوِ ما رَأَيْنا، وَذلِكَ أَنَّ أَصْلَ الْمَدِّ وَأَقْواهُ وَأَعْلاهُ وَأَنْعَمَهُ وَأَنْداهُ، إِنَّما هُوَ لِلْأَلِفِ. وَإِنَّما الْياءُ وَالْواوُ في ذلِكَ مَحْمُولانِ عَلَيْها، وَمُلْحَقانِ في الْحُكْمِ بِها، وَالْفَتْحَةُ بَعْضُ الْأَلِفِ، فَكَأَنَّها إِذا قَدَّمْتَ قَبْلَها في نَحْوِ: بَيْت وَسَوْط، إِنَّما قَدَّمْتَ الْأَلِفَ؛ إِذْ كانَتِ الْفَتْحَةُ بَعْضَها، فَإِذا جاءَتا بَعْدَ الْفَتْحَةِ جاءَتا في مَوْضِعٍ قَدْ سَبَقَتْهُما إِلَيْهِ الْفَتْحَةُ الَّتي هِيَ أَلِفٌ صَغيرَةٌ، فَكانَ ذلِكَ سَبَبًا لِلْأُنْسِ بِالْمَدِّ، لا سِيَّما وَهُما بَعْدَ الْفَتْحَةِ -لِسُكونِهِما- أُخْتا الْأَلِفِ، وَقَوِيَتا الشَّبَهِ بِها، فَصارَ ثَوْبٌ وَشَيْخٌ نَحْوًا مِنْ شاخَ وَثابَ، فَلِذلِكَ ساغَ وُقوعُ الْمُدْغَمِ بَعْدَهُما"[2].

وأصوات المد -كما جاء سابقاً- تشكلت من إطالة الحركات التي هي بعضها، لهذا فإن فيها مداً في أنفسها. جاء في الخصائص: "اعْلَمْ أَنَّ هذِهِ الْحُرُوفَ أَيْنَ وَقَعَتْ، وَكَيْفَ وُجِدَتْ بَعْدَ أَنْ تَكُونَ سَواكِنَ يَتْبَعُهُنَّ بَعْضُهُنَّ غَيْرَ مُدْغَماتٍ، فَفيها امْتِدادٌ وَلِينٌ، نَحْو: قامَ، وَسِيرَ بِهِ، وَحُوتٍ، وَكُوزٍ، وَكِتابٍ، وَعَجُوزٍ"[3]. ويقول السخاوي: "ولهذه الأحرف في أنفسها مد لا يتوصل إلى

---

[1] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد ٥٢٢.

[2] الخصائص، ابن جني ٣/١٢٧-١٢٨.

[3] الخصائص، ابن جني ٣/١٢٤-١٢٥.

الإتيان بها إلا به"[1]. وعلى هذا الأساس فقد قسم العلماء المد إلى قسمين: طبيعي، وفرعي. أما الطبيعي، وهو المقصود بقولهم القصر، ويسمى أيضا المد الأصلي أو التمكين، فهو إبقاء حوف المد على ما فيه من المد الطبيعي، وإثباته من غير زيادة عليه، وهو الذي لا تقوم ذات الحرف إلا به، ولا يتوقف على همزة أو سكون (أي لا يتوقف على سبب)[2].

لهذا فإن المد الطبيعي أو الأصلي هو إطالة مدة جريان الحركة، أو إطالة الصوت بالحركة إلى الحد الذي يمكنها من حمل قيمة صوتونية جديدة، دون زيادة ولا نقصان، ومقدار مده حركتان، وهذا هو حده. ومن هنا جاء القول: لا تقوم ذات الحرف إلا به.

وسمي بالطبيعي لان الشخص سوي الطبع والنطق والتلقي، لا ينقصه عن حده ولا يزيد عليه، والأصلي فلأنه أصل المد الفرعي[3]، أما القصر فلكونه يقتصر على المد اللازم لإخراج صوت المد ليحمل تلك القيمة الصوتونية المطلوبة.

وأما المد الفرعي، أو ما يسمى باللفظي، فهو الزائد على طبيعة صوت المد، وهو زيادة مط في حرف المد على الحد الطبيعي[4]، أو إطالة زمن جريان الصوت بحرف ساكن من حروف العلة[5]، أو إطالة مدة الصائت حركة كان أو نصف حركة[6].

---

[1] جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي ٥٢٢/٢.

[2] انظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي ٢٧١/١، و النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٣١٣/١، و إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١٥٧/١.

[3] حق التلاوة، حسني شيخ عثمان ٧٥.

[4] الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي ٢٧١/١، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٣١٣/١، و إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١٥٧/١، وانظر: أصوات اللغة العربية، د. عبد الغفار حامد هلال ٢٦١.

[5] حق التلاوة، حسني شيخ عثمان ٧٥.

[6] تحليل الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب، د. سمير ستيتية ١٦.

أما المسألة الثانية، فهي أنهم ظنوا أن الألف تكون مسبوقة بفتحة، وأن الياء والواو تسبق إحداهما حركة من جنسها إذا كانت صوت مد ولين (حركة)، ويظهر هذا من قولهم: إن الألف لا يكون قبلها إلا مفتوح، وإن الياء تكون ساكنة بعد كسر، والواو ساكنة بعد ضم إذا كانتا مديتين. والحقيقة أنهم لم يصيبوا في ظنهم هذا، فأصوات المد الثلاثة (الألف والواو والياء) هي حركات الأصوات السابقة لها، وقد نوقشت هذه المسألة في موضع متقدم من البحث.

ومن هنا يمكن القول إن المد الفرعي هو إطالة الزمن اللازم لإخراج الصائت (حركة أو نصف حركة) عن الحد اللازم لإخراجه، وهو بهذا لا يحمل أية قيمة صوتونية. كما يمكن تعريف المد بشكل عام (طبيعي وفرعي) بأنه إطالة الصوت بصوت المد، سواء كانت تلك الإطالة محققة لصوت المد، وهو الطبيعي، أم زائدة عليه، وهو الفرعي.

ومن الجدير بالذكر أن الحديث عن المد في ما سيأتي يتعلق بالمد الفرعي، من أسباب له وعلل، وأقسام.

سبب المد وعلته:

قال ابن الجزري عند حديثه عن المد: "وتلك الزيادة لا تكون إلا لسبب"[1]، فالزيادة في صوت المد عن الحد الطبيعي لا تكون إلا لسبب. وقد فصل العلماء في ذكر أسباب المد وتمثيلها وتعليلها، يقول ابن جني: "أَلا تَرى أَنَّ الْأَلِفَ وَالْياءَ وَالْواوَ اللَّواتِيْ هُنَّ حُرُوْفٌ تَوامٌّ، قَدْ تَجِدُهُنَّ فِي بَعْضِ الْأَحْوالِ أَطْوَلَ وَأَتَمَّ مِنْهُنَّ فِي بَعْض، وَذلِكَ قَوْلُكَ: يَخافُ وَيَنامُ، وَيَسِيْرُ وَيَطِيْرُ، وَيَقُوْمُ وَيَسُوْمُ، فَتَجِدُ فِيْهِنَّ امْتِدادًا وَاسْتِطالَةً ما، فَإِذا أَوْقَعْتَ بَعْدَهُنَّ الْهَمْزَةَ أَوِ الْحَرْفَ الْمُدْغَمَ ازْدَدْنَ طوْلًا وَامْتِدادًا، وَذلِكَ نَحْو: يَشاءُ وَيَداءُ، وَيَسُوْءُ وَيَهُوْءُ، وَيَجِيْءُ وَيَفِيْءُ. وَتَقُوْلُ مَعَ الْإِدْغامِ:

---

[1] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٣١٣/١.

شابَةَ، وَدابَّة، وَيَطيْب بَكْرٌ، وَيَسيْر رَاشِدٌ، وَتَمَوَّدَ الثَّوْبُ، وَقَدْ قَوصَّ زَيْدٌ بِما عَلَيْهِ؛ أَفَلا تَرى إِلى زِيادَةِ الامْتِدادِ فِيهِنَّ بِوُقُوْعِ الْهَمْزَةِ وَالْمُدْغَمِ بَعْدَهُنَّ، وَهُنَّ في كِلا مَوْضِعَيْهِنَّ يُسَمَّيْنَ حُرُوْفاً كَوامِلَ"[1]. ومن كلامه فقد جعل للمد سببين أحدهما الهمزة، والآخر صوت مدغم يأتيان بعد صوت المد، كما نجده يضيف سبباً ثالثاً وهو الوقف على صوت المد للتذكر، يقول: "إلا أن الأماكن التي يطول فيها صوتها، وتتمكن مدتها ثلاثة، وهي أن تقع بعدهما -وهن سواكن توابع لما هو منهن وهو الحركات من جنسهن- الهمزة، أو الحرف المشدد، أو أن يوقف عليها عند التذكر"[2].

وقد تابع العلماء ابن جني في ما ذكره من أسباب للمد، وفصلوا الحديث في تقسيمها وأضافوا لها سبباً آخر وهو الساكن غير المشدد يلي صوت المد، جاء في الكشف: "وإنما يكون المد في هذه الحروف عند ملاصقتهن لهمزة، أو ساكن مشدد أو غير مشدد"[3]، ومن ذلك ما نقله الدكتور غانم الحمد عن عبد الوهاب القرطبي قوله: "أما المد فهو حكم يجب لحروف المد واللين إذا كان عقبها همزة أو ساكن مدغم أو مظهر كالسماء، والبناء، وقائل، وبائع، وكالضالين، والعادين، والصاخة، ونستعين، والأبرار، ويوقنون، ويعلمون، إذا وقفت عليها، وما أشبه ذلك"[4]. والساكن حين يتبع صوت المد قد يكون في الصوت المشدد، إذ إن أوله ساكن، وقد يكون في الوقف على الصوت غير المدغم الذي يلي صوت المد، وهذا هو المقصود بقولهم

---

[1] سر صناعة الإعراب، ابن جني ١/١٧-١٨.

[2] الخصائص، ابن جني ٣/١٢٥.

[3] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/٤٥.

[4] الموضح،الداني،مخطوط،ورقة ١٦٦،نقلا عن: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد،د.غانم الحمد ٥٢٦ ، وانظر: جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي ٢/٥٢٢.

الساكن. ومن الجدير بالذكر أن بعض العلماء قد ذكروا الساكن كسبب من أسباب المد قاصدين به المدغم وغير المدغم.

هذا وقد ذهب العلماء، ولا سيما علماء التجويد، إلى أبعد من ذلك، إذ جعلوا للمد سببين، أحدهما لفظي، ويضم المد مع الهمز والساكن المشدد وغير المشدد. والثاني معنوي، وهو الذي لا يكون لهمز أو سكون، ولا يقف على سبب. جاء في الإتحاف: "وأما سببه ويسمى موجبه، فإما لفظي وإما معنوي، واللفظي همزة أو سكون"[1]، وجاء في النشر: "وتلك الزيادة (أي المد) لا تكون إلا لسبب، والسبب إما لفظي وإما معنوي. فاللفظي إما همزة، وإما ساكن. أما الهمزة، فإما أن تكون قبل (أي قبل صوت المد) نحو: أدم، ورأى، وإيمان، وخاطئين، وأوتي، والمؤودة، وإما أن تكون بعد، وهي في ذلك على قسمين..."[2]. وابن الجزري في حديثه هذا قد بين لنا أن الهمزة قد تقع قبل صوت المد، وقد تقع بعده، وهي في كلتا الحالتين سبب للمد. وسنتبين هذا عند الحديث عن أقسام المد.

ومن هنا يمكن القول إن المد في أصوات المد يكون لسببين، أحدهما سبب لفظي، وهو مجيء صوت المد قبل الهمزة أو بعدها، أو قبل صوت ساكن مدغم وغير مدغم، والثاني، وهو معنوي، وهو الذي لا يكون لهمزة أو سكون، كما لا يكون لسبب مادي.

وكما أن ابن جني قد درس المد مبيناً أسبابه، مفصلاً لها، وتابعه فيها العلماء بعده، فقد حاول التعليل للمد مع هذه الأسباب، وكان تعليله للمد مع المشدد مجمعاً عليه عند علماء العربية بعده، إلا أن تعليله للمد مع الهمز لم يلق الإجماع، إذ ذهب بعض العلماء إلى خلاف ما ذهب إليه. يقول ابن جني في تعليل المد مع المشدد: "وَأَمَّا سَبَبُ نِعْمَتِهِنَّ وَوَفَائِهِنَّ وَتَمَادِيهِنَّ إِذَا وَقَعَ

---

[1] إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١٥٧/١.

[2] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٣١٣/١.

الْمُشَدَّدُ بَعْدَهُنَّ، فَلِأَنَّهُنَّ -كما ترى- سواكِنُ، وَأَوَّلُ الْمِثْلَيْنِ مَعَ التَّشْدِيدِ ساكِنٌ، فَيَجْفُو عَلَيْهِمْ أَنْ يَلْتَقِيَ السَّاكِنانِ حَشْوًا في كَلامِهِمْ، فَحِينَئِذٍ ما يَنْهَضُونَ بِالْأَلِفِ بِقُوَّةِ الْاعْتِمادِ عَلَيْها، فَيَجْعَلُونَ طُولَها وَوَفاءَ الصَّوْتِ بِها عِوَضًا مِمّا كانَ يَجِبُ لِالْتِقاءِ السّاكِنَيْنِ مِنْ تَحْرِيكِها، إذا لَمْ يَجِدُوا عَلَيْهِ تَطَرُّقًا، وَلا بِالِاسْتِراحَةِ إلَيْهِ تَعَلُّقًا، وَذلِكَ نَحْو: شابَّة، وَدابَّة...، وَقَدْ تَمَوَّدَ الثَّوْبُ، وَقَدْ قَوْصَّ بِما عَلَيْهِ. وَإذا كانَ كَذلِكَ فَكُلَّما رَسُخَ الْحَرْفُ في الْمَدِّ كانَ حِينَئِذٍ مَحْفُوظًا بِتَمامِهِ وَتَمادِي الصَّوْتِ بِهِ»[1].

لقد جعل ابن جنى علة المد مع المشدد منعاً للالتقاء الساكنين، لأن أول الصوت المشدد ساكن،فتكون المدة بمثابة الحركة التي تفصل بين هذين الساكنين، وهذا ينطبق على المد السلكن غير المشدد أيضاً، ويظهر هذا من تعليل مكي بن أبى طالب الذي يعتمد اعتماداً واضحاً على تعليل ابن جني، يقول مكي فى ذلك مشيراً إلى أن هذا التعليل مجمع عليه عند علماء العربية جميعاً: "إن جميع الكلام لا يلفظ فيه بساكن إلا بحركة قبله، ولا يوصل أبداً إلى اللفظ بساكن بساكن أخر قبله، لأنه لا يبتدأ بساكن، ولا يبتدأ إلا بمتحرك، ولا يوقف على متحرك، فلما وقع بعد حروف المد واللين وحرفي اللين حرف مشدد وأوله ساكن، وحروف المد واللين وحرفا اللين سواكن، لم يمكن أن يوصل إلى اللفظ بالمشدد بساكن قبله، فاجتلبت مدة تقوم مقام الحركة، يوصل بها إلى اللفظ بالمشدد، وكانت المدة أولى لأن الحرف الذي قبل المشدد حرف مد، فزيد في مده لتقوم المدة مقام الحركة، فيتوصل بذلك إلى اللفظ بالمشدد. وهذا إجماع من العرب ومن النحويين. والعلة للساكن غير المشدد يقع بعد حروف المد واللين، كالعلة للمد مع المشدد، لأن

---

[1] الخصائص، ابن جني ١٢٦/٣.

بالمدة يوصل إلى اللفظ بالساكن بعد حرف المد واللين. فليس في كلام العرب ساكن يلفظ بـه إلا وقبله حرف متحرك، أو مدة على حرف المد تقوم مقام الحركة"[1].

ومثل ذلك ما نقله الدكتور غانم الحمد عن القرطبي من تعليل، والـذي امتـاز بـالعمق والدقة والوضوح وبعد النظرة، يقول القرطبي: "فأما إذا كان بعدها حرف ساكن مظهر أو مدغم، فإنما وجب فيه المد للفرق بين الساكنين لما التقيا، لأن الممدود نظير المتحرك، مـن حيـث أن زمان النطق بالحرف الممدود أطول من زمان النطق بغيره، كما أن زمـان النطـق بـالحرف المتحرك أطول من زمان النطق بالحرف الساكن، فصار المد في كونه فاصلاً كالحركة. وهـو معنى قول سيبويه: "إِنَّ الْإِدْغَامَ حَسَنٌ لِأَنَّ حَرْفَ الْمَدِّ بِمَنْزِلَةِ الْمُتَحَرِّكِ فِي الْإِدْغَامِ"[2]. يعنـي أن الممدود صار بزيادته وطوله كالمتحرك، ولهذا لو أردنا تطويل الحرف أي زمان شئنا، لم يمكن إلا في حروف المد، والمدغم في مثله ينحى بالحرفين فيه نحو الحرف الواحد، فاجتمع فيه مـد الحرف الذي هو قائم مقام الحركة، وكون الحرفين كالحرف الواحد، وفي الثاني حركة، فحسـن الإدغام لذلك، فصار كأنه لم يلتق ساكنان"[3].

وهذا الإجماع الذي عليه القدماء في تعليل المد مع الساكن، نجده عند المحدثيـن ممـن درسوا المد، يقول الدكتور إبراهيم أنيس في تعليل المد مع المشدد: "وهذا هو نفس السـر فـي إطالة صوت اللين حين يليه صوت مدغم، لأن طبيعة اللغة العربية ونسـجها تسـتلزم قصـر أصوات اللين الطويلة (أي حروف المد) حين يليها صوتان ساكنان، فحرصاً على صوت اللين،

---

[1] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/٦٠-٦١، وانظر: جمال القـراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي، في ما نقله عن الزجاج وابن قتيبة ٢/٥٢٢-٥٢٣، والإتقـان فـي علـوم القرآن، جلال الدين السيوطي ١/٢٧٢.

[2] الكتاب، سيبويه ٤/٤١٩.

[3] الموضح،عبد الوهاب القرطبي،مخطوط،ورقة ١٦٦،نقلا عن:الدراسات الصوتية عند علماء التجويد،د.غـانم الحمد ٥٢٩.

وإبقاءً على ما فيه من طول، بولغ في طوله لئلا تصيبه تلك الظاهرة التي شاعت في اللهجات العربية -قديمها وحديثها- من ميل صوت اللين إلى القصر حين يليه صوتان ساكنان"[1].

والحقيقة أن التعليلات السابقة للمد مع المدغم و الساكن غير المدغم هي مفهوم كلام سيبويه: إِنَّ الْإِدْغَامَ حَسَنٌ لِأَنَّ حَرْفَ الْمَدِّ بِمَنْزِلَةِ الْمُتَحَرِّكِ فِي الْإِدْغَامِ[2].

ويفهم من هذه التعليلات التي ترى أن المد هو بمنزلة الحركات التي تفصل بين ساكنين، أن الزيادة الحاصلة في صوت المد تقابلها زيادة في المدة اللازمة لنطق ذلك الصوت، وهي بدورها تمكن أعضاء النطق من الاستعداد للنطق بالصوت الساكن وتسهله. وهذا صحيح من وجهة نظر صوتية حديثة.

أما تعليل المد مع الهمز، فكان فيه رأيان، رأي يرى أن المد هنا يكون لتقوية الهمزة وتمكينها، ويمثل هذا الرأي ابن جني ومن تابعه من العلماء، ورأي أخر يرى أن المد لتقوية صوت المد وتمكينه، ومن أصحاب هذا الرأي مكي بن أبي طالب وغيره. وسيعرض لآرائهم بالتفصيل.

يقول ابن جني في تعليل المد مع الهمز: "وَإِنَّمَا تَمَكَّنَ الْمَدُّ فِيهِنَّ مَعَ الْهَمْزِ أَنَّ الْهَمْزَةَ حَرْفٌ نَأَى مَنْشِؤُهُ، وَتَرَاخَى مَخْرَجُهُ، فَإِذَا أَنْتَ نَطَقْتَ بِهَذِهِ الْأَحْرُفِ الْمُصَوِّتَةِ قَبْلَهُ، ثُمَّ تَمَادَيْتَ بِهِنَّ نَحْوَهُنَّ طِلْنَ وَشِعْنَ فِي الصَّوْتِ، فَوَفَّيْنَ لَهُ، وَزِدْنَ فِي بَيَانِهِ وَمَكَانِهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِذَا وَقَعَ بَعْدَهُنَّ غَيْرُهَا وَغَيْرُ الْمُشَدَّدِ"[3]. فهو يرى أن الهمزة صوت رخو، ووقوعها بعد صوت المد يزيد رخاوتها فيضعفها.

---

[1] الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ١٥٩، وانظر: طلائع البشر في توجيه القراءات العشر، محمد الصادق قمحاوي ٩.

[2] انظر: الكتاب، سيبويه ٤/٤١٩.

[3] الخصائص، ابن جني ٣/١٢٥.

وتابع ابن جني في ما ذهب إليه كثير من العلماء، فها هو ذا السخاوي ينقل لنا عن الزجاج وابن قتيبة قولهما: "موجب تمكين المد بيان الهمزة لا بيان المدود، لأن الهمزة خفية، ومع خفائها ففي إخراجها كلفة، لأنها تخرج من الصدر كالسعلة لشدتها وبعد مخرجها، فقويت بتمكين المد في حرف المد قبلها"[1]. ومن ذلك ما نقله الدكتور غانم الحمد عن عبد الوهاب القرطبي قوله: "فعلة وجوبه فيما إذا كان بعد حرف المد همزة، أن حرف المد في غاية الخفاء والخفة، والهمزة في غاية الظهور والثقل، فهما ضدان، فجاء المد مقرباً لهذه الحروف ومظهراً لخفائها، لتحصل هناك مناسبة ما تحصن الهمزة وتحرسها، ولولا ذلك لم يؤمن من أن يغلب خفاؤها على الهمزة فتصعف وتتلاشى... فالحاصل أن هذه الحروف إنما مدت لئلا يكون اللسان منتقلاً عن الأخف إلى الأثقل دفعة، فلا يتحقق مخرج الهمزة، فقويت بالمد إرادة لبيان الهمزة، وقصداً لتحقيق مخرجها وتوخي تمكن النطق بها، ولهذه العلة استحب إظهار السكون قبلها إبرازا بيناً شافياً"[2].

أما الرأي الثاني الذي يرى أن المد مع الهمز يكون لتقوية أصوات المد وتمكينها لأنها خفية، فيمثله مكي بن أبي طالب الذي يقول: "إن هذه الحروف (أي أصوات المد) حروف خفية، والهمزة حرف جلد، بعيد المخرج، صعب في اللفظ، فلما لاصقت حرفاً خفياً خيف عليه أن يزداد بملاصقة الهمزة له خفاء، فبين بالمد ليظهر، وكان بيانه بالمد أولى لأنه يخرج من مخرجه بمد، فبين بما هو منه"[3]. وذهب ابن البنا إلى مثل هذا، إذ يقول: "واتفق القراء على مده لأن حرف المد ضعيف خفي، والهمز قوي صعب، فزيد في المد تقوية للضعيف"[4]. ومثل هذا ما

---

[1] جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي ٥٢٢/٢.

[2] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد ٥٢٨-٥٢٩.

[3] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ٤٦/١.

[4] إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١٥٨/١.

قاله السخاوي من أن المد في مثل هذا يكون لـ: "تمكين هذه الأحرف وتقويتها لأنها هوائية ليس لها مخرج يحويها، وتعتمد عليه اعتماداً قوياً"[1].

هذا وقد ذكر الدكتور إبراهيم أنيس السبب الذي يكون من اجله المد، فقال: "أَمَّا السِّرُّ في الْإِطالَةِ فَهُوَ -كما يَبْدوْ لي- الْحِرْصُ عَلى صَوْتِ اللِّينِ وَطوْلِهِ، لِئَلَّا يَتَأَثَّرَ بِمُجاوَرَةِ الْـهَمْزَةِ أَوِ الْإِدْغامِ، لِأَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ صَوْتِ اللِّينِ وَالْهَمْزَةِ، كَالْجَمْعِ بَيْنَ مُتَناقِضَيْنِ، إِذِ الْأَوَّلُ يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكوْنَ مَجْرى الْهَواءِ مَعَهُ حُرًّا طَلِيْقًا، وَأَنْ تَكوْنَ فَتْحَةُ الْمِزْمارِ حِيْنَ النُّطْقِ بِهِ مُنْبَسِطَةً مُنْفَرِجَةً، في حِيْنِ أَنَّ النُّطْقَ بِالْهَمْزَةِ يَسْتَلْزِمُ انْطِباقَ فَتْحَةِ الْمِزْمارِ انْطِباقًا مُحْكَمًا، يَلِيْهِ انْفِراجُها فَجْأَةً، فَإِطالَةُ صَوْتِ اللِّينِ مَعَ الْهَمْزَةِ يُعْطِيْ الْمُتَكَلِّمَ فُرْصَةً لِيَتَمَكَّنَ مِنَ الْإِسْتِعْدادِ لِلنُّطْقِ بِالْهَمْزَةِ الَّتِيْ تَحْتاجُ إِلى مَجْهوْدٍ عَضْوِيٍّ كَبِيْرٍ، وَإِلى عَمَلِيَّةٍ صَوْتِيَّةٍ تُباينُ كُلَّ الْمُباينَةِ الْوَضْعَ الصَّوْتِيَّ الَّذِيْ تَتَطَلَّبُهُ أَصْواتُ اللِّينِ"[2].

وهنا لا بد من وقفة لتوضيح حقيقتين مهمتين، أولاهما أنه وحال النطق بأصوات المد يخرج الهواء من الحلق ينفرج الوتران الصوتيان، بحيث يسمحان للهواء بالمرور دون اعتراض، والهواء عند خروجه يضرب الوترين الصوتين فيهتزان، لذلك فهي أصوات مجهورة، أما موضع نطقها فهو اللسان، إذ ينخفض اللسان عند نطق الألف في قاع الفم إلى أقصى حد ممكن يسمح بنطق حركة، مع تقدمه إلى الأمام، وتكون الشفتان في حالة انفتاح، لهذا فالألف صوت أمامي متسع. في حين أن اللسان يتقدم إلى الأمام مع ارتفاع مقدمه جهة اللثة عند نطق الياء، وتكون الشفتان في حالة توسط بين الانفتاح والغلق، لهذا فالياء صوت أمامي ضيق. أما الواو فإن اللسان حال النطق بها يرتد إلى الوراء قليلاً مع ارتفاع مؤخره جهة الحنك الأعلى،

---

[1] جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي ٥٢٢/٢.

[2] الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ١٥٨.

وتكون الشفتان في حالة تدوير، لهذا فالواو صوت خلفي ضيق. وبناء على ما سبق فإن أصوات المد الثلاثة واضحة سمعياً، بل هي أقوى الأصوات وضوحاً في السمع.

وثانيتهما أن الهمزة صوت خلفي، والنطق بها يكون بانغلاق الوترين الصوتيين انغلاقاً تاماً، فيحتجزان الهواء خلفهما ويقل ضغطه، حتى إذا ما انفرج الوتران الصوتيان خرج الهواء ضعيفاً مهتوتاً، مشكلاً صوت الهمزة، لذا فإن في نطقها كلفة وشدة، ولما كان مخرج الهمزة هو الوترين الصوتين، فإنها ليست بالمجهورة ولا بالمهموسة.

ومن هنا فإن التعليلات التي بنيت على أساس خفاء أصوات المد وضعفها، وقوة صوت الهمزة وشدته، قد جانبت الحقيقة الصوتية لهذه الأصوات. فأصوات المد خفيفة (سهلة)، وهي أقوى الأصوات وضوحاً في السمع، وما الخفية إلا للهمزة التي هي خفية وفي إخراجها كلفة. فلما جاءت الهمزة بعد هذه الأصوات (أصوات المد) ازدادت مع ضعفها ضعفاً حتى تلاشت.

فالنطق بالهمزة بعد أصوات المد يحتاج إلى جهد عضلي كبير، لأن الوترين الصوتيين سيخرجان من حالة الانفراج عند نطق أصوات المد إلى الانغلاق التام ثم الانفراج عند نطق الهمزة، وفي هذا كلفة، وقصر أصوات المد يزيد من الجهد العضلي، وبالتالي تزداد الكلفة، لذلك كان الأمر بأن طغت أصوات المد بوضوحها وخفتها على الهمزة بشدتها وكلفتها، فسقطت الهمزة وبقيت حركتها، إذا كانت متحركة، وإن لم تكن متحركة فإنها تسقط وحسب.

ومن أجل تحقيق الهمزة وإظهارها وتمكينها يأتي المد، والذي يتضمن إطالة صوت المد الذي يرافقه إطالة في المدة الزمنية اللازمة لإخراجه، الأمر الذي يسمح لأعضاء النطق بالتهيؤ لنطق الهمزة، إذ يخرج الوتران الصوتيان من حالة الانفراج في نطق أصوات المد إلى الانغلاق التام ثم الانفراج لنطق الهمزة، وهذا لا يتأتى إلا بالمد، وإلا كان في النطق كلفة وشدة وجهد قوي.

ويمكن تحليل ما طرأ على صوت المد من إطالة لتحقيق الهمزة فونولوجيا كالآتي:

جاء ← جاء

جـــَـــءَ ← جـــَـــَـــَـــءَ.

Já?a ← $Ja^{4}?a$

وهذا إذا كان مقدار مد صوت المد أربع حركات.

(١) á ← [+ طويلة، + مجهورة، + حقيقة، + واضحة] ← a^4 / [+ مطولة، + مجهورة، + حقيقة، + واضحة] ـــ ? [+ مجهور، - حقيق، - واضح]

تصبح الحركة المعيارية الرابعة /á/ حركة مطولة [a^4] في الموقع الذي تكـــون فيـــه متبوعة بالهمزة /? /.

لهذا يرى الباحث أن تعليل ابن جنى ومن تابعة من العلماء يصف هذه الظاهرة (ظـاهرة المد مع الهمز) على حقيقتها، على الرغم من اعتماده على الملاحظة الذاتية، والتي لم تســـعف مكيا ومن وافقه في وصف حقيقة هذه الظاهرة. ولعل هذا السبب هو الذي جعل الدكتور إبراهيم أنيس يوافق مكيا وغيره في ما ذهبوا إليه.

أما السبب الأخر الذي ذكره علماء القراءات للمد، وهو السبب المعنـــوي، فيقصـــد بـــه المبالغة في النفي، ومنه مد التعظيم، ويقال له أيضا مد المبالغة. يقول ابن الجزري: "وأما السبب المعنوي فهو قصد المبالغة في النفي، وهو سبب قوي مقصود عند العرب، وإن كان أضعف من السبب اللفظي عند القراء، ومنه مد التعظيم في نحو: ﴿اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[٢]، ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾[٣]، وهو قد ورد عند أصحاب القصر في المنفصل لهذا المعنى. نص على ذلك أبو معشر الطـبري،

---

(١) الرقم فوق رمز الصوت (صوت المد) يدل على مقدار مده، فالرقم (6) يدل على المد بمقدار ست حركات، والرقم (5) يدل على المد بمقدار خمس حركات... وهكذا.

(٢) سورة آل عمران: ٢.

(٣) سورة الأنبياء: ٨٧.

وأبو القاسم الهذلي، وابن مهران، والجاجاني، وغيرهم، وقرأت به من طريقهم واختاره، ويقال له أيضاً مد المبالغة. قال ابن مهران في كتاب المدات له: إنما سمي مد المبالغة لأنه طلب المبالغة في نفي إلهية سوى الله سبحانه، قال: وهذا معروف عند العرب لأنها تمد عند الدعاء، وعند الاستغاثة، وعند المبالغة في نفي شي، ويمدون ما لا أصل له بهذه العلة، قال: والذي له أصل أولى وأحرى، قلت: يشير إلى كونه اجتمع سببان، وهما المبالغة ووجود همزة كما سيأتي، والذي قاله في ذلك جيد ظاهر"[1].

وابن الجزري في حديثه هذا، وفي ما نقله عن السلف، يبين لنا أن هذا النوع من المد فى (لا إله إلا الله) وشبهه، قد اجتمع فيه سببان، الأول وهو الهمزة، والثاني وهو المبالغة، ويروي لنا في هذا حديثين مرفوعين، أحدهما عن ابن عمر: "من قال (لا إله إلا الله) ومد بها صوته أسكنه الله دار الجلال داراً سمى بها نفسه، فقال ذو الجلال والإكرام: فرزقة النظر إلى نفسه". والآخر عن أنس "من قال (لا إله إلا الله) ومدها هدمت له أربعة آلاف ذنب". ويذكر ابن الجزري أن هذين الحديثين ضعيفان، ولكنه يقول: ولكنهما من فضائل الأعمال[2].

ويضيف ابن الجزري صوراً أخرى لمد المبالغة للنفي، يقول: "وقد ورد مد المبالغة في (لا) التي للتبرئة في نحو: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[3]، ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾[4]، ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُ﴾[5] ... وقدر المد في ذلك في ما قرأنا به وسط لا يبلغ الإشباع، وكذا نص عليه الأستاذ أبو عبد الله بن القصاع،

---

[1] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٣٤٤ - ٣٤٥، و انظر: سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح ٤٨، و إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١٦٧-١٦٨.

[2] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٣٤٥.

[3] سورة البقرة: ٢.

[4] سورة البقرة: ٧١.

[5] سورة الروم: ٤٣.

ذلك لضعف سببه عن سبب الهمز"[1]. ويفهم من هذا أن المد في هذه المواقع لم يجمع السبب اللفظي وهو الهمزة إلى السبب المعنوي، لذلك فمده أضعف (أقصر) من مد (لا إله إلا الله).

وقد فصل بعض المحدثين في هذا المد، وذكروا له ثلاثة معان هي:

١. المبالغة في النفي في مثل: لا إله إلا الله، لا ريب فيه.

٢. المبالغة في الدعاء، في مثل: يا رب، ارحم فلانا.

٣. المبالغة في الاستغاثة، في مثل: يا لله لزيد[2].

يمكن القول إن هذا النوع من المد قد يقع في أصوات المد إذا تلتها الهمزة، ويكون لسبب لفظي ومعنوي في الوقت نفسه، وقد يقع دون سبب لفظي، ويقتصر على رغبة في نفي شيء ما أو إثباته، وقد كان للدكتور سمير ستيتية رأي في هذا المد، ذكره عند حديثه عن المدود بأنواعها، يقول: "ومنه (المد عامة) مد المبالغة للتعظيم، ومن أمثلته التي ترد في بعض كتب القراءات مد "لا إله إلا الله". وهنا تنشأ مشكلة في اعتبار المد في "لا إله إلا الله" للتعظيم، فالأصح أن مد (لا) هنا إنما هو من المد المنفصل الذي يكون بالإشباع في قراءة حمزة، يكون بأربع حركات فقط. ثم أن مد المبالغة لا يكون للتعظيم دائماً، بل قد يكون للتوكيد، وذلك مثل: "لا ريب"، و "لاشية فيه"، وكذلك "لا مرد له"، و "لا جرم"[3].

ويرى الباحث أن المد بأشكاله المختلفة يمكن أن تكون له صلة بالسبب المعنوي، فالمد مع الهمز أو السكون، وإن توفر فيه سبب لفظي، يكون للتوكيد أو المبالغة في النفي أو الإثبات. ومما يؤكد هذا ما ذكره ابن الجزري عن أصحاب القصر في المد المنفصل في مدهم (لا) في "لا

---

[1] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٣٤٥.

[2] انظر: قواعد التلاوة، فرج توفيق الوليد، وقحطان عبد الرحمن الدوري ٦٤.

[3] تحليل الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب، د. سمير ستيتية ٢٠.

إله إلا الله"، إذ توفر السبب اللفظي، لكنهم لما قصدوا السبب المعنوي أطالوا. ثم إننا يجب أن لا نغفل الإيقاع الموسيقي الذي يتأتى من هذا المد، هذا الإيقاع الذي يشكل جزءاً أساسياً من البنية الصوتية للغة العربية.

أقسام المد ومنهج حمزة فيها:

يقسم علماء القراءات المد من حيث طوله إلى: مد طبيعي، ومدته مدة قبض الإصبع أو بسطها، ويسمونه (القصر)، واختلفوا بعد ذلك في تحديد أقسام المدود، ولكن أغلبهم على القول بوجود أربع درجات فوق المد الطبيعي (القصر)، وهي: فويق القصر، ومقداره ثلاث حركات بأصابع اليد، أي بزيادة حركة على المد الطبيعي، والتوسط، ومقداره أربع حركات، أي بزيادة حركتين على المد الطبيعي، وفويق التوسط، ومقداره خمس حركات، أي بزيادة ثلاث حركات على المد الطبيعي، وأخيراً الإشباع، ومقداره ست حركات أي بزيادة أربع حركات على المد الطبيعي[1].

تمتاز قراءة حمزة بأنها من القراءات التي تكثر فيها درجات المد الأربع المطولة، وذكر بعض علماء القراءات أن قراءة حمزة من أشبع القراءات مداً[2].

غير أن علماء القراءات يقسمون المد مع الهمز والسكون، من حيث موقعه، إلى أقسام كثيرة. أما المد مع الهمز، فقسموه إلى ثلاثة أقسام: قسم تكون فيه الهمزة قبل صوت المد، وقسمان تكون فيهما الهمزة بعد صوت المد، فما جاءت فيه الهمزة بعد صوت المد فيشمل:

---

[1] المهذب في القراءات العشر، محمد محسين ٣٨/١.

[2] التذكرة في القراءات، ابن غلبون، المجلد الأول ١٤٨، وانظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٣٢٨/١.

أ. المد المتصل:

وهو المد الذي يقع على صوت المد الذي تتلوه همزة في الكلمة نفسها، سواء أكانت في وسط الكلمة أم متطرفة، وذلك نحو: "أولئك"، "الملائكة"، "إسرائيل"، "شاء"، "السماء"، "أولاء"، "بالسوء"، "سيء بهم"، "شيء"، "سوء"، وشبهه، كما في قوله تعالى: "أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ "[1]، "وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ "[2]، "وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً "[3]، "يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ "[4]

وهذا المد مجمع عليه عند القراء[5]، والاختلاف بينهم كان في مقدار مده، وقد كان فيه آراء كثيرة، والذي استقر عليه الأئمة قديماً أنه على مرتبتين: طولى لورش وحمزة، ووسطى لمن بقي[6].

ومن هنا فإن مقدار المد المتصل عند حمزة الإشباع، أي بمقدار ست حركات[7]. ويمكن توضيح ذلك فونولوجياً كالآتي:

جاء ← جاء

Já?a ← Ja^{6}?a

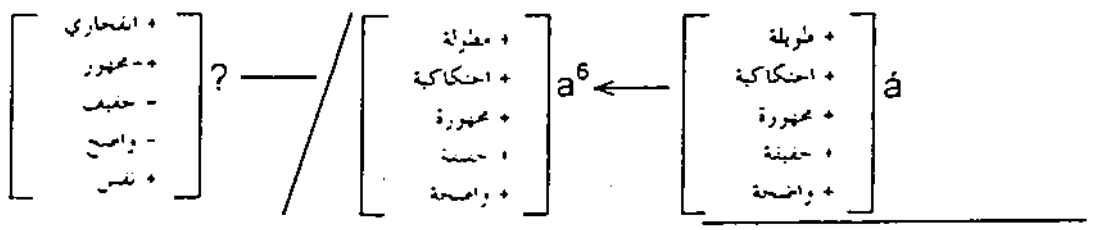

[1] سورة البقرة: ٥.

[2] سورة البقرة: ٢٠.

[3] سورة البقرة: ٢٢.

[4] سورة البقرة: ٤٠.

[5] انظر: سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح ٤٩، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٣١٣/١، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١٥٨/١، وتقريب النفع في القراءات السبع، علي محمد الضباع ٣٣.

[6] انظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي ٢٧٢/١، و إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١٥٩/١، والكوكب الدري في شرح طيبة ابن الجزري، محمد الصادق قمحاوي ١٢٩.

[7] سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح ٤٩.

أصبحت الحركة المعيارية الرابعة /á/ مطولة [a^{6}] في الموقع الذي جاءت فيه متبوعة بالهمزة /?/ في الكلمة نفسها.

سيء ← سيء

Si^{6}?a ← Si?a

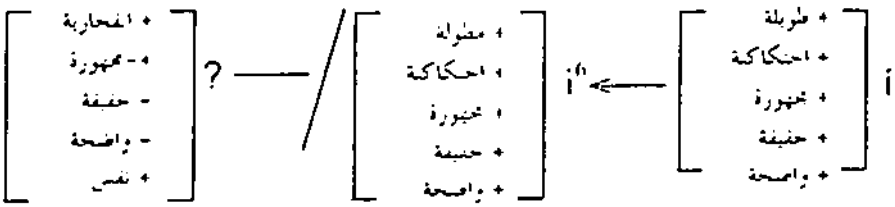

أصبحت الحركة المعيارية الأولى /i/ مطولة [i^{6}] في الموقع الذي جاءت فيه متبوعة بالهمزة /?/ في الكلمة نفسها.

السّوء ← السّوء

assu^{6}? ← assú?

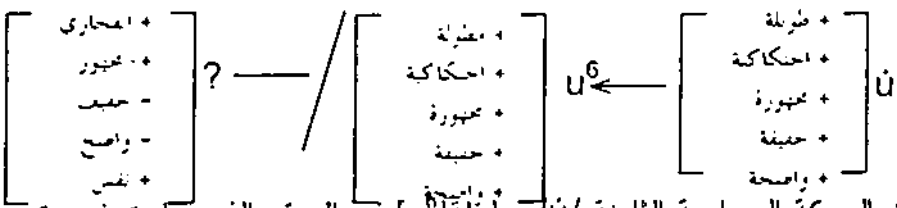

أصبحت الحركة المعيارية الثامنة /ú/ مطولة [u^{6}] في الموقع الذي جاءت فيه متبوعة بالهمزة /?/ في الكلمة نفسها.

شَيْء ← شَيْء

šay^{6}? ← šay?

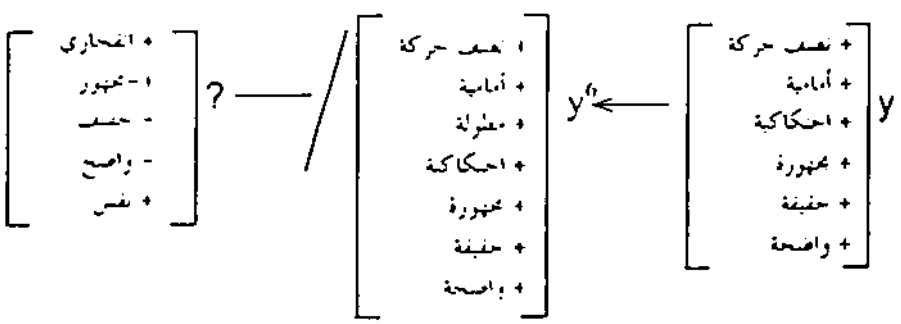

أصبحت نصف الحركة الخلفية /ي/ مطول[y^6] في الموقع الذي جاءت فيـــه متبوعـة بالهمزة /?/ في الكلمة نفسها.

سَوْء ← سَوْء

Saw^6? ← Saw?

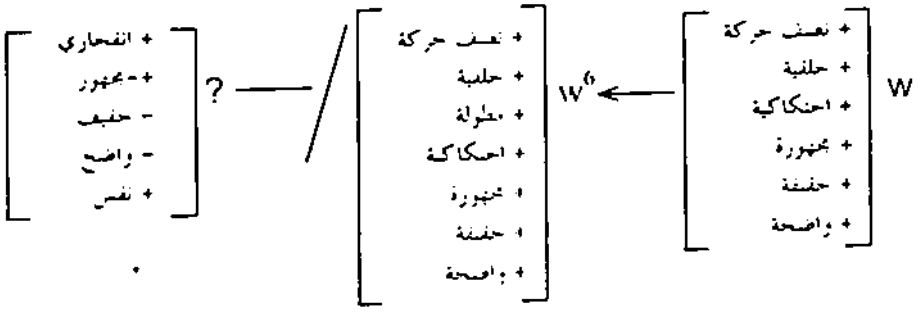

أصبحت نصف الحركة الخلفية /و/ مطولة [$و^6$] في الموقع الذي جاءت فيه متبوعـــة بالهمزة /?/ في الكلمة نفسها.

ولما كان هذا المد، عند حمزة في أصوات المد جميعها، فإنه يمكن القول:

قاعدة (١):

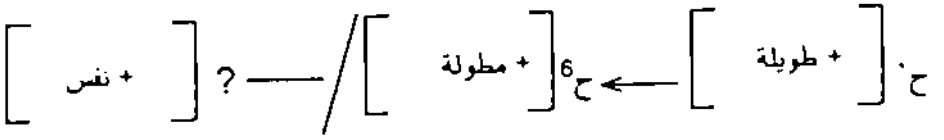

الحركة الطويلة تصبح مطولة، في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالهمزة في الكلمة نفسها.

قاعدة (٢):

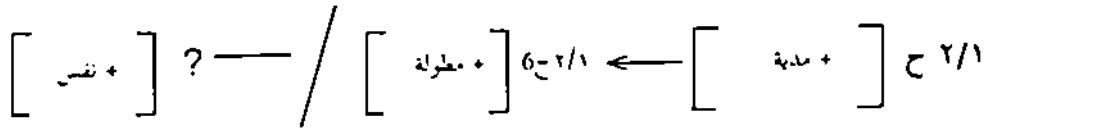

نصف الحركة (المدية) تصبح مطولة، في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالهمزة في الكلمة نفسها.

ب. المد المنفصل:

وهو المد الذي يقع في صوت المد إذا تلته همزة في كلمة أخرى، أي أن يقع صوت المد في نهاية كلمة، والهمزة في بداية كلمة تالية، نحو: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾[١]، ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢]، ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾[٣]، ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[٤]، وشبهه[٥]. ولم يتفق القراء على هذا المد، بل اختلفوا فيه، وكان اختلافهم على خمس درجات، أولاها الإشباع، وهو لحمزة وورش، وآخرها القصر[٦].

وعلى هذا فحمزة يمد المد المنفصل مداً مشبعاً، أي بمقدار ست حركات[٧]. ويمكن تحليل هذا المد فونولوجياً كالآتي:

---

[١] سورة البقرة: ٢١.

[٢] سورة الشعراء: ٤٧.

[٣] سورة النور: ٣١.

[٤] سورة الذّاريات: ٢١.

[٥] انظر: سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح ٤٩، والإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ٤٦٣/١، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٣١٣/١ وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١٥٩/١، والمغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، د. محمد سالم محيسن ١١٣.

[٦] انظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ٤٦٩/١-٤٧١، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١٦١/١.

[٧] سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح ٤٩.

ومما تقدم يمكن القول:

قاعدة:

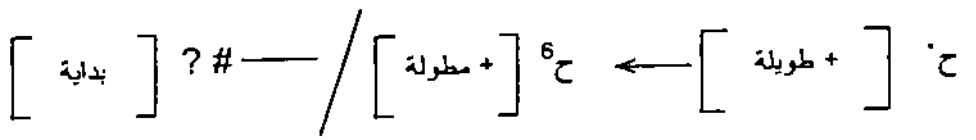

الحركة الطويلة تصبح مطولة في الموقع الذي تكون فيه متطرفة، ومتبوعة بالهمزة في كلمة أخرى.

أما أنصاف الحركات فإنها لا يقع فيها المد المنفصل، وإنما المد المتصل فقط، أي أن تجتمع والهمزة في كلمة واحدة[1].

مما سبق يتبين لنا أن حمزة يمد صوت المد بالإشباع، سواء اجتمع والهمزة في كلمة واحدة (في المتصل)، أم جاء في كلمة، والهمزة في كلمة أخرى (في المنفصل). لهذا فإنه يمكننا القول:

قاعدة(١):

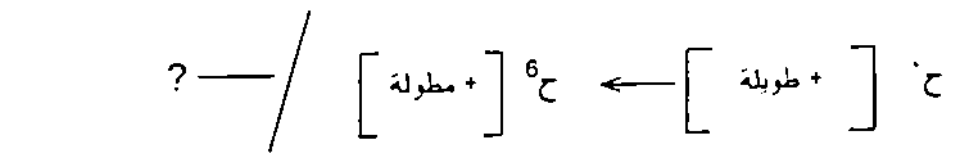

الحركة الطويلة تصبح مطولة في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالهمزة.

لقد روي عن حمزة في ما رواه خلف عن سليم عنه، أنه يقسم المد مع الهمز إلى ثلاثة أقسام، سواء أكانت الهمزة في نفس الكلمة أم في كلمة أخرى. وهذه الأقسام هي:

١. الإشباع، أي بمقدار ست حركات، وذلك في ما جاءت فيه الهمزة مفتوحة، نحو: ﴿ يِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾[2]، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾[3]، وشبهه.

---

[1] انظر: سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح ٦١. وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١/١٦٦.

[2] سورة الأعراف: ٤٧.

[3] سورة المؤمنون: ٩٩.

٢. دون الإشباع، أي بمقدار خمس حركات، وذلك في ما جاءت فيه الهمزة مكسورة أو مضمومة نحو ﴿أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾[١]، ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾[٢]، وشبهه.

٣. التوسط، أي بمقدار أربع حركات، وذلك في ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾[٣]، ﴿وَلَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ﴾[٤]، وشبهه.

جاء في النشر: "وقد روي عن خلف عن سليم أنه قال: أطول المد عند حمزة المفتوح، نحو: "تلقاء أصحاب" و "جاء أحدهم" و "يا أيها"، قال: والمد الذي دون ذلك: "خائفين" و "الملائكة" و "يا بني إسرائيل". قال: وأقصر المد "أولئك"[٥]. وقد رد ابن الجزري على التفريق في المد بين (الملائكة، وخائفين، وإسرائيل)، و(أولئك)، فقال: "وليس العمل على ذلك عند أحد من الأئمة، بل المأخوذ به عند أئمة الأمصار، في سائر الأعصار خلافة، إذ النظر يرده، والقياس يأباه، والنقل المتواتر يخالفه، ولا فرق بين (أولئك) و (خائفين) فإن الهمزة فيهما بعد الألف مكسورة"[٦].

ويفهم مما سبق أن حمزة كان يمد بالإشباع، أي بمقدار ست حركات، في ما جاءت فيه الهمزة مفتوحة في المدين المتصل والمنفصل، في حين أنه يمد دون ذلك، أي بمقدار خمس حركات، في ما جاءت فيه الهمزة مكسورة أو مضمونة، أما المد المتوسط عنده فإنه فقط عندما يقع صوت المد بين همزتين، فيمده بمقدار أربع درجات.

---

[١] سورة البقرة: ١١٤.

[٢] سورة البقرة: ٣١.

[٣] سورة البقرة: ٥.

[٤] سورة الأحقاف: ٣٢.

[٥] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٣١٧/١، وانظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ٤٦١/١-١٦٢، والسبعة في القراءات، ابن مجاهد ١٣٥،والمبسوط في القراءات العشر، أبو بكر الأصبهاني ١٢١.

[٦] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٣١٧/١.

ويرى الباحث أن قراءة حمزة للمدين المنفصل والمتصل على هذه الدرجات، يمكن تفسيره على النحو الآتي:

الهمزة صوت خلفي ينتج من انغلاق الوترين الصوتيين ثم انفراجهما بعد ذلك، فيخرج الهواء مشكلاً صوت الهمزة، ويكون اللسان عند نطقها -كما هو في نطق الفتحة- مستقلاً في قاع الفم مع ارتفاع وسطه قليلاً، لهذا فإن المرحلة الأخيرة من مراحل النطق، وهو انفراج الوترين الصوتيين، تشكل وضع مخارج النطق عند نطق الفتحة، في حين أن الكسرة و الضمة تختلفان بأن اللسان سيتغير شكله، وينتقل إلى حالة أخرى، إذ يرتد إلى الخلف مع ارتفاع مؤخره جهة الحنك الأعلى، وذلك في نطق الضمة، أو يرتفع مقدمه إلى الأعلى، وذلك في نطق الكسرة، لهذا فإن مجيء الهمزة مفتوحة أدعى لاختفائها، فيطال صوت المد أكبر ما يمكن لتمكينها أما قصر المد مع الهمزة المكسورة أو المضمومة، فلأن أعضاء النطق ستغير شكلها مرتين، الأولى لنطق الهمزة، والثانية لنطق الكسرة أو الضمة، فيقصر صوت المد دون الإشباع لتمكين أعضاء النطق من هذين التغيرين، وتكون هذه المدة كافية لتمكين الهمزة.

ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

جاء ← جاء　　يا أيها ← يا أيها

Já?a ← Ja^{6}?a　　yá?ayyuhá ← ya^{6}?ayyuhá

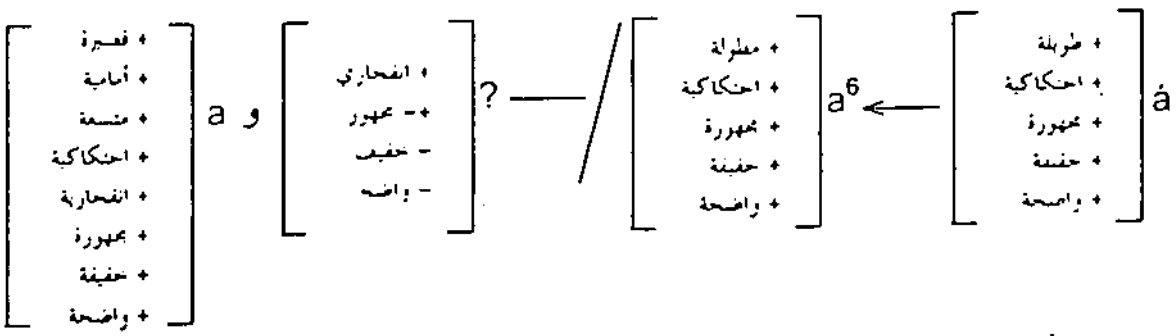

أصبحت الحركة المعيارية الرابعة /á/ مطولة [a^{6}] في الموقع الذي جاءت فيه متبوعة بالهمزة /?/ والحركة المعيارية الأولى /a/.

خائفين ← خائفين

xá?ifín ← xa^{5}?ifín

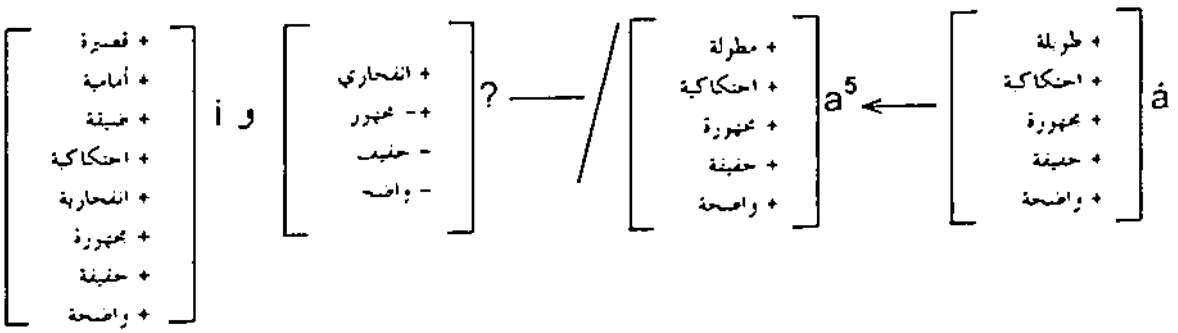

أصبحت الحركة المعيارية الرابعة /á/ مطولة [a^{5}] في الموقع الـذي جـاءت فيـه متبوعة بالهمزة /?/ والحركة المعيارية الأولى / i/.

جاءوا ← جاءوا

Já?ú ← Ja^{5}?ú

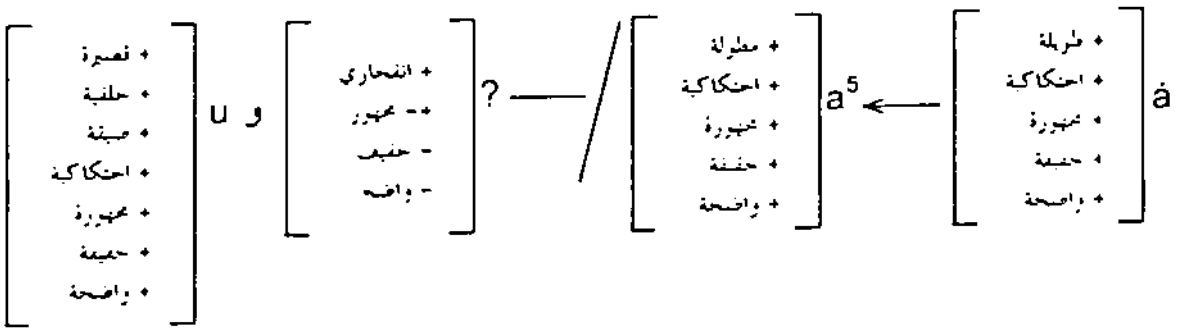

أصبحت الحركة المعيارية الرابعة /á/ مطولة [a^{5}] في الموقع الـذي جـاءت فيـه متبوعة بالهمزة /?/ والحركة المعيارية الثامنة /u/.

أما "أولئك" و "أولياء" فإن مدها مداً متوسطاً بمقدار أربع حركات، لوقوع صوت المـد بين همزتين، ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

أولئك ← أولئك

?ulá?ika ← ?ula^{4}?ika

أولياء ← أولياء

?awliyá? ← ?awliya^{4}?

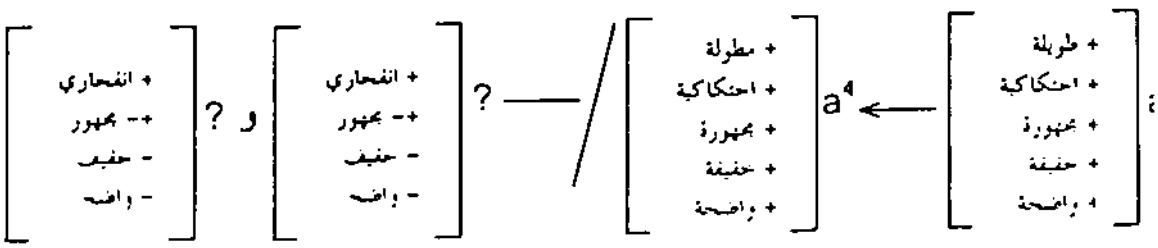

أصبحت الحركة المعيارية الرابعة /á/ مطولة [a'] في الموقع الـــذي جـــاءت فيـــه مسبوقة بالهمزة /?/ ومتبوعة بها.

ولما كان هذا التغير ينطبق على أصوات المد جميعها فـــي المـــد المتصـــل، وعلـــى الحركات في المد المنفصل، فإنه يمكن القول إن المد مع الهمز عند حمزة ينتظم في القواعـــد الآتية:

قاعدة(١):

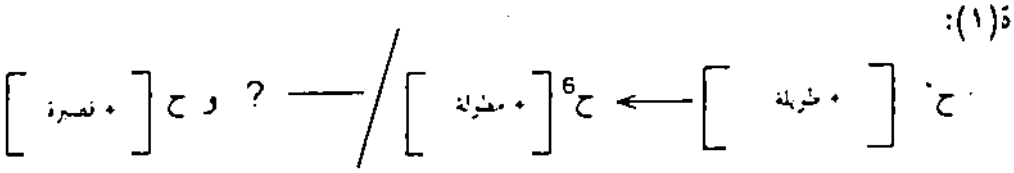

الحركة الطويلة تصبح مطولة، في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالهمزة، والحركـــة المعيارية الرابعة.

قاعدة (٢):

الحركة الطويلة تصبح مطولة، في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالهمزة والحركة المعيارية الأولى، أو الثامنة.

قاعدة (٣):

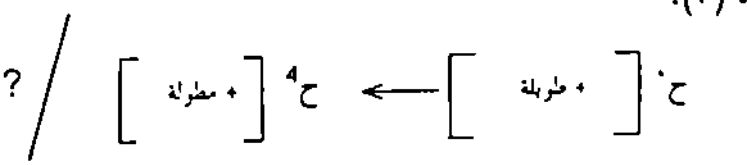

الحركة الطويلة تصبح مطولة، في الموقع الذي تكون فيه مسبوقة بالهمزة ومتبوعة بها.

قاعدة (٤):

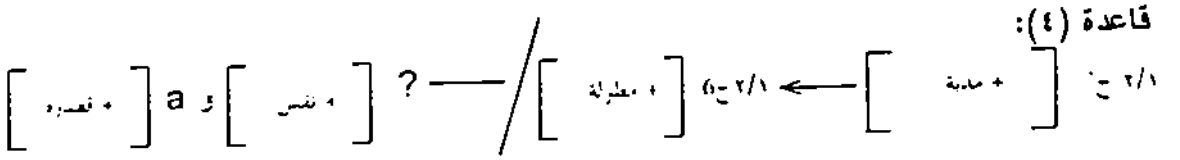

نصف الحركة (المدية) تصبح مطولة، في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالهمزة والحركة المعيارية الرابعة، في الكلمة نفسها.

قاعدة (٥):

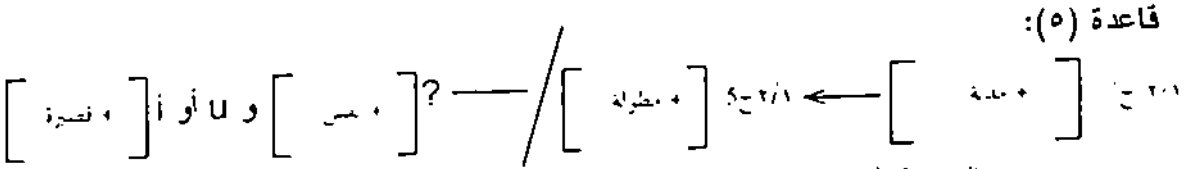

نصف الحركة (المدية) تصبح مطولة، في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالهمزة والحركة المعيارية الأولى أو الثامنة، في الكلمة نفسها.

قاعدة (٦):

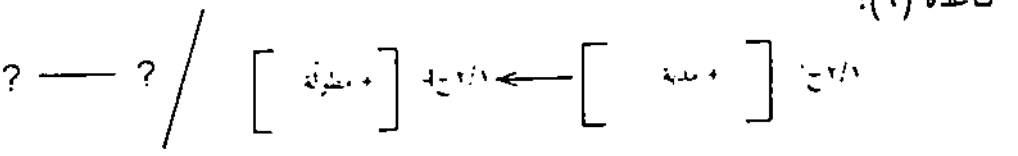

نصف الحركة (المدية) تصبح مطولة، في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالهمزة، ومسبوقة بها، في الكلمة نفسها.

هذا في ما يتعلق بالقسم الأول من قسمي المد مع الهمز، و الذي يكون في صوت المد إذا تلته همزة. أما القسم الثاني فهو ما جاءت فيه الهمزة سابقة لصوت المد، وقد سماه العلماء مد البدل، وهو المد الذي يقع في صوت المد إذا سبقته همزة، وذلك نحو: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾[1]، ﴿وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾[2]، ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾[3]، وشبهه[4].

---

[1] سورة البقرة: ٢٨٥.

[2] سورة الأنبياء: ٧٣.

[3] سورة التكوير: ٨.

[4] انظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ١/٤٧١-٤٧٧، والتذكرة في القراءات، ابن غلبون، المجلد الأول ١٤٩، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٣٣٨-٣٤٤، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١/١٦٣-١٦٤.

وقد أجمع القراء على قصره، أي بمده مداً طبيعياً بمقدار حركتين، إلا ورشاً، فقد مده فوق ذلك. جاء في الإتحاف: "وأما إن كان الهمز قبل حرف المد واتصلا، فأجمعوا على قصره، لأنه إنما مد بالعكس ليتمكن من لفظ الهمزة كما تقدم، وهنا قد لفظ بها قبل المد فاستغني عنه إلا ورشاً من طريق الأزرق، فإنه اختص بمده..."[1].

يفهم من كلام ابن البنا أن القصر هو الواجب، وذلك لأن المد مع الهمز يكون لتمكين الهمزة التي ضعفت بمجيئها بعد صوت المد، لكنها لما وقعت قبل صوت المد، لم يعد ما يضعفها، وبالتالي لم يعد هنالك سبب لإطالة صوت المد، فهي متمكنة ليست بحاجة إلى تمكين.

ويذهب ابن غلبون في تذكرته إلى مثل هذا، إذ يجعل في القصر الفصاحة، كما يجعل المد هنا مما يعيب القراءة، ويخرج الكلام عن معناه، ونسبه إلى منتحلي قراءة ورش، يقول ناقياً المد عن نافع في ما سبقته الهمزة من أصوات المد: "وإن نافعاً لم يكن يرى إشباع المد في حروف المد واللين بعد الهمزة... كما يذهب إليه بعض منتحلي قراءة ورش، لأن إشباع المد في هذا كله مضغ، ولوك، وانتهار، وتشديد، وليس بأفصح اللغات وأمضاها. وقد نفى نافع أن تكون قراءته كذلك، فدل هذا منه على أن قراءته في هذه الحروف الواقعة بعد الهمزة إنما كانت بمدهن قليلاً، بمقدار ما يتبين فيهن من المد واللين لا غير كسائر القراء، لأن ذلك هو أفصح اللغات فيهن وأمضاها، وبه يحصل التسهيل، وينتفي الانتهار والتشديد. هذا مع ما يؤدي إشباع المد هاهنا في كثير منه إلى إحالة المعنى، بخروج اللفظ بذلك من الخبر إلى الاستخبار.

---

[1] إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ١/٦٣ .

ألا ترى أن قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ ﴾[1]، وقوله: ﴿ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾[2] هما خبران. ولو أشبع المد فيهما لصارا استخباراً، إذ الفرق بين الخبر والاستخبار في ما كان مثل هذا قد يقع بإشباع المد..."[3].

وهذا النوع من المد عند ورش فقط. أما غيره من القراء، ومن بينهم حمزة، فقد قصروا أصوات المد، واكتفوا بمدها بمقدار حركتين. وبالتالي فإن قراءة حمزة لم تخالف سائر القراءات في هذا النوع من المد.

أما المد مع السكون فقد قسمه العلماء إلى قسمين، سواء أكان السكون مظهراً أم مدغماً، قسم جاءت فيه السكون عارضة، تعرض في الوقف، وسماه العلماء المد العارض، وقسم تكون فيه السكون أصلاً، وسماه العلماء المد اللازم. جاء في النشر: "وأما الساكن، فإما أن يكون لازماً، وإما أن يكون عارضاً، وهو في قسميه إما مدغم، أو غير مدغم"[4]. وجاء في الإتحاف: "النوع الثاني من السبب اللفظي السكون، وهو إما لازم، وهو الذي لا يتغير وقفاً ولا وصلاً، أو عارض، وهو الذي يعرض للوقف أو الإدغام، وكل منهما إما مظهر أو مدغم"[5].

وعلى هذا فالمد مع السكون يقسم إلى قسمين:

أ. المد العارض:

وهو المد الذي يقع في صوت المد إذا تلته سكون عارضة للوقف، وتزول بالوصل، أي أن يكون الصوت الذي يلي صوت المد متحركاً ثم يسكن، سواء أكانت السكون على

---

[1] سورة البقرة: ٢٨٥.

[2] سورة قريش: ٤.

[3] التذكرة في القراءات، ابن غلبون، المجلد الأول ١٤٩-١٥٠.

[4] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٣١٤/١.

[5] إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١٦٥/١.

صوت مظهر أم مدغم، وذلك نحو: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾[1]، ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾[2]، ﴿ إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ﴾[3]، ﴿ لَا رَيۡبَۛ﴾[4]، ﴿ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ ﴾[5]، وشبهه، مما وقف عليه بالسكون، ونحو: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا﴾[6]، ﴿ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا﴾[7]، ﴿ فِيهِۛ هُدٗى ﴾[8]، وشبهه لمن أدغم[9].

جاء في الكشف: "فأما الوقف على أواخر الكلم التي قبل الأخر منها حرف مد ولين نحو: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[10]، ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ﴾[11]، وشبهه، فإنه يلزم من وقف بالسكون، أو بالإشمام في ما يجوز فيه الإشمام، أن يمد بين الساكنين مداً غير مشبع، لالتقائهما في الوقف، ولا يلزم إشباع المد لأن الوقف والسكون عارضان"[12]، وفي موضع آخر: "والوقف عليه بالإسكان أو الإشمام لا بد فيه من مد زائد على ما ذكرنا لالتقاء الساكنين، وإن وقفت عليه بروم الحركة كان المد أقل"[13].

---

[1] سورة الرحمن: ١.

[2] سورة الفاتحة: ٥.

[3] سورة الواقعة: ٦٦.

[4] سورة البقرة: ٢.

[5] سورة البقرة: ١٣٣.

[6] سورة الصافات: ١.

[7] سورة الصافات: ٢.

[8] سورة البقرة: ٢.

[9] انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٣١٤/١، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١٦٥/١، وأصوات اللغة العربية، عبد الغفار حامد هلال ٣١٣.

[10] سورة البقرة: ٢٩.

[11] سورة البقرة: ١٣.

[12] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ٦٢/١.

[13] السابق ٦٣/١.

واختلف القراء في هذا المد على ثلاث درجات هي: الإشباع، والتوسط، والقصر. أما الإشباع، فلاجتماع الساكنين اعتداداً بالعارض، وأما التوسط، فمراعاة لاجتماع الساكنين، وملاحظة كونه عارضاً، في حين أن القصر كان لعدم الاعتداد بالسكون لكونه عارضاً، فلا يعتد به، ولأن الجمع بين الساكنين مما يختص بالوقف[1].

وقد كان حمزة من أصحاب الإشباع، أي المد بمقدار ست حركات[2].

وكان تعليل العلماء لهذا المد، كما جاء سابقاً، هو التقاء الساكنين، إذ تكون المدة كالحركة التي تفصل بين هذين الساكنين. ومعنى ذلك أن الزيادة الحاصلة في صوت المد تقابلها زيادة في المدة الزمنية اللازمة لنطق ذلك الصوت، وهذا يمكن أعضاء النطق من الاستعداد للنطق بالصوت الذي سكن عرضاً. ويمكن تحليل المد في ذلك عند حمزة فونولوجياً كالآتي:

الرحمن ← الرحمن

Arraħma^{6}n ← Arraħmán

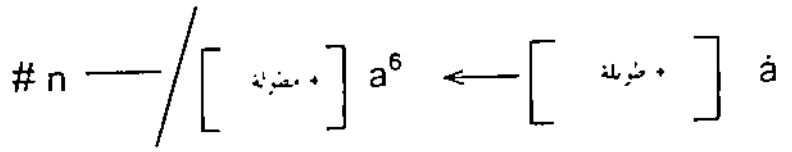

أصبحت الحركة المعيارية الرابعة /á/ مطولة [ˈaː] في الموقع الذي جاءت فيه متبوعة بالصامت الساكن عرضاً.

مغرمون ← مغرمون

Muġramu^{6}n ← Muġramún

---

[1] انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٣٣٥/١، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١٦٥/١، والإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي ٢٧٣/١.

[2] السابقة، الصفحات نفسها.

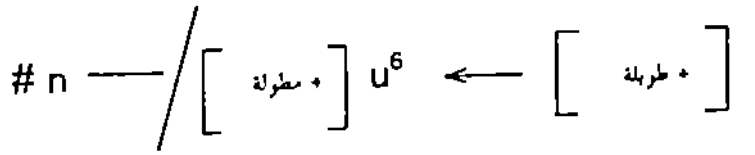

أصبحت الحركة المعيارية الثامنة /ú/ مطولة [u^{6}] في الموقع الـــذي جـــاءت فيـــه متبوعة بالصامت الساكن عرضاً.

نستعين ← نسعين

Nasta؟ i^{6}n ← Nasta؟in

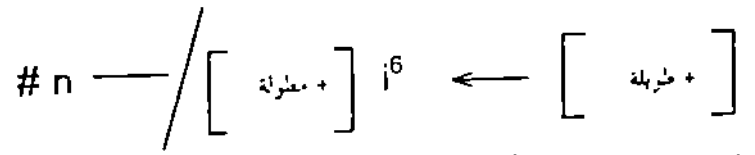

أصبحت الحركة المعيارية الأولى /i / مطولة [i^{6}] في الموقع الذي جاء فيه متبوعـــة بالصامت الساكن عرضاً.

الموت ← الموت

Almaw^{6}t ← Almawt

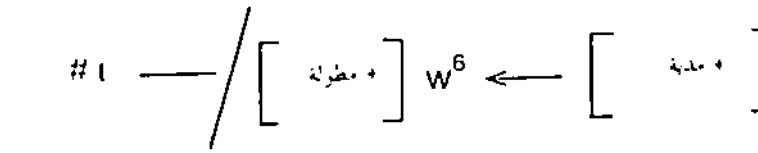

أصبحت نصف الحركة /w/ مطولة [w^{6}] في الموقع الـــذي جـــاءت فيـــه متبوعـــة بالصامت الساكن عرضاً.

لا ريب ← لا ريب

Láray^{6}b ← Lárayb

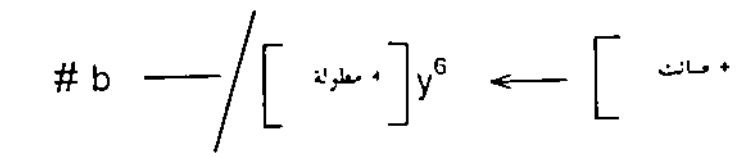

أصبحت نصف الحركة /y/ مطولة [y^{6}] في الموقع الـــذي جـــاءت فيـــه متبـــوعة بالصامت الساكن عرضاً.

ومما سبق يمكن القول:

قاعدة (١):

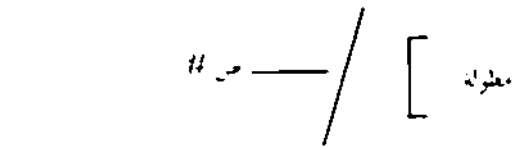

الحركة الطويلة تصبح مطولة، في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بصامت ساكن عرضاً.

قاعدة (٢):

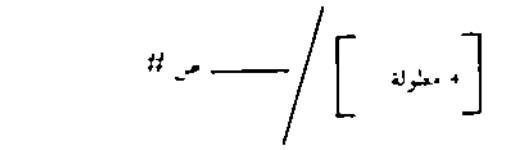

نصف الحركة تصبح مطولة، في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بصامت ساكن عرضاً.

ب. المد اللازم:

وهو المد الذي يقع في صوت المد إذا تلته سكون لازمة، لا تتغير وصلاً ولا وقفاً، أي أن يكون الصوت اللاحق لصوت المد ساكناً سكوناً أصلية، لا تزول بالوصل أو الوقف، سواء أكانت السكون على صوت مظهر أم مدغم، ويقع هذا المد في الحرف كما يقع في الكلمة[١].

وعلى هذا فالمد اللازم يقسم إلى قسمين:

١. المد اللازم الكلمي:

ويقع في صوت المد المتبوع بساكن سكوناً أصلياً في كلمة، وهو لازم مظهر (مخفف) إذا ما كان الصوت الساكن اللاحق لصوت المد غير مشدد نحو: ءَآلْـَٰٔنَ[٢]، ۞ وَمَحْيَايَ[٣]،

---

[١] انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٣١٤/١، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١٦٥/١.

[٢] سورة يونس: ٩١.

[٣] سورة الأنعام: ١٦٢.

وشبهه. أو لازم مدغم (مثقل) إذا ما كان الصوت الساكن اللاحق لصوت المد مشدداً تشـــديداً لازماً نحو: ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾[1]، ﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾[2]، ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي﴾[3]، وشبهه[4].

٢. المد اللازم الحرفي:

ويقع في صوت المد المتبوع بساكن سكوناً أصلياً في حرف، ويكون في فواتح السور التي تجتمع في كلمتي (نقص عسلكم)، وهو لازم مظهر (مخفف) إذا ما كان الصوت الســاكن اللاحق لصوت المد غير مشدد نحو: صاد، ميم،نون،عين، كاف في ﴿ٱلٓمٓصٓ﴾[5]، ﴿حمٓ﴾[6]، ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[7]، ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾[8]، وشبهه. أو لازم مدغم (مثقل) إذا ما كان الصــوت الساكن اللاحق لصوت المد مشدداً تشديداً لازماً نحو: لام في ﴿الٓمٓ﴾[9]، ﴿ٱلٓمٓصٓ﴾[10]، وشبهه[11].

---

[1] سورة الفاتحة: ٧.

[2] سورة عبس: ٣٣.

[3] سورة الأنعام: ٨٠.

[4] انظر: التذكرة في القراءات، ابن غلبون، المجلد الأول ١٥١، والنشر في القراءات العشر، ابن الجــزري ١/٣١٤، والتمهيد في علم التجويد، ابن الجزرى ١٧٤-١٧٦، وإتحاف فضلاء البشــر بــالقراءات الأربعــة عشر، ابن البنا ١/١٦٥.

[5] سورة الأعراف: ١.

[6] سورة الشورى: ١.

[7] سورة مريم: ١.

[8] سورة القلم: ١.

[9] سورة الروم: ١.

[10] سورة الأعراف: ١

[11] انظر: التذكرة في القراءات، ابن غلبون، المجلد الأول ١٥١، والنشر في القراءات العشر، ابن الجــزري ١/٣١٤، والتمهيد في علم التجويد، ابن الجزري ١٧٤-١٧٦، وإتحاف فضلاء البشــر بــالقراءات الأربعــة عشر، ابن البنا ١/١٦٥.

تحدث ابن الجزري عن هذا النوع من المد بقسميه (الحرفي، والكلمي) مبيناً أن القراء لم يختلفوا فيه، بل أجمعوا على مده قدراً واحداً مشبعاً من غير إفراط، يقول "وأما المد للساكن اللازم في قسميه... فإن القراء مجمعون على مده مشبعاً قدراً واحداً من غير إفراط، لا أعلم بينهم في ذلك خلافاً سلفاً ولا خلفاً، إلا ما ذكره الأستاذ أبو الفخر حامد بن علي بن حسنويه الجاجاني في كتابه "حلية القراء" نصاً عن أبي بكر بن مهران حيث يقول: والقراء مختلفون في مقداره، فالمحققون يمدون على قدر أربع ألفات، ومنهم من يمد على قدر ثلاث ألفات، والحادرون يمدون عليه قدر ألفين..."[1].

وابن الجزري يخرج من حكمه هذا ما رواه الجاجاني عن ابن مهران، إلا أنه يعلق على ذلك قائلاً: "وظاهر عبارة صاحب التجريد أيضاً أن أعلى المراتب تتفاوت كتفاوتها في المتصل. وفحوى كلام أبي الحسن بن بليمة في تلخيصه تعطيه والآخرون من الأئمة بالأمصار خلافه"[2].

وقد علل العلماء لهذا النوع من المد بمثل ما عللوا به للمد مع الساكن العارض، وهو التقاء الساكنين، والمد بمنزلة الحركة التي تمنع التقاء هذين الساكنين.

ويمكن تحليل المد في هذا النوع من المد عند حمزة وسائر القراءات فونولوجياً كالآتي:

محياي ← محياي

Maħya^{6}y ← Maħyáy

$$\acute{a} \begin{bmatrix} + \text{طويلة} \end{bmatrix} \longleftarrow a^{6} \begin{bmatrix} + \text{مطولة} \end{bmatrix} \Big/ ____ \#\#\ ء \begin{bmatrix} + \text{بعضف حركة} \\ + \text{أمامية} \end{bmatrix}$$

---

[1] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٣١٩/١.

[2] السابق ٣١٩/١.

أصبحت الحركة المعيارية الرابعة /á/ مطولة [a^{6}] في الموقع الـــذي جـــاءت فيـــه متبوعة بنصف حركة أمامية.

الم ← الم

?liɬɬa^{6}mmi^{6}m ← ?liɬɬámmim

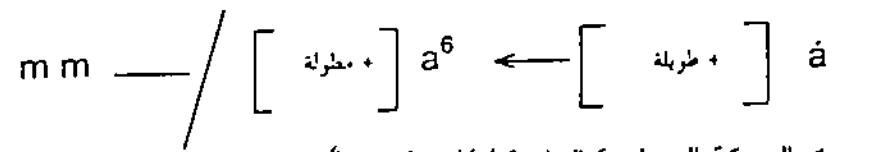

أصبحت الحركة المعيارية الرابعة /á/ مطولة [i^{6}] في الموقع الـــذي جـــاءت فيـــه متبوعة بالصامت المشدد تشديداً لازماً.

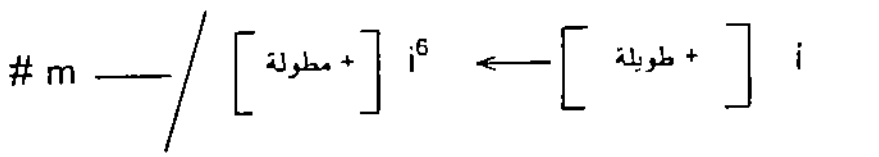

أصبحت الحركة المعيارية الأولى /i/ مطولة [i^{6}] في الموقع الذي جاءت فيه متبوعـة بالصامت الساكن سكوناً لازماً.

ومما سبق يمكن ضبط المد مع الساكن بأقسامه عند حمزة في القواعد الآتية:

قاعدة (١):

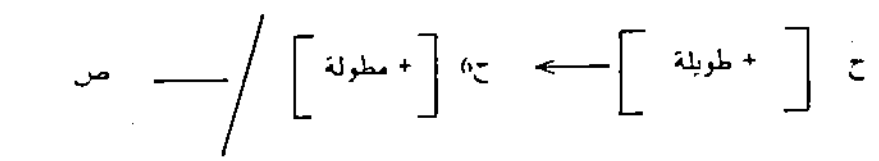

الحركة تصبح مطولة، في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالصامت الســـاكن ســـكوناً مظهراً لازماً أو عارضاً.

قاعدة (٢):

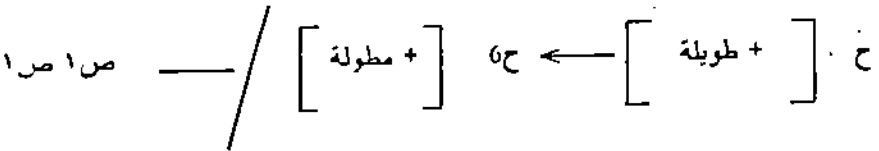

الحركة تصبح مطولة، في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالصامت المدغم.

قاعدة (٣)

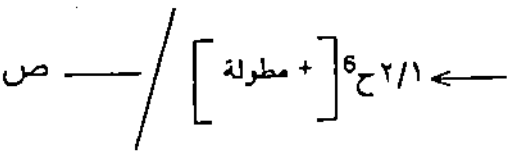

نصف الحركة تصبح مطولة في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالصامت الساكن سكوناً مظهراً لازماً أو عارضاً.

قاعدة (٤):

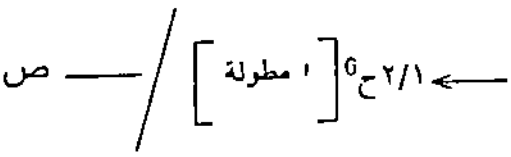

نصف الحركة تصبح مطولة في الموقع الذي تكون فيه متبوعة بالصامت المدغم.

وقد اختلفت الآراء في المد مع المدغم والمظهر، فمن قائل إنه مع المدغم أطول، ومن قائل عكس ذلك، ومن قائل بتساويه في النوعين، إذ الموجب واحد وهو التقاء الساكنين، وهو ما عليه الجمهور[١].

أما السبب المعنوي، فقد ذكر لعدة معان هي:

١. المبالغة في النفي، نحو: لا إله إلا الله، لا ريب فيه.

٢. المبالغة في الدعاء، نحو: يا رب، ارحم فلاناً.

٣. المبالغة في الاستغاثة، نحو: يا الله لزيد[٢].

وقد روي هذا النوع من المد عند حمزة، أما مقداره، فهو، كما يقول ابن الجزري "وسط لا يبلغ الإشباع... وذلك لضعف سببه عن سبب الهمزة"[٣].

---

[١] انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٣١٨/١-٣١٩.

[٢] انظر: السابق ٣٤٤/١-٣٤٥، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١٦٦/١، وقواعد التلاوة، فرج توفيق الوليد، و قحطان الدوري ٦٤.

[٣] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٣٤٥/١.

يظهر لنا مما سبق أن حمزة من أصحاب الإشباع في المد في صوره المختلفة، وأسبابه المتنوعة، وهو في هذا يتميز عن القراء جميعاً، ولا يضارعه في هذا إلا ورشاً.

ولحمزة رأي في المد يظهر مما نقله ابن الباذش عن سليم قوله: "سمعت حمزة يقول: إنما أزيد على الغلام في المد ليأتي المعنى"[1]، وكذلك ما نقله ابن غلبون عن حمزة قوله: "كما روي عن حمزة أن رجلاً قرأ عليه فأخذ يمد، فقال له حمزة: لا تفعل، أما علمت أن ما فوق الجودة فهو قطط، وما كان فوق البياض فهو برص، وما كان فوق القراءة ليس بقراءة"[2].

ومن الجدير بالذكر، أننا – وفي ظل المعطيات السابقة –يجب ألاّ نغفل ذلك الإيقاع الصوتي الموسيقي الذي تتميز به اللغة العربية وتسعى إليه، ولما كان المد محدثاً لهذا الإيقاع، إذ يحدث تناغماً جميلاً يتناسب مع جمال الإيقاع القرآني، فإنه يمكن اعتماد هذا السبب (الإيقاع) كعامل من عوامل المدود، وسبباً من أسبابها، ولا سيما ذلك المد الذي لا يعتمد على سبب لفظي.

---

[1] الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ١/٤٧١.

[2] التذكرة في القراءات، ابن غلبون، المجلد الأول ١٤٨.

الفصل الخامس

الوقف والسكت

- تعريف الوقف.

- أقسام الوقف.

-أشكال الوقف ومنهج حمزة فيها:

السكت.

الوقف.

تعريف الوقف:

يعتمد المتكلم في ما يخرجه من أصوات على هواء الزفير، وتسبق هذه العملية (الزفير) عملية أخرى هي استنشاق الهواء، أو ما يسمى بالشهيق، ولما كان لهواء الزفير حد ينتهي عنده ويتلاشى، فإن المتكلم سينقطع عن الكلام، وإن إخراج الأصوات لن يكون ممكناً حتى يقوم المتكلم باستنشاق الهواء مجدداً، ومن ثم إخراجه ليتابع كلامه، وهذه الفترة الواقعة بين هاتين العمليتين (الشهيق والزفير) يضاف إليها الفترة التي يحتاجها المتكلم لاستنشاق الهواء الجديد، ينقطع فيها الصوت بحيث يصبح المتكلم غير قادر على متابعة كلامه. ولما كانت طبيعة الكلام وما تقتضيه من دلالات لا يمكن معها الوقوف في أي وقت يشاؤه المتكلم، فإن على المتكلم أن يهيئ نفسه للوقف على الأماكن التي لا يختل فيها المعنى أو يضطرب. فالمتكلم المتقن هو الذي يحسن اختيار الموقع الذي يقف عنده.

يقول ابن الجزري: "لما لم يمكن القارئ أن يقرأ السورة أو القصة في نفس واحد، ولم يجز التنفس بين كلمتين حالة الوصل، بل ذلك كالتنفس في أثناء الكلمة، وجب حينئذ اختيار وقف للتنفس والاستراحة، وتعين ارتضاء ابتداء بعد التنفس والاستراحة، وتحتم أن لا يكون ذلك مما يخل بالمعنى، ولا يخل بالفهم، إذ بذلك يظهر الإعجاز، ويحصل القصد"[1].

ثم إن الوقف في الكلام غير مقتصر على انقطاع النفس، بل هو ضرورة ملحة في أداء المعاني والدلالات داخل التراكيب اللغوية. وتغير المعنى بتغير مواقع الوقف في السياق اللغوي هو الذي يدفع المتكلم إلى اختيار مواقع الوقف التي تؤدي المعنى الذي يريد، يضاف إلى ذلك

---

[1] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٢٢٤-٢٢٥.

تأثر الأصوات بعضها ببعض، الأمر الذي يؤدي إلى ضعفها أو خفائها، فيأتي السكت ليمكن هذه الأصوات ويحققها.

هذا وتبرز ظاهرة الوقف بشكل خاص في قراءة القرآن الكريم، هذا الوقف الذي تتبين فيه معاني القرآن الكريم، وتعرف مقاصده، وتظهر فوائده، وبه يتهيأ الغوص على دُرره وفوائده، وهذا يتطلب أن يكون القارئ على علم بالمواقع التي يصح عندها وقوفه وانتهاؤه وتنقله. وإنما يعتمد في هذا على تفهم المعنى القرآني، واستيعاب مقاصد الآي، لكي يكون هناك شيء من الملاءمة بين المعنى والصوت المعبر عنه، ولهذا يجب أن يكون القارئ أو المقرئ متزوداً بالثقافة اللغوية، ملماً بالبلاغة العربية، عارفاً بمواقع الإعراب والبناء، متفقهاً فقه التفسير، هذا بالإضافة إلى ما يجب أن يمتلكه من أدوات المعرفة اللسانية وقواعد الأداء الصوتي.

وقد أثر الوقف عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك ما روته أم سلمة عنه عليه السلام، حيث قالت: "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقطع قراءته آية آية، يقرأ: "الحمد لله رب العالمين"[1] ثم يقف، "الرحمن الرحيم"[2] ثم يقف"[3].

كما حض الأئمة على تعلمه ومعرفته، ومن هذا ما نقله ابن الجزري عن علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- قوله: "الترتيل معرفة الوقوف وتجويد الحروف"[4]، و عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قوله: "لقد عشنا برهة من دهرنا، وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل

---

[1] سورة الفاتحة: ٢.

[2] سورة الفاتحة: ٣.

[3] سنن الترمذي، القراءات ٤٨/١١، وسنن أبي داود، الحروف والقراءات ٢٩٤/٤، وانظر: جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي ٥٤٨/٢.

[4] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢٢٥/١.

قصده، فاقتضى الموقوف عليه ما بدئ به بعده، والمبدوء به ما وقف عليه قبله اقتضاء اللاجئ من يلجأ إليه، والمحيل من يحيل عليه، فإذا ضرب المتكلم عن أيهما كان صفحاً، وأضرب وذهب عن ذكره ونكب، قام ببيانه ما منه في النفس، وشهد بمكانه ما أدركه الحس، فكان في حكم المذكور وإن كان مطوياً غير منشور، فاستوى فيه الناقص والتام والموفى النظام والنيف عن التمام، فجاز أن يوقف على كل منهن كما يبدأ به، ويبدأ به كما يوقف عليه، ثم الأحسن، وأن لا يوقف على الناقص ولا ما يقدر به، ولا القبيح إلا على استكراه أو ضرورة"[1].

ومن النص السابق يمكن القول إن الوقف يقسم إلى أربعة أقسام هي: وقف تام، ووقف كاف، ووقف حسن، ووقف قبيح[2].

١. الوقف التام:

وهو الوقف على ما تم معناه، ولم يتعلق بما بعده لفظاً ولا معنى، أي لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى. والتعلق اللفظي هو التعلق من جهة الإعراب، كتعلق الفاعل بالفعل وشبهه. أما التعلق المعنوي فهو التعلق من جهة المعنى فقط، بأن يرتبط ما يوقف عليه بما بعده من حيث المعنى فقط دون شيء من تعلقات الإعراب[3]. ومن هنا سمي بالتام، وذلك لتمامه المطلق لفظاً ومعنى[4]. وأكثر ما يكون هذا النوع من الوقف في رؤوس الآي، وانقضاء القصص، وذلك نحو الوقف على قوله تعالى: " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ "[5]، ثم على " الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ "[6].

---

[1] جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي ٢/٥٥١ - ٥٥٢.

[2] وانظر كذلك: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٢٢٥-٢٢٦.

[3] انظر: جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي ٢/٥٦٣، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٢٢٥-٢٢٦، وشرح طيبة النشر، ابن الجزري ١٧٩، وحق التلاوة، حسني شيخ عثمان ٢٥، والعقد المفيد في علم التجويد، صلاح صالح سيف ٨١-٨٢.

[4] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٢٢٦، والعقد المفيد في علم التجويد، صلاح سيف ٨٢.

[5] سورة الفاتحة: ١

[6] سورة الفاتحة: ٢.

وشبهه، وهذا مما كان في رؤوس الأي. أما الوقف في انقضاء القصص، فذلك نحو الوقف على قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾[1] وهذا نهاية حكاية كلام بلقيس، وشبه ذلك، ويحسن الوقف في هذا النوع من الوقف والابتداء بما بعده[2].

وقد عد بعض العلماء الوقف على رؤوس الأي سنة، وذلك لمجيئه عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي روته أم سلمة، وقال بعضهم، الأفضل الوقوف على رؤوس الأي وإن تعلقت بما بعدها، قالوا: واتباع هدى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسنته أولى[3].

٢. الوقف الكافي:

وهو الوقف الذي انفصل مما بعده لفظاً وتعلق معنى، أي الوقف على ما أدى معنى صحيحاً يرتبط بما بعده من جهة المعنى، وينفصل عنه من جهة اللفظ[4]. وسمي بالكافي للاكتفاء به عما بعده واستغناء ما بعده عنه[5]. ويكثر هذا النوع من الوقف في الفواصل وغيرها، وذلك نحو الوقف على قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[6]، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[7]، وعلى (منا) في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[8]، وشبهه. فهذا كلام مفهوم، والذي

---

[1] سورة النمل: ٣٤.

[2] انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢٢٦/١، والعقد المفيد في علم التجويد، صلاح سيف ٨٢.

[3] النشر في القراءات العشر، ابن الجزرى ٢٢٦/١.

[4] انظر: جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي ٥٦٣/٢، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢٢٦/١، وشرح طيبة النشر، ابن الجزري ١٨٣، وحق التلاوة حسني شيخ عثمان ٢٨، والعقد المفيد في علم التجويد، صلاح سيف ٨٢.

[5] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢٢٦/١.

[6] سورة الفاتحة: ٤.

[7] سورة الفاتحة: ٥.

[8] سورة البقرة: ١٢٧.

بعده كلام مستقل مستغن عما قبله لفظا وإن تعلق به معنى. ويحسن الوقف في هذا النوع من الوقف، والابتداء بما بعده[1].

٣. الوقف الحسن:

وهو الوقف الذي انفصل مما بعده معنى وتعلق لفظا، أي الوقف على ما أدى معنى صحيحا يرتبط بما بعده من جهة اللفظ، وينفصل عنه من جهة المعنى بحيث لا يحتاج إلى ما بعده، ويحتاج ما بعده إليه[2]، وسمي بالحسن لأنه في نفسه حسن مفيد[3]. ويأتي في رؤوس الآي وفي غيرها، وذلك نحو الوقف على قوله تعالى "الحمد لله" فهو كلام حسن مفيد، وقوله تعالى بعد ذلك "رب العالمين" غير مستغن عن الأول، ومن ذلك أيضا الوقف على قوله تعالى: "الرحمن الرحيم"، "مالك يوم الدين"، وشبهه، ويحسن الوقف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به[4].

ومن هنا فإن الموضع الواحد يحتمل أن يكون تاما، وأن يكون كافيا، وأن يكون حسنا[5].

٤. الوقف القبيح:

وهو الوقف على ما لا يؤدي معنى صحيحا، ويكون الكلام الموقوف عليه متعلقا بما بعده تعلقا شديدا لفظا ومعنى، أي الوقف على ما لا يفهم منه كلام أو يفهم منه غير المراد[6].

---

[1] انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢٢٦/١، والعقد المفيد في علم التجويد، صلاح سيف ٨٣.

[2] انظر: جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي ٥٦٣/٢، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢٢٦/١ وشرح طيبة النشر، ابن الجزري ١٨٦، وحق التلاوة حسني شيخ عثمان ٢٩ن والعقد المفيد في علم التجويد، صلاح سيف ٨٢.

[3] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢٢٦/١.

[4] انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢٢٦/١، والعقد المفيد في علم التجويد، صلاح سيف ٨٣.

[5] جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي ٥٦٤/٢، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/ ٢٢٩

كالوقف على كلمة (بسم) من قوله تعالى "بسم الله الرحمن الرحيم"، أو على قوله تعالى: "إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ"[2]، أو قوله: "فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ"[3]، وشبهه. ولا يجوز الوقف على هذا النوع من الوقف إلا لضرورة من انقطاع النفس أو نحوه، ويجب أن يبتدئ بالكلمة التي وقف عليها أو ما قبلها، حسب ما يقتضيه المعنى[4].

هذا وقد ذهب أبو يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة -رحمهما الله- إلى أن تقدير الموقوف عليه من القرآن بالتام، أو الناقص، أو الحسن، أو القبيح، وتسميته بذلك بدعة، ومسميه بذلك ومتعمد الوقف على نحوه مبتدع، قال: لأن القرآن معجز، وهو كالقطعة الواحدة، وكله قرآن وبعضه قرآن، وكله تام حسن وبعضه تام حسن[5].

ويعلق السخاوي على ذلك قائلا: "وليس الأمر كما ذكر أبو يوسف؛ فإن الكلمة الواحدة ليست من الإعجاز في شيء، وإنما المعجز الرصف العجيب، والنظم الغريب، وليس ذلك لبعض الكلمات. وقوله: إن بعضه تام حسن كما أن كله تام حسن، يقال له: لو قال قارئ: إذا جاء، ووقف، أهذا تام وقرآن؟ فمن قال: نعم، قيل: فما يحتمل أن يكون القارئ أراد: إذا جاء الشتاء، وكذلك كل ما يفرده من كلمات القرآن موجودة في كلام البشر، فإذا اجتمع وانتظم انحاز عن غيره وامتاز، وظهر ما فيه من الإعجاز"[6].

ويرى الباحث أن ما ذهب إليه السخاوي هو الصواب، فالقرآن الكريم بكل ما فيه من كلمات مفردة موجود في كلام البشر، إلا أن إعجازه وما يميزه عن كلام هؤلاء البشر أنه ينتظم

---

[1] انظر: جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي ٥٦٣/٢، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢٢٦/١، وشرح طيبة النشر، ابن الجزري ١٨٧، وحق التلاوة، حسني شيخ عثمان ٣١، والعقد المفيد في علم التجويد، صلاح سيف ٨٢.

[2] سورة البقرة: ٢٦.

[3] سورة الماعون: ٤.

[4] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢٢٦/١.

[5] جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي ٥٥٢/٢.

[6] السابق ٥٥٣/٢.

بأسلوب لغوي دلالي لا يتأتى للبشر، هذا الأسلوب لا يدركه إلا من كان على دراية تامة بمقاصد الأي القرآني، والوقف عامل مهم من العوامل التي تتوقف عليها هذه الدراية.

أشكال الوقف ومنهج حمزة فيها:

أخذ الوقف عند القراء أشكالا وصورا مختلفة، أولى هذه الصور قطع الصوت بنية استئناف القراءة، دون أن يرافقه تنفس، وثانيها أن يرافق هذا القطع تنفسا تستأنف بعده القراءة، وثالثها: قطع الصوت بنية إنهاء القراءة. هذا وقد ظهرت ثلاثة مصطلحات يعبر كل واحد منها عن صورة من صور القطع الثلاث، وهذه المصطلحات هي: السكت، والوقف، والقطع.

وذكر ابن الجزري أن هذه المصطلحات قد جرت عند كثير من المتقدمين مرادا بها الوقف غالبا، وأن المتأخرين هم الذين أضفوا عليها مثل هذا التخصص. فدل السكت على ما قطع فيه الصوت دون تنفس، بنية استئناف القراءة، كما دل الوقف على ما قطع فيه الصوت مع التنفس، بنية استئناف القراءة. أما القطع فإنه في قطع الصوت مع التنفس، بنية الانتهاء من القراءة[1].

ولما كان القطع سكوتا عن القراءة بقصد الانتهاء منها والانتقال إلى حالة أخرى سواها، فإنه ظاهرة عامة لا يضبطها ضابط، ولا تحتكم لقانون، سوى أنه لا يجوز القطع إلا على رؤوس أي، ويستعاذ بعده للقراءة المستأنفة أدبا[2]. فليس من سبب يمنع القارئ من الوقوف عن القراءة بقصد الانتهاء منها. لهذا فإن الحديث في هذا الفصل سيقتصر على ظاهرتي السكت والوقف، باعتبارهما ظاهرتين تحتكمان إلى معايير وضوابط لا تخرجان عنها.

---

[1] انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٢٣٩-٢٤٠.

[2] انظر: السابق١/ ٢٣٩.

السكت:

وهو قطع الصوت زمنا دون زمن الوقف عادة من غير تنفس، فلا يجوز معه تنفس[1]، أي أن يقطع القارئ صوته في أثناء القراءة، دون تنفس، زمنا معينا يستأنف بعده القراءة. وقد اختلف في مقداره، الأمر الذي أدى إلى اختلاف الأئمة في التأدية عنه بما يدل على طوله، فقيل: سكتة قصيرة، وقيل: سكتة يسيرة، وقيل: سكتة مختلسه،.وقيل: وقفة يسيرة، وقيل: وقيفة، وغير ذلك، جاء في النشر: "وقد اختلفت ألفاظ أئمتنا في التأدية عنه بما يدل على طول السكت وقصره..."[2]. ولكن يمكن القول إن طول السكت أو مقداره حركة أو حركتان[3].

يأتي السكت في رؤوس الآي وفي أوساطها، كما يأتي في وسط الكلمة وما اتصل رسما، والصوت الذي يسكت عليه لا يكون إلا ساكنا[4]، وذلك كما يقول ابن الباذش: "لأن الوقف أول السكوت الذي ينقطع فيه عمل اللسان ويسكن"[5]، و أكثر ما يكون السكت على الساكن المتبوع بهمز، وهو إما أن يكون منفصلا، فيكون الساكن آخر كلمة والهمز أول كلمة أخرى، وذلك نحو قوله تعالى: " قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ "[6]، " قَالُوٓاْ ءَامَنَّا "[7]، " هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ "[8]، وشبهه، أو

---

[1] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٢٤٠، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١/١٨٥.

[2] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٢٤٠.

[3] المختصر المفيد في معرفة القرآن وأصول التجويد، حمدي سعيد مدوخ ١٢٤، وحق التلاوة، حسني شيخ عثمان ٢٣.

[4] انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٤١٩-٤٢٠، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١/١٨٥.

[5] الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ١/٥٠٤.

[6] سورة المؤمنون: ١.

[7] سورة البقرة: ١٤.

[8] سورة الغاشية: ١.

يكون متصلا، فيكون والهمز في كلمة واحدة، وذلك نحو: ﴿ شَيْءٍ ﴾[1]، ﴿ ٱلْأَرْضِ ﴾[2]، وشبهه[3].

أما السكت مع غير الهمز فقد ذكر ابن الجزري أنه أصل مطرد وأربع كلمات. فالأصل المطرد حروف الهجاء في فواتح السور نحو: "الم، المر، الر، طه، طس، طسم، يس، حم، ص، ق، ن، كهيعص". والكلمات الأربع هي: ﴿عِوَجَاۜ﴾[4]، ﴿مَّرْقَدِنَاۜ﴾[5]، ﴿مَنْۜ رَاقٍ﴾[6]، ﴿بَلْۜ رَانَ﴾[7] دون غيرها[8].

ورد السكت عن حمزة، و ابن ذكوان، وحفص، و رويس، و إدريس، إلا أن حمزة أشد القراء عناية به، وقد اختلفت فيه الطرق عنه وعن أصحابه اختلافا كثيرا[9]. وهو فيما سكت عليه قد رسم لنفسه منهجا خاصا به يعرف بالسكت على الساكن قبل الهمز.

روى خلف عن سليم عن حمزة أنه كان يسكت على الحرف الصحيح الساكن الذي تتبعه همزة سكتا قصيرا، قبل نطق الهمزة دون أن يقطع نفسه، وذلك بشرط عدم إسقاط الهمزة أو نقل حركتها إلى الساكن الذي قبلها، ومن ذلك الوقف على لام التعريف الساكنة المتبوعة بسهمزة، أو

---

[1] سورة البقرة: ٢٠.

[2] سورة البقرة: ٦١.

[3] انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٤١٩-٤٢٠، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١/١٨٥.

[4] سورة الكهف: ١.

[5] سورة يس: ٥٢.

[6] سورة القيامة: ٢٧.

[7] سورة المطففين: ١٤.

[8] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٤٢٤-٤٢٥، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١/١٨٧.

[9] انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٤٢٥، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١/١٨٥ والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/٢٣٢-٢٣٣.

ميم الجمع الساكنة المتبوعة بهمزة وغيره، وذلك نحو: "الأرض" "هل أتاك"، "عليهم أأنذرتهم"، "نبأ ابني آدم" وشبهه[1]. إلا أن ما أخذ به الأئمة عنه واختاروه عدم السكت مطلقا على صوت المد المتبوع بهمزة، وذلك للنص الوارد عنه من أن المد يجزي من السكت، إذ يقول في ما رواه خلف وخلاد وغيرهما عن سليم عنه: "إذا مددت الحرف فالمد يجزي من السكت قبل الهمزة"[2] إلا ما جاء أصلا مطردا في المتصل، وهو في لفظ "شيء" كيف وقعت رفعا أو نصبا أو جرا، وكذلك كلمة "وَهُمْ لَا يَسْئَمُونَ"[3] وحدها[4].

وجاء تعليل المتقدمين للسكت مع الهمز مبنيا على الحقيقة الصوتية لنطق الهمزة، التي تتصف بالخفاء والشدة وبعد المخرج، وبالسكت تتحقق وتظهر وتتمكن. جاء في النشر: "فالساكن الذي يسكت عليه إما أن يكون بعده همزة، فيسكت عليه لبيان الهمز وتحقيقه أو لا يكون بعده همز، وإنما يسكت عليه لمعنى غير ذلك."[5]، وفي الكشف يقول مكي بن أبي طالب في تعليل السكت على لام المعرفة: "وعلة الوقف فيه أن الهمزة حرف ثقيل، بعيد المخرج، وحكمه في هذه الأشياء الابتداء به، لأن لام المعرفة زائدة، فوقف على لام المعرفة ليستفرغ القوة في النطق بالهمزة مبتدئا، ويشعر أن الهمزة حقها الابتداء بها، وما قبلها زائد داخل عليها، فكأن لام المعرفة كلمة، وما فيه الهمزة كلمة، وقد أتى الوقف على لام المعرفة في أشعار العرب مع غير

---

[1] انظر: سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح ٨٠، والإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ٤٨٢/١، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٤٢٠/١-٤٢١، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١٨٥/١-١٨٦.

[2] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٤٢٢/١.

[3] سورة فصلت: ٣٨.

[4] انظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ٤٨٢/١-٤٨٣، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٤٢٠/١، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١٨٦/١.

[5] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٤١٩/١، وانظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ٤٨٢/١.

الهمزة"[1]. ويقول في موضع أخر معللاً الوقف على الياء في "شيء" : "وعلة الوقف على اليـاء وتركه كالعلة في الوقف على لام التعريف"[2]. ويقصد بالوقف ههنا السكت، ويظهر هـذا مـن قوله: "كان خلف عن همزة يقف على لام المعرفة إذا كان بعدها همزة وقفة خفيفـة"[3]. وقولـه "وقفة خفيفة" من المصطلحات التي استخدمت للتعبير عن السكت كما جاء سابقاً.

فعندما يسكت القارئ على الصوت الساكن من غير تنفس، يؤدي هذا إلى مضاعفة كمية الهواء خلف الحنجرة، فإذا ما هم بنطق الهمزة انفرج الوتران الصوتيان فجأة، وسمع مـع هـذا الانفراج دوي قوي هو صوت الهمزة، ولما كانت الهمزة خفية شديدة كان حقـها -مـن أجـل تحقيقها- أن يسكت على الساكن قبلها، لتمكين جهاز النطق من التهيؤ لنقطها وإخراجها محققـه بالصورة المناسبة.

يجب ألاّ يغفل ما للسكت من أثر في تحقيق النبر للمقطعين المتواليين، والذي قد لا يتأتى إلا به من خلال تحقيق الهمزة بالسكت على الساكن الذي يسبقها، يقول الدكتور سمير ستيتية في بيان ذلك: "والعلة الصوتية التي من أجلها يتم هذا السكت هوتحقيق النبر للمقطعين المتواليـن. ولا يحسن تجاوز النظر في هذه المسألة لأن المتأمل في حقيقة السكت يفضي إلى ما قلناه، وهـو أنه لولا وجود السكت لكان من الصعب تحقيق نبر المقطعين معاً على النحو الذي يكون عليـه النبر عند تحقيق السكت"[4]. والمقطعان هما: المقطع الذي ينتهي بالسـاكن المسـكوت عليـه، والمقطع الذي يبدأ بالهمزة.

---

(1) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/ ٢٣٣.

(2) السابق ١/ ٢٣٤.

(3) السابق ١/٢٣٢.

(4) تحليل الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب، د. سمير ستيتية ٢١.

أما في ما يتعلق باختيار الأئمة عن حمزة عدم السكت مطلقاً على صوت المد المتبوع بهمزة، فلأن المد في حقيقته الصوتية تحقيق للهمزة خشية خفائها، ولما كانت الهمزة قد حققت بالمد فليس من حاجة لتحقيقها من جديد بالسكت على صوت المد. ويوضح هذه الحقيقة ويؤكدها حمزة في النص المروي عنه من أن المد يجزي من السكت، وهذا في حقيقته يتفق وعلم الأصوات الحديث في تفسير هذه الظاهرة.

يقول ابن الجزري مبيناً سبب اختياره عدم السكت عن حمزة في صوت المد المتبوع بهمز: "واختياري عنه السكت في غير حرف المد جمعاً بين النص والأداء والقياس، فقد روينا عن خلف وخلاد وغيرهما عن سليم عن حمزة قال: إذا مددت الحرف فالمد يجزي من السكت. قال: وكان إذا مد ثم أتى بالهمز بعد المد لا يقف قبل الهمز"[1].

قال الحافظ أبو عمرو الداني: "وهذا الذي قاله حمزة من أن المد يجزي من السكت معنى حسن لطيف دالّ على وفور معرفته ونفاذ بصيرته، وذلك أن زيادة التمكين لحرف المد مع الهمزة، إنما هو بيان لها لخفائها وبعد مخرجها، فيقوى به على النطق بها محققة، وكذا السكوت على الساكن قبلها، إنما هو بيان لها أيضاً. فإذا بينت بزيادة التمكين لحرف المد قبلها لم تحتج أن تبين بالسكت عليه، وكفى المد من ذلك وأغنى عنه"[2].

ومع ذلك فإن ثمة وجهاً آخر مروياً عن حمزة، وهو النقل، وحقيقته الصوتية تتمثل في حذف الهمزة، ونقل حركتها إلى الصامت قبلها. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

هل أتاك ← هلتاك

هـ ـَ ل ء ـَ ت ـَ ـَ ك ← هـ ـَ ل ـَ ت ـَ ـَ ك.

hal?aták ← halaták

---

[1] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/ ٤٢٢.

[2] السابق، الصفحة نفسها.

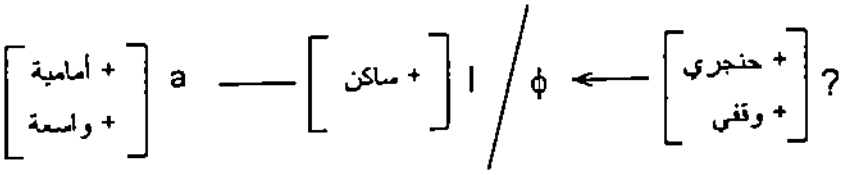

تسقط الهمزة في الموقع الذي تكون فيه مسبوقة بصامت، ومتبوعة بالحركة المعيارية الرابعة /a/[1].

وهذا الوجه يرد في السياقات الآتية:

١. إذا كانت الهمزة مسبوقة بصامت ساكن في كلمة واحدة نحو: "الأرض"، "الإنسان"، "القرآن" وشبهه. فهذا يجوز فيه وجهان هما: السكت والنقل، ولا يكون التحقيق (تحقيق الهمزة) إلا بالسكت[2].

ويمكن تحليل النقل في مثل هذا فونولوجياً كالآتي:

الأرض ← الرض

ـْـ ل ء ـْـ ر ض ← ـْـ ل ـْـ ر ض

al?ard ← alard

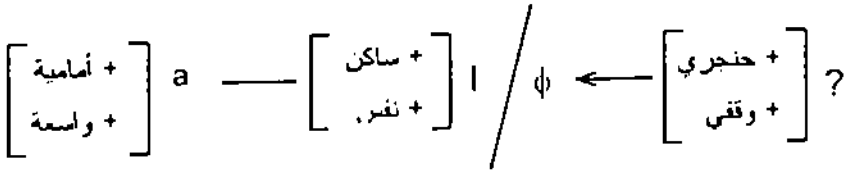

سقطت الهمزة /?/ في الموقع الذي جاءت فيه مسبوقة باللام /l/ ومتبوعة بالحركة المعيارية الرابعة /a/ في الكلمة نفسها.

ولما كان هذا ينطبق على كل همزة مسبوقة بصامت ساكن، ومتبوعة بحركة أمامية أم خلفية في كلمة واحدة، فإنه يمكن القول:

---

[1] انظر: تحليل الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب، د. سمير ستيتية ٢١.

[2] انظر: سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح ٨٠، والتذكرة في القراءات، ابن غلبون، المجلد الأول ١٦٦، ٢٠١-٢٠٢، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٤٢٧، ٤٧٣- ٤٨٦.

قاعدة:

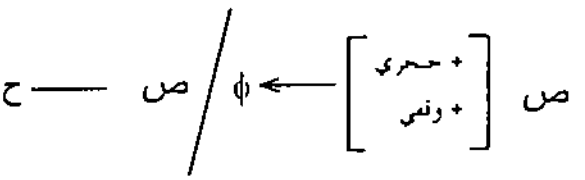

يسقط الصامت (الحنجري الوقفي) في الموقع الذي يكون فيه مسبوقاً بصامت، ومتبوعاً بالحركة (الأمامية أم الخلفية) في الكلمة نفسها.

٢. إذا كان آخر الكلمة صامتاً (غير ميم الجمع)، وكان أول الكلمة التي تليها همزة كما في: "قد أفلح"، "من آمن"، "هل أتاك" وشبهه، فهذا يجوز فيه السكت، ويجوز فيه نقل حركة الهمزة إلى الصامت الذي قبلها، ويجوز فيه التحقيق؛ أي بلا سكت ولا نقل[1]. ويمكن تحليل النقل في مثل هذا فونولوجياً كالآتي:

قد أفلح ← قد فلح

ق ـْ د ء ـَ ف ل ـَ ح ← ق ـَ د ـَ ف ل ـَ ح

Gad?aflaħ ← Gadaflaħ

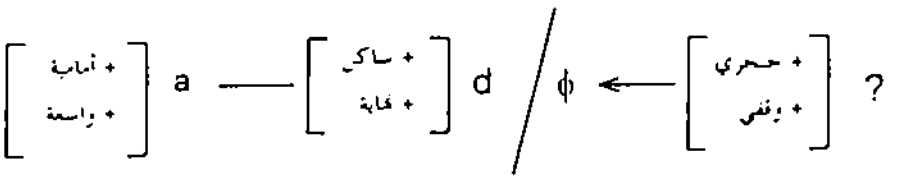

سقطت الهمزة /?/ في الموقع الذي جاء فيه في بداية كلمة مسبوقة بالدال /d/ في نهاية كلمة أخرى، ومتبوعة بالحركة المعيارية الرابعة /a/.

وينطبق هذا على كل همزة تأتي في بداية كلمة متبوعة بحركة، ومسبوقة بصامت في نهاية كلمة ثانية، ولهذا فإنه يمكن القول:

---

[1] انظر: سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح ٨٠-٨١، والتذكرة في القراءات، ابن غلبون، المجلد الأول ١٩٦، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٤٢٧.

قاعدة:

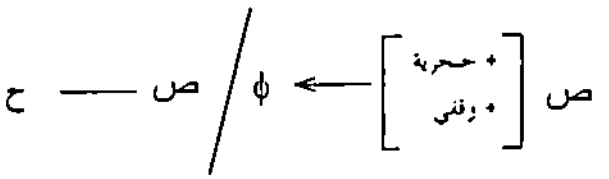

يسقط الصامت (الحنجري الوقفي) في الموقع الذي يكون فيه في بداية كلمة متبوعاً بحركة، ومسبوقاً بصامت ساكن في نهاية كلمة أخرى.

٣. إذا كان آخر الكلمة نصف حركة، وأول الكلمة التي بعدها همزة، وذلك نحو: "ابني آدم"، "خلوا إلى"، فالنقل هو المروي عن حمزة[١]. أي أن السكت على الواو أو الياء غير جائز، فتسقط الهمزة، وتنقل حركتها إلى نصف الحركة التي قبلها[٢]. ويمكن توضيح ذلك فونولوجياً كالآتي:

خلوا إلى ← خلو لى

خ ـَ ل ـَ و ء ـِ ل ـَ ← خ ـَ ل ـَ و ـِ ل ـَ

xalaw?ilá ← xalawilá

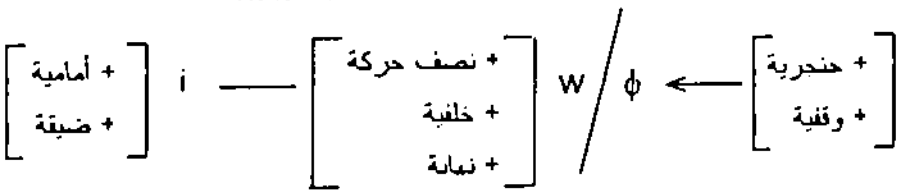

سقطت الهمزة /?/ في الموقع الذي جاءت فيه في بداية الكلمة، متبوعة بالحركة المعيارية الأولى /i / ومسبوقة بنصف الحركة الخلفية /w/ في نهاية كملة أخرى.

ولما كان هذا ينطبق على كل همزة تأتي في بداية كملة متبوعة بحركة، ومسبوقة بنصف حركة في نهاية كلمة أخرى، فإنه يمكن القول:

---

[١] انظر: سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح ٨١، والتذكرة في القراءات، ابن غلبون، المجلد الأول ١٦٦، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٤٢٠.

[٢] تحليل الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب، د. سمير ستيتية ٢٢.

قاعدة:

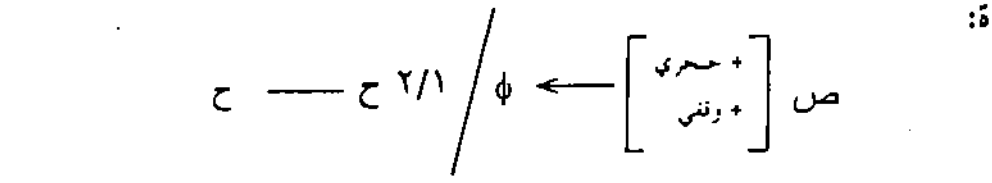

يسقط الصامت (الحنجري) في الموقع الذي يكون فيه في بداية الكلمة متبوعاً بحركة ومسبوقاً بنصف حركة في نهاية كلمة أخرى.

٤. إذا كان في آخر الكلمة ميم الجمع، وكان أول الكلمة التالية همزة، وذلك نحو: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾[١]، ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾[٢]، فهذا فيه ثلاثة أوجه هي[٣]:

أ. أن تسقط الهمزة، وتنقل حركتها (سواء أكانت فتحة أم ضمة أم كسرة) إلى ميم الجمع، ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالأتي:

منهم أميون ← ومنهم ميون

م ـِ ن هـ ـُ م ء ـُ م م ـِ ي ى ـُ ـْ ن ← م ـِ ن هـ ـُ م ـُ م م ـِ ي ي ـُ ـْ ن

Minhum?ummiyyún ← Minhumummiyyún

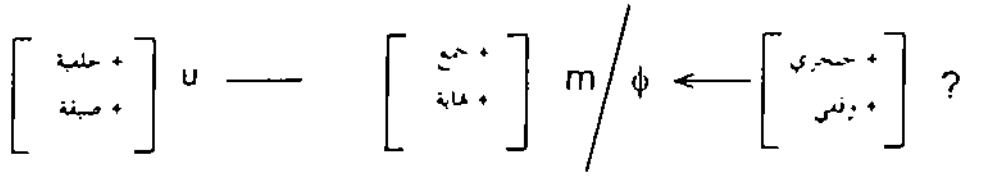

سقطت الهمزة /?/ في الموقع الذي جاءت فيه في بداية الكلمة متبوعة بالحركة المعيارية الثامنة /u/ ومسبوقة بميم الجمع /m/ في نهاية كلمة أخرى.

ومن هنا يمكن القول:

---

[١] سورة البقرة: ٧٨.

[٢] سورة آل عمران: ٨١.

[٣] انظر: سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح ٧٩، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٤٤١-٤٤٢، وتحليل الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب، د. سمير ستيتية ٢٣.

قاعدة:

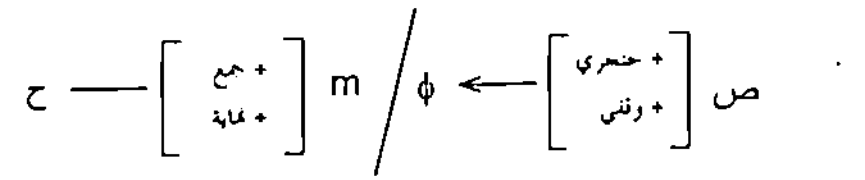

يسقط الصامت (الحنجري الوقفي) في الموقع الذي يكون فيه في بداية الكلمة متبوعاً بحركة، ومسبوقاً بميم الجمع في نهاية كلمة أخرى.

ب. أن تضم الميم مطلقاً، وذلك بغض النظر عن حركة الهمزة، ويمكن توضيح ذلك فونولوجياً كالآتي:

ذلكم إصري ← ذلكمو اصري.

ذ ـَ ـَ ل ـِ ك ـُ م ء ـِ ص ر ـِ ـِ ← ذ ـَ ـَ ل ـِ ك ـُ م ـُ ص ر ـِ ـِ

ḏálikum?iṣri ← ḏálikumuṣri

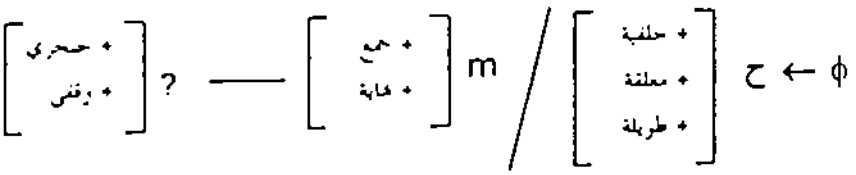

تضم ميم الجمع في الموقع الذي تكون فيه في آخر الكلمة متبوعة بالهمزة في بداية الكلمة التالية.

وقد قالوا في تعليل إلحاق الضم بميم الجمع: "حذراً من تحريك الميم بغير حركتها الأصلية"[1].

ج. النقل في الضم والكسر دون الفتح من أجل ألا يختلط بلفظ التثنية، ويمكن تمثيل هذا بالمعادلة الآتية:

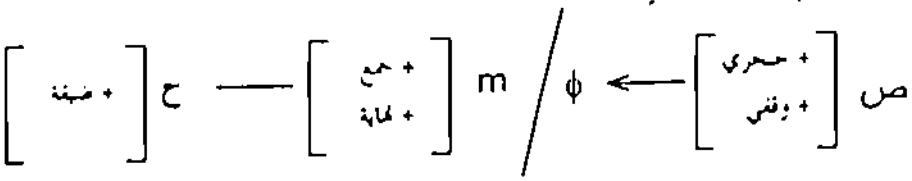

---

[1] سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح ٧٩.

تسقط الهمزة (الصامت الحنجري الوقفي) في الموقع الذي تكون فيه في بداية الكلمة متبوعة بالحركة الضيقة (الأمامية أو الخلفية) ومسبوقة بميم الجمع في نهاية كلمة أخرى.

إن إسقاط الهمزة ونقل حركتها إلى الساكن الذي يسبقها من أساليب العرب في التعامل مع الهمزة، فبعض العرب يحققون الهمزة، وبعضهم يحذفها، وبعضهم يبدلها حركة أو نصف حركة، قال خلف: "وقريش لا تهمز، وإنما همزت القراء بلغة غير قريش من العرب"[1]، والهمز لغة البادية كتميم وقيس وغيرها[2]، فإذا كان التحقيق يحتاج إلى مجهود عضلي كبير، فإن مثل هذا المجهود لا يستطيع أن يقوم به ويؤديه ويحافظ عليه إلا من كان قد ألف حياة البادية بما فيها من صعوبة ومشقة، لذا كان من الأنسب للبدوي أن يحقق الهمزة، وأن ينطق بها نطقاً كاملاً.

وقال ابن الجزري: "واعلم أنه من كانت لغته تخفيف الهمز، فإنه لا ينطق بالهمز إلا في الابتداء، والقصد أن تخفيف الهمز ليس بمنكر ولا غريب، فما أحد من القراء إلا وقد ورد عنه تخفيف الهمز، إما عموماً، وإما خصوصاً"[3].

الوقف

وهو قطع الصوت زمناً يتنفس فيه عادة، بنية استئناف القراءة[4]، أي أن يقطع القارئ صوته أثناء القراءة زمناً معيناً يتنفس فيه ليستأنف بعد ذلك القراءة. ومقداره هو الزمن اللازم لاستنشاق هواء جديد، وهو أطول من زمن السكت. واستئناف القراءة يكون بناءً على الكلمة الموقوف عليها كما تقدم بيانه في الحديث عن أقسام الوقف بشكل عام.

---

[1] إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزوجل، ابن الأنباري ١/ ٣٩٢.

[2] انظر: المزهر، جلال الدين السيوطي ٢/ ٢٧٦-٢٧٧.

[3] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/ ٤٢٩.

[4] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/ ٢٤٠، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١/ ١٦٥.

يأتي الوقف في رؤوس الآي وأوساطها، وذلك نحو الوقف على قوله تعالى: "بسم الله الرحمن الرحيم" ثم على "الحمد لله رب العالمين" ثم على "مالك يوم الدين"، وشبهه من رؤوس الآي طالما كان ذلك ممكناً، وكذلك الوقف على "منا" في قوله تعالى "ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم" وعلى "الحمد لله" وشبهه مما جاء في أوساط الآي طالما كان ذلك ممكناً. وتنبغي البسملة مع الوقف في فواتح السور[1].

اتفقت الرواة عن حمزة أنه كان يقف عند انقطاع النفس، فقيل: لأن قراءته التحقيق والمد الطويل، فلا يبلغ نفس القارئ إلى وقف التمام ولا إلى الكافي، يقول ابن الجزري[2]: "وعندي أن ذلك من أجل كون القرآن عنده كالسورة الواحدة، فلم يكن يتعمد وقفاً معيناً، ولذلك آثر وصل السورة بالسورة، فلو كان من أجل التحقيق لآثر القطع على آخر السورة"[3].

وتميزت قراءة حمزة بأنها عند الوقف على كلمات مهموزة فإنها تبدل الهمزة حركة أو نصف حركة، أو أنها تسهلها "بين بين" جاء في الكشف: "تفرد حمزة بتخفيف كل همزة متوسطة أو متطرفة إذا وقف خاصة"[4]، وجاء في الإقناع: "جاءت الرواية عن حمزة بتخفيف المتطرفة والمتوسطة والمبتدئة إذا نزلت منزلة المتوسطة"[5]. وجاء في التذكرة: "اعلم أن حمزة كان يترك الهمزة المتوسطة والمتطرفة إذا وقف على الكلمة التي هما فيهما"[6].

---

[1] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/ ٢٤٠، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ابن البنا ١/ ١٦٥.

[2] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/ ٢٣٨.

[3] السابق، الصفحة نفسها.

[4] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/ ٩٥.

[5] الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش، المجلد الأول ١٩٧.

[6] التذكرة في القراءات، ابن غلبون ١/٤١٤، وانظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/ ٢٤٠.

والهمزة المتطرفة هي التي ليس بعدها شيء من الأصوات الثابتة في الوقف، وهي لا بد وأن تكون ساكنة؛ لأنها إن كانت متحركة في الوصل فالوقف يوجب سكونها[1]. أما ما قبلها فقد يكون ساكناً وقد يكون متحركاً، وذلك نحو: ﴿ٱقْرَأْ﴾[2]، ﴿يَشَآءُ﴾[3]، ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ﴾[4]، ﴿قُرُوٓءٍ﴾[5]، ﴿ٱلْخَبْءَ﴾[6]، ﴿ٱلسَّوْءِ﴾[7]، ﴿شَيْءٍ﴾[8]، وشبهه.

أما الهمزة المتوسطة، فهي التي تكون عيناً للفعل، أو لاماً له واتصل بها ضمير أخرجها عن الطرف، أو فاء ودخل عليها حرف زيادة فصيرها متوسطة[9]. وتكون هذه الهمزة ساكنة كما تكون متحركة، ويكون ما قبلها ساكناً كما يكون متحركاً، وذلك نحو: ﴿هَنِيٓـًٔا﴾[10]، ﴿يُسْـَٔلُونَ﴾[11]، ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[12]، ﴿شَيْـًٔا﴾[13]، ﴿سِيٓـَٔتْ﴾[14]، ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾[15]،

---

[1] انظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ١/٤١٤.

[2] سورة العلق: ١.

[3] سورة البقرة: ٩٠.

[4] سورة التوبة: ٣٧.

[5] سورة البقرة: ٢٢٨.

[6] سورة النمل: ٢٥.

[7] سورة التوبة: ٩٨.

[8] سورة البقرة: ٢٠.

[9] الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ١/٤٢٥.

[10] سورة النساء: ٤.

[11] سورة الأنبياء: ٢٣.

[12] سورة البقرة: ٢٨٥.

[13] سورة البقرة: ٤٨.

[14] سورة الملك: ٢٧.

[15] سورة البلد: ٢٠.

"خَطِيٓـَٔةً"[1]، "خَآئِفِينَ"[2]، "سَأَلَ"[3]، "يَـُٔودُهُۥ"[4]، "ٱلذِّئْبُ"[5]، "فِتْنَةٌ"[6]، "يَأْخُذْ"[7]، "سَنُقْرِئُكَ"[8]، وشبهه[9].

وتميزت قراءة حمزة بأنها عند الوقف على كلمات مهموزة تبدل الهمزة حركة أو نصف حركة، أو أنها تسهلها "بين بين" وهذه الظاهرة من أهم الظواهر الصوتية في هذه القراءة، بل هي في نظر بعض العلماء من المشكلات التي يحتاج النظر فيها إلى دراية وتعمق، قال ابن الجزري: "وهو باب مشكل يحتاج إلى معرفة في تحقيق مذاهب العربية، وأحكام رسم المصاحف العثمانية، وتمييز الرواية، وإتقان الدراية"[10]، وقال الحافظ أبو شامة: "هذا الباب من أصعب الأبواب نظماً ونثراً في تمهيد قواعده وفهم مقاصده"[11]. وفي ما يأتي صور إبدال الهمزة عند الوقف في قراءة حمزة:

١. إبدال الهمزة ضمة:

قرأ حمزة "لن نؤمن لك"، "المؤمنون"، "مؤصدة" عند الوقف: "لن نومن لك"، "المومنون"، "موصدة"، بإبدال الهمزة ضمة بسبب وجود الضمة التي قبلها. وقد كان العلماء السابقون

---

[1] سورة النساء: ١١٢.

[2] سورة البقرة: ١١٤.

[3] سورة المعارج: ١.

[4] سورة البقرة: ٢٥٥.

[5] سورة يوسف: ١٣.

[6] سورة البقرة: ٢٤٩.

[7] سورة الكهف: ٧٩.

[8] سورة الأعلى: ٦

[9] انظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ١/٤١٤ - ٤٣٣، والتذكرة في القراءات، ابن غلبون، المجلد الأول ١٩٧-٢٦، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٤٣٠-٤٤٠.

[10] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٤٢٨.

[11] السابق، الصفحة نفسها.

٢. إبدال الهمزة فتحة:

قرأ حمزة "يأخذ" "رأسه"[١]، "كأس"[٢] عند الوقف: "ياخذ"، "راسه"، "كاس" بإبدال الهمزة في هذه الكلمات وشبهها، بسبب وجود الكسرة قبلها لا ألف مد كما تصور السابقون[٣]، ظناً منهم بوجود فتحة قبل الألف وسابقة لها مباشرة. وبإبدال الهمزة فتحة تحولت الفتحتان (الفتحة السابقة للهمزة، والفتحة التي أبدلت من الهمزة) إلى فتحة طويلة هي ألف المد. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

رأسه ← راسه

ر ـــ ء س ـــ هـ ← ر ـــ ـــ س ـــ هـ

Ra?sah ← Rásah

$$? \begin{bmatrix} +\text{حنجري} \\ +\text{وقفي} \end{bmatrix} \longleftarrow a \Big/ \begin{bmatrix} +\text{أمامية} \\ +\text{واسعة} \end{bmatrix} ____ \begin{bmatrix} +\text{أمامية} \\ +\text{واسعة} \end{bmatrix}$$

أبدلت الهمزة /?/ بالحركة المعيارية الرابعة [a] في الموقع الذي جاءت فيه مسبوقة بالحركة المعيارية الرابعة /a/.

وينطبق هذا على كل همزة مسبوقة بفتح، لهذا يمكن القول:

قاعدة:[٤]

$$ص \begin{bmatrix} +\text{حنجري} \\ +\text{وقفي} \end{bmatrix} \longleftarrow ح \Big/ \begin{bmatrix} +\text{أمامية} \\ +\text{واسعة} \end{bmatrix} ____ \begin{bmatrix} +\text{أمامية} \\ +\text{واسعة} \end{bmatrix} ح$$

---

[١] سورة البقرة: ١٩٦.

[٢] سورة الواقعة: ١٨٠.

[٣] انظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ١/٤٢٥ - ٤٢٦، والتذكرة في القراءات، ابن غلبون، المجلد الأول ٩٨، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/ ٤٣٠.

[٤] تحليل الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب، د. سمير ستيتية ٢٧.

يبدل الصامت (الحنجري الوقفي) بالحركة (الخلفية الضيقة) في الموقع الذي يكون فيه مسبوقاً بالحركة (الخلفية الضيقة).

٣. إبدال الهمزة كسرة:

قرأ حمزة "الذئب"، "بئر"، "بئس"[١] عند الوقف: "الذيب"، "بير"، "بيس" بإبدال الهمزة في هذه الكلمات وشبهها كسرة بسبب وجود كسرة قبلها[٢]، فأصبحت مع الكسرة التي تسبقها كسرة واحدة طويلة هي ياء المد، وهذا يعني عدم صحة القول أن الهمزة قلبت ياء مد[٣]. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

بئس ← بيس

ب ـِ ء س ← ب ـِ ـْ س

Bi?s ← Bis

$$? \begin{bmatrix} + \text{حنجري} \\ + \text{وقفي} \end{bmatrix} \longrightarrow i \Big/ \begin{bmatrix} + \text{أمامية} \\ + \text{ضيقة} \end{bmatrix} ___ \begin{bmatrix} + \text{أمامية} \\ + \text{ضيقة} \end{bmatrix}$$

أبدلت الهمزة /?/ بالحركة المعيارية الأولى [i] في الموقع الذي جاءت فيه مسبوقة بالحركة المعيارية الأولى /i/.

وبناء على ما سبق ولكونه ينطبق على كل همزة مسبوقة، بكسر فإنه يمكن القول:

قاعدة:[٤]

$$\text{ص} \begin{bmatrix} + \text{حنجري} \\ + \text{وقفي} \end{bmatrix} \longrightarrow \text{ح} \Big/ \begin{bmatrix} + \text{أمامية} \\ + \text{ضيقة} \end{bmatrix} \text{ح} ___ \begin{bmatrix} + \text{أمامية} \\ + \text{ضيقة} \end{bmatrix}$$

---

[١] سورة البقرة: ١٢٦.

[٢] انظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ١/٤٢٥ - ٤٢٦، والتذكرة في القراءات، ابن غلبون، المجلد الأول ١٩٨، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٤٣٠.

[٣] تحليل الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب، د. سمير ستيتية ٢٧.

[٤] السابق ٢٨.

يبدل الصامت (الحنجري الوقفي) بالحركة (الأمامية الضيقة) في الموقع الذي يكون فيه مسبوقاً بالحركة (الأمامية الضيقة).

٤. إبدال الهمزة واواً (نصف حركة):

قرأ حمزة "يؤيد"، "مؤجلاً"[١]، "المؤلفة"[٢] عند الوقف: "يويد"، "موجلاً"، "المولفة" بإبدال الهمزة في هذه الكلمات وشبهها واواً نصف حركة، وذلك لأنها سبقت بضم[٣]. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

يؤيد ← يويد

ي ـ ُ ـ ء ـ ي ي ـ د ← ي ـ ُ ـ و ـ ي ي ـ د

yu?ayyid ← yuwayyid

$$\left[\begin{array}{l}\text{+ حنجري}\\ \text{+ وقفي}\end{array}\right] ? \longrightarrow \left[\begin{array}{l}\text{+ نصف حركة}\\ \text{+ حلقية}\end{array}\right] w \;/\; u \left[\begin{array}{l}\text{+ حلقية}\\ \text{+ ضيقة}\end{array}\right] ____$$

أبدلت الهمزة /?/ بنصف الحركة الخلفية [w] في الموقع الذي جاءت فيه مسبوقة بالحركة المعيارية الثامنة /u/.

ويمثل هذا التحول كل همزة مسبوقة بضم، لهذا يمكن القول:

قاعدة:[٤]

$$\text{ص}\left[\begin{array}{l}\text{+ حنجري}\\ \text{+ وقفي}\end{array}\right] \longrightarrow ٢/١\text{ح}\left[\begin{array}{l}\text{+ حلقية}\end{array}\right] \;/\; \text{ح}\left[\begin{array}{l}\text{+ حلقية}\end{array}\right] ____$$

---

[١] سورة آل عمران: ١٤٥.

[٢] سورة التوبة: ٦٠.

[٣] انظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ١/٤٢٩-٤٣٠، والتذكرة في القراءات، ابن غلبون، المجلد الأول ١٩٣، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٤٣٧-٤٣٨.

[٤] تحليل الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب، د. سمير ستيتية ٢٨.

يبدل الصامت (الحنجري الوقفي) بنصف الحركة (الخلفية) في الموقع الذي يكون فيه مسبوقاً بالحركة (الخلفية الضيقة).

٥. إبدال الهمزة ياء (نصف حركة):

قرأ حمزة "فئة"، "فئتكم"[١]، "شانئك" عند الوقف: "فيه"، "فيتكم"، "شانيك" بإبدال الهمزة في هذه الكلمات وشبهها ياء نصف حركة، وذلك لأنها سبقت بكسر[٢]. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

فئة ← فية

ف ـ ء ـ هـ ← ف ـ ي ـ هـ

Fi?ah ← Fiyah

$$? \begin{bmatrix} + \text{حنجري} \\ + \text{وقفي} \end{bmatrix} \longrightarrow \text{ح}٢/١ \begin{bmatrix} + \text{أمامية} \end{bmatrix} \Big/ \text{i} \begin{bmatrix} + \text{أمامية} \\ + \text{ضيقة} \end{bmatrix} \text{——}$$

أبدلت الهمزة /?/ بنصف الحركة الأمامية [y] في الموقع الذي جاءت فيه مسبوقة بالحركة المعيارية الثامنة /u/.

ويمثل هذا التحول كل همزة مسبوقة بكسر، لهذا يمكن القول:

قاعدة:[٣]

$$\text{ص} \begin{bmatrix} + \text{حنجري} \\ + \text{وقفي} \end{bmatrix} \longrightarrow \text{ح}٢/١ \begin{bmatrix} + \text{أمامية} \end{bmatrix} \Big/ \text{ح} \begin{bmatrix} + \text{أمامية} \\ + \text{ضيقة} \end{bmatrix} \text{——}$$

---

[١] سورة الأنفال: ١٩.

[٢] انظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ١/٤٢٩-٤٣٠، والتذكرة في القراءات، ابن غلبون المجلد الأول ٢٠٥، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٤٣٧-٤٣٨.

[٣] تحليل الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب، د. سمير ستيتية ٢٩.

يبدل الصامت (الحنجري الوقفي) بنصف الحركة (الأمامية) في الموقع الذي يكون فيه مسبوقاً بالحركة (الأمامية الضيقة).

٦. التسهيل "بين بين":

قرأ حمزة "جاءوا"[١]، "شركاؤهم"[٢]، "أولياءه"، "الملائكة" "يا أيها"[٣]، "تساؤكم"[٤]، "سواء"[٥]، "يشاء"، "القائمين"[٦] عند الوقف بتخفيف الهمزة وتسهيلها "بين بين"[٧]. والحقيقة أن الذي سماه العلماء تسهيل "بين بين" هو في حقيقته الصوتية إسقاط للهمزة مع الإبقاء على حركتها[٨]. ويمكن تحليل ذلك فونولوجياً كالآتي:

ش ـُ ر ـَ ك ـَ ـَ ء ـُ هـ ـُ م ← ش ـُ ر ـَ ك ـَ ـَ ـُ هـ ـُ م

šuraká?uhum ← šurakáuhum

? [+ حنجري, + وقفي] ← ϕ / á ——— [+ أمامية, + واسعة, + طويلة] u [+ حلقي, + ضيق]

سقطت الهمزة /?/ في الموقع الذي جاءت فيه مسبوقة بالحركة المعيارية الرابعة /á/ ومتبوعة بالحركة المعيارية الثامنة /u/.

---

[١] سورة يوسف: ١٨.

[٢] سورة يونس: ٢٨.

[٣] سورة البقرة: ١٨٣.

[٤] سورة البقرة: ٢٢٣.

[٥] سورة البقرة: ٦.

[٦] سورة الحج: ٢٦.

[٧] انظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش ١/٤٢٨، والتذكرة في القراءات، ابن غلبون، المجلد الأول ٢٠٢-٢٠٤، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/٤٣٣.

[٨] تحليل الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب، د. سمير ستيتية ٢٩.

٥٣٥٠٢٧

وينطبق هذا على كل همزة مسبوقة بألف، ومتبوعة بحركة (سواء أكانت ضمة أم فتحة أم كسرة) إذ تسقط الهمزة ويبقى على حركتها. ولهذا فإنه يمكن القول:

قاعدة:

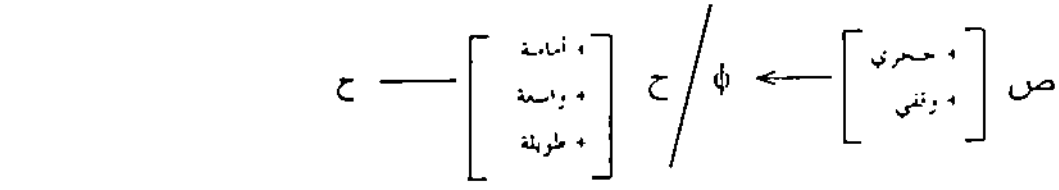

يسقط الصامت (الحنجري الوقفي) في الموقع الذي يكون فيه مسبوقاً بالحركة (الأمامية الواسعة الطويلة) ومتبوعاً بالحركة (ضمة، فتحة، كسرة).

هذه هي التغيرات والتحولات الصوتية التي تطرأ على صوت الهمزة عند الوقف في قراءة حمزة، وقد شكلت له -وكما في السكت- منهجاً خاصاً عرف به وتميز، وافقه في كثير منه ابن هشام في بعض طرقه، الأمر الذي دفع علماء القراءات إلى إفراد باب خاص أطلقوا عليه "مذهب حمزة وهشام في الوقف على الهمز".

ومن الجدير بالذكر أن هذه التحولات الصوتية التي طرأت على الهمزة في قراءة حمزة لا تكون إلا في الوقف؛ أما في حالة الوصل فإنه يؤثر تحقيقها (الهمزة) إلا في بعض الكلمات، والتي عرض لها في فصل المماثلة.

ومما لا شك فيه أن كثيراً من عمليات التحول الصوتي السابقة للهمزة ما هي إلا صوراً من صور المماثلة بين الأصوات، وهي تمثل المماثلة بين الحركات، والمماثلة بين الحركات وأنصاف الحركات، فإبدال الهمزة حركة أو نصف حركة، أو إسقاط الهمزة ونقل حركتها إلى ما قبلها في كثير من الكلمات، لا تكون إلا لإحداث مماثلة للحركة أو نصف الحركة التي تسبق الهمزة. فالهمزة في "الذئب" عندما تبدل بالكسرة، فإن ذلك لا يكون إلا لمماثلة الكسرة التي قبلها، وإسقاط الهمزة في مثل (شركاؤكم) لا يكون إلا لمماثلة الحركة التي سبقتها، وهي ألف المد. إلا أن دراستها منفصلة، لا في فصل المماثلة، لأن ذلك التغير طارئ عارض في قراءة حمزة لا يتم

إلا عند الوقف فقط. فهو تغير غير مستقر[1]، لذلك فإن ما أتى من هذه الصور في فصل المماثلة كان مما جاء مستقراً، أي في الوقف والوصل.

ومن هنا فقد ذهب حمزة في قراءته إلى اختيار الوجوه التي تعامل بها العرب الهمزة[2].

يقول مكي بن أبي طالب: "اعلم أن الهمزة في التخفيف لحمزة تجري على ثلاثة أوجه الأول: البدل، وذلك في الساكنة، وفي المفتوحة التي قبلها ضمة أو كسرة، وفي المتحركة التي قبلها حرف مد ولين زائد غير الألف، أو غير زائد، أو حرف لين، فهذا كله يجري على البدل. الثاني: إلقاء الحركة، وذلك إن كان قبل الهمزة ساكن غير ألف وغير حرف مد ولين زائد، فهذا تلقى فيه حركة الهمزة على ما قبلها، فيتحرك ما قبلها بحركتها أو تحذفها. الثالث: بين بين، وذلك في كل همزة متحركة قبلها ألف أو حرف متحرك، إلا المفتوحة التي قبلها ضمة أو كسرة، فإنها تجري على البدل"[3].

---

[1] تحليل الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب، د. سمير ستيتية ٣٠.

[2] السابق ٢٥.

[3] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ١/١١٥.

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة التي قضاها الباحث مع الإمام الجليل الحافظ الثبت حمزة بن حبيب، والتي طوّف فيها مع حياته، وعلمه ودرايته، وقراءته، وتعرض فيها لدراسة الظواهر الصوتية في تلك القراءة، واستنبط تلك القواعد والأسس التي ترجع إليها، حتى تكون واضحة الطريق، بينة المعالم في أسلوبها العلمي الدقيق. لا بد من إبراز النتائج التي توصل إليها البحث، والتي يمكن إيجازها في ما هو آت:

- ناقش البحث أقوال العلماء في قراءته، وانتهى إلى أن ما وجه لها من نقد غير موضوعي، وأن القراءة ليس فيها ما يخرجها عن دائرة القراءات الصحيحة، بل على العكس من ذلك، إذ تتوافر فيها جميع مقومات القراءة الصحيحة، ولا سيّما تواترها، واتصال سندها برسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد انعقد الإجماع على تلقيها بالقبول.
- تشكل المماثلة في هذه القراءة أبرز الظواهر اللغوية التي تحتكم إليها التغيرات الصوتية التي تطرأ على الأصوات المتجاورة في النسق الكلامي.
- عرف المتقدمون المماثلة بأشكالها المختلفة، وتحدثوا عنها في دراساتهم وبحوثهم، مستخدمين في ذلك مصطلحات قريبة من لفظة المماثلة مثل: التقريب، والمقاربة، والمضارعة... وكانت جهودهم في هذا المضمار الأساس الذي بنى عليه المحدثون دراستهم لهذه الظاهرة.
- أخذت المماثلة أشكالاً مختلفة في قراءة حمزة، فكانت بين الحركات، كما كانت بين الصوامت، وبرزت بين الصوامت في المماثلة بين الجهر والهمس، والإدغام، والذي احتلّ النصيب الأكبر في قراءته، فتضمن إدغام صوت وقفي في آخر وقفي، وصوت وقفي في

آخر استمراري، وصوت استمراريّ في آخر استمراري، وصوت استمراري في آخر وقفيّ.

- كانت الممالة عند حمزة، وبصورها المختلفة، مما اقره المتقدمون، وجوزته الدراسات الصوتية الحديثة.
- اختلف المتقدمون في أصالة الإمالة وفرعيتها، فمنهم من قال بأصالة الفتح وفرعيّة الإمالة، ومنهم من قال بأصالتهما معاً، وانتهى البحث إلى ترجيح الرأي القائل بأصالة الفتح وفرعيّة الإمالة، لما ذكر من أسباب أهمها أنّه ليس كل ما يفتح يمال، ثم أن الإمالة لسبب، وهو التسهيل النطقي أو الانسجام، فتكون بذلك قد أخذت صورة فرعيّة عن الأصل.
- تفرد حمزة بالإمالة الشديدة، ولم يضارعه فيها إلا ورش، كما تفرد بإمالة بعض الكلمات مثل: أتيك، ضعافاً، وعينات الأفعال العشرة: جاء، وشاء، وزاد، وخاف، وطاب، وخلب، وحاق، وضاق، وزاغ، وران.
- ينقسم العلماء في تعليلهم المدّ مع الهمز إلى قسمين، قسم يرى أنه تقوية للهمزة، وقسم آخر يرى أنه تقوية لصوت المدّ. وأخذ الباحث بالرأي القائل بأنه تقوية للهمزة، وهذا ما تثبته الدراسات الصوتيّة الحديثة. أمّا المدّ مع الساكن، فقد اتفق العلماء على أنّه يكون لمنع التقاء الساكنين.
- الوقف والسكت من الظواهر اللغويّة البارزة التي عني بها علماء اللغة والقراءات، فقد فصلوا الحديث فيهما، فذكروا تعريفهما، وأقسامهما، وعللهما.
- كانت تعليلات المتقدمين للظواهر الصوتيّة السابقة المختلفة قائمة على افتراضات، اتفقت في كثير منها مع الدراسات الصوتيّة الحديثة، واختلفت في بعضها، ومما اختلفت فيه:

أ. افتراضهم وجود حركة من جنس صوت المد وسابقة له، فتسبق الألف فتحة قصيرة، كما تسبق الياء كسرة قصيرة، والواو ضمّة قصيرة. وهذا الافتراض ترفضه الدراسات الصوتية الحديثة، إذ إن الألف أو الواو، أو الياء، ما هي إلا حركات طويلة للأصوات التي تسبقها.

ب. افتراضهم أن اللسان ينحدر (يتسفّل) في الكسر، ويرتفع (يتصعد) بالفتح. والحقيقة أن في الفتح التسفل، وفي الكسر التصعّد.

ج. افتراض بعضهم أن الهمزة صوت قوي، وصعب، وواضح، وأن أصوات المدّ خفيّة. والحقيقة أن الهمزة صوت خفي بعيد المخرج، وأصوات المدّ ظاهرة، واضحة، بل هي أقوى الأصوات وضوحاً في السمع.

- انتهى البحث إلى أنّ الدراسات الصوتية الحديثة أكثر دقة في تفسير الظواهر الصوتيّة المختلفة، وذلك بما هيّأته لها الأنظمة التكنولوجية المتطورة، ومختبرات الأصوات من إمكانيات جعلتها تتجاوز الملاحظة الذاتية، والتي قد لا تسعف في بعض الأحيان في فهم الحقائق الصوتية المختلفة.

الملخص

الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب الزيات

دراسة فونولوجية

يتناول هذا البحث بالدراسة إحدى القراءات القرآنية السبع المتواترة، وهي قراءة حمزة ابن حبيب الزيات، دراسة فونولوجية، تعمد إلى تحليل ظواهرها الصوتية، وفق آراء المتقدمين، ومعطيات علم الأصوات الحديث.

وقد درس البحث هذه القراءة في فصول خمسة، اختص الفصل الأول منها بدراسة حياة حمزة، بما تشمله من حديث عن نسبه، ومولده، ووفاته، وأخلاقه ونسكه، ثم علمه ودرايته، ومعارفه، وشيوخه، وتلاميذه، وبعد ذلك قراءته، إسنادها، وموقف السلف منها، وراوييه.

أما الفصول الأربعة الأخرى، فقد عنيت بدراسة الظواهر الصوتية في قراءة حمزة وتحليلها. فتناول الفصل الثاني ظاهرة المماثلة، ووضح العديد من الجوانب التي تخصها، وأبرزها تعريفها، وبيان أقسامها وأشكالها، ثم مواضع وجودها في هذه القراءة، ومنهج حمزة في ذلك.

ودرس الفصل الثالث ظاهرة الإمالة، وتوسع في الحديث عنها من حيث تعريفها، وعلاقتها بالفتح، وأنواعها، ودرجاتها، وغرضها، وأصولها في اللهجات العربية القديمة، وأصالتها وفرعيتها، وموانعها، ثم مواطنها في قراءة حمزة، ومنهجه في ذلك.

أما الفصل الرابع، فقد تناول ظاهرة المد من خلال تعريفها، وبيـــان سـببها وعلتـــها، وأقسامها، والتي يعرض من خلالها لمواطن هذه الظاهرة في قراءة حمزة، ومنهجه في ذلك.

وتناول الفصل الخامس والأخير ظاهرتي الوقف والسكت من حيث تعريفها، وأقســامها، وعلتهما، ثم مواضعهما في قراءة حمزة، ومنهجه في ذلك.

وقد تضمن الحديث في هذا البحث آراء وتفسيرات وتوجيهات خاصة بالباحث، اتفقت في بعضها مع آراء العلماء، واختلفت في بعضها الأخر. وقد استخدم الباحث المعادلات الفونولوجية في تفسير الظواهر الصوتية المختلفة.

THE PHONOLOGICAL PHENOMENA IN THE RECITATION OF HAMZEH IBN HABEEB AL-ZAYYAT

ABSTRACT

BY
MASHAL SULIEMAN AL-KHWALDEH
THE ADVISOR
PROFESSOR SAMIR STEITIYA

This dissertation aims at studying the acoustic and Phonological Processes in Hamzah Bin Al-Zayyat's Recitation which has been considered one of the great seven recitations of Al-Qur?an.

The study consists of the five chapters: Chapter one studies Hamzah Bin Al-Zayyat's Life, scholarship, methodology, writings in different fields, his colleagues and his students. Moreover, it studies his recitation, its origin, ancesstors, opinions and its two narrators.

. The other four chapters study the phonological phenomena in this recitation and its analysis. Chapter two studies the assimilation and explaines many aspects of this phenomena mainly its definition, types, factors, environments and Hamzah's methodology in this.

Chapter three discusses the so-called ?imala in Arabic in general and in this recitation in particular. It was studied thoroughly in terms of its definition, types, degrees, origins, and environments.

Chapter Four studies the so-called madd in Arabic in general and in Hamzah's recitation in particular. This chapter discusses in detail the definition of madd, types, environments and reasons.

Chapter five studies the so-called Waqf and Sakt in Arabic in general an in this study in particular. It studies the definitions of Waqf and Sakt, types, reasons, environments and Hamzah's methodology in this.

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.

٢. إبراز المعاني من حرز الأماني، أبو شامة شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل. تحقيق وتقديم وضبط: إبراهيم عطوة عوض (القاهرة، مصطفى البابي الحلبي، ١٩٨٢).

٣. إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد البنا الشافعي الدمياطي. تحقيق وتقديم: د. شعبان محمد إسماعيل (بيروت، عالم الكتب د.ت).

٤. الإتقان فى علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. تحقيق د. محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٨٧).

٥. أثر القراءات في الأصوات والنحو العربى، د. عبد الصبور شاهين، الطبعة الأولى (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٧).

٦. أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، د. فوزي حسن الشايب، رسالة دكتوراة (جامعة عين شمس، ١٩٨٣).

٧. ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي. تحقيق وتعليق: مصطفى أحمد النمّاس (القاهرة، مطبعة النسر الذهبي، ١٩٨٤).

٨. أسرار العربية، أبو البركات عبد الرحمن بن أبي سعيد الأنباري. تحقيق: د. فخر صالح قدارة، الطبعة الأولى (بيروت، دار الجيل، ١٩٩٥).

٩. أصوات اللغة العربية، د. عبد الغفار حامد هلال، الطبعة الثالثة (القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٩٦).

١٠. الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، الطبعة الخامسة (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩).

١١. الأصوات اللغوية، د. محمد علي الخولي، الطبعة الأولى (القاهرة، مكتبة الخريبي، ١٩٨٧).

١٢. الأصول في النحو، ابن السراج محمد بن سهل. تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، الطبعة الثانية (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥).

١٣. الأعلام، خير الدين الزركلي، الطبعة الرابعة (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩).

١٤. الاقتراح، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. (حلب، دار المعارف، ١٩٧٣).

١٥. الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش أبو جعفر محمد بن علي بن أحمد بن خلف الانصاري. تحقيق: د. عبد المجيد قطامش، الطبعة الأولى (دمشق، دار الفكر، ١٤٠٣ هـ).

١٦. الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة، المكتبة التجارية، ١٩٦١).

١٧. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن هشام. ومعه كتاب: عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، تأليف: محيي الدين عبد الحميد الجباني (بيروت، دار الفكر، ١٩٨٠).

١٨. إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزوجل، أبو بكر محمد بن القاسم بن الأنباري. تحقيق: د. محيي الدين رمضان (دمشق، مجمع اللغة العربية، ١٩٧٦).

١٩. بعض مظاهر التطور اللغوي، د. التهامي الراجحي الهاشمي (الرباط، معهد الدراسات والبحوث للتعريب، ١٩٧٨).

٢٠. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي. تحقيق: بشار عواد معروف، وشعيب الأرناؤوط، وصالح مهدي عباس (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨).

٢١. تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين. نقلة إلى العربية: د. فهمي أبو الفضل (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١).

٢٢. تاريخ الثقات، أبو الحمد أحمد بن عبد الله العجلي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٤).

٢٣. التبصرة في القراءات، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي. تحقيق وتعليق: د. محيي الدين رمضان، الطبعة الأولى (الكويت، معهد المخطوطات العربية، ١٩٨٥).

٢٤. تحليل الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب، د. سمير شريف ستيتية. مجلة البلقاء، المجلد الرابع، العدد الأول، ١٩٩٦.

٢٥. تحليل الظواهر الصوتية فى قراءة ابن كثير، د. سمير شريف ستيتية. مجلة جامعة أم القرى، السنة السابعة، العدد التاسع، ١٩٩٤.

٢٦. تحليل الظواهر الصوتية في قراءة الكسائي، د. سمير شريف ستيتية. مجلة جامعة الملك سعود، المجلد السادس، الأداب (١)، ١٩٩٤.

٢٧. تذكرة الحفاظ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. وضع حواشيه: زكريا عميرات، الطبعة الأولى (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨).

٢٨. التذكرة في القراءات، أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون، تحقيق: د. عبد الفتاح بحيري إبراهيم، الطبعة الأولى (القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩٠).

٢٩. التطور النحوي للغة العربية، ج. براجستراسر. أخرجه وصححه وعلق عليه: د. رمضان عبد التواب (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٢).

٣٠. تقريب النفع في القراءات السبع، د. علي محمد الضباع (بيروت، المكتبة الثقافية، ١٩٩٢).

٣١. التكملة، أبو علي الحسن بن غفار الفارسي. تحقيق ودراسة: كاظم المرجان، بإشراف د. حسين نصار، رسالة جامعية، جامعة بغداد، ١٩٨١.

٣٢. التمهيد في علم التجويد، شمس الدين بن محمد الجزري. تحقيق: د. غانم قدور الحمد (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦).

٣٣. تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى (حيدر أباد الدكن، دار المعارف النظامية، ١٣٢٦ هـ).

٣٤. التيسير في القراءات السبع، أبو عمر عثمان بن سعيد الداني. تصحيح: أوتوبرتزل، الطبعة الأولى (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦).

٣٥. الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، الطبعة الأولى (حيدر أباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٢).

٣٦. جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين أبو الحسن علي بن محمد الهمذاني. تحقيق: علي حسين البواب (مكة المكرمة، مكتبة التراث، ١٩٨٧).

٣٧. الحجة في القراءات السبع، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه. تحقيق وشرح: د. عبد العال سالم مكرم، الطبعة الثالثة (بيروت، دار الشروق، ١٩٧١).

٣٨. حجة القراءات، أبو زرعة عبد الرحمن بن زنجلة. تحقيق: سعيد الأفغاني، الطبعة الرابعة (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤).

٣٩. حق التلاوة، حسني شيخ عثمان، الطبعة السابعة (الزرقاء، مكتبة المنار، ١٩٨٧).

٤٠. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني. تحقيق: د. محمد علي النجار (بيروت، دار الهدى للطباعة والنشر، ١٩٩٠).

٤١. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد، الطبعة الأولى (بغداد، مطبعة الخلود، ١٩٨٦).

٤٢. دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر (القاهرة، مطابع سجل العرب، ١٩٧٦).

٤٣. دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو. نقلة إلى العربية: صالح القرمادي (تونس، الجامعة التونسية، ١٩٦٦).

٤٤. ديوان الإسلام، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الغزي. تحقيق: سيد كسروي حسن، الطبعة الأولى (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠).

٤٥. روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري. تحقيق: أسد الله إسماعيليان (طهران، مكتبة إسماعيليان، ١٣٩١ هـ).

٤٦. السبعة في القراءات، أبو بكر أحمد بن مجاهد. تحقيق: د. شوقي ضيف، الطبعة الثانية (القاهرة، دار المعارف، ١٤٠٠هـ).

٤٧. سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني. تحقيق: حسن هنداوي، الطبعة الأولى (دمشق، دار القلم، ١٩٨٥).

٤٨. سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، أبو القاسم علي بن عثمان بن محمد بن الحسن القاصح. راجعة: علي محمد الضباع، الطبعة الثالثة (مصر، مطبعة البابي الحلبي، ١٩٥٤).

٤٩. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني. تعليق: أحمد سعد علي (القاهرة، مصطفى البابي الحلبي، ١٩٠٢).

٥٠. سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي الترمذي. تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر (القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٣٧).

٥١. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي. تحقيق: شعيب الأرناؤوط (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٠).

٥٢. شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي. تحقيق وشرح: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧٥).

٥٣. شرح طيبة النشر في القراءات العشر، شمس الدين محمد بن محمد الجزري. تحقيق: علي محمد الضباع (القاهرة، مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٠).

٥٤. شرح المفصل، موفق الدين بن علي بن يعيش (مصر، إدارة الطباعة المنيرية، د.ت).

٥٥. صفة الصفوة، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي. ضبطها وكتب هوامشها: إبراهيم رمضان، وسعيد اللحام، الطبعة الأولى (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٩).

٥٦. الصوتيات، برتيل مالمبرج. ترجمة: د. محمد حلمي هليل (القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٤).

٥٧. الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع (بيروت، دار صادر، ١٩٥٧).

٥٨. طلائع البشر في توجيه القراءات العشر، د. محمد الصادق قمحاوي. الطبعة الأولى (القاهرة، ١٩٧٨).

٥٩. العقد المفيد في علم التجويد، صلاح صالح سيف. (عمان، المكتبة الإسلامية، ١٩٨٧).

٦٠. علم الأصوات، برتيل مالمبرج. تعريب: د. عبد الصبور شاهين (القاهرة، مكتبة الشباب، ١٩٨٦).

٦١. علم اللغة العام (الأصوات) د. كمال محمد بشر، الطبعة السابعة (القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠).

٦٢. غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد الجزري. نشره: براجستراسر (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٣٢).

٦٣. غيث النفع في القراءات السبع، علي النوري الصفاقسي. راجعة: د. علي محمد الضباع، الطبعة الثالثة (القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٤).

٦٤. الفهرست، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق النديم. اعتنى بها وعلق عليها: الشيخ إبراهيم رمضان، الطبعة الأولى (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٤).

٦٥. في البحث الصوتي عند العرب، د. خليل إبراهيم العطية. (بغداد، دار الجاحظ للنشر، د.ت).

٦٦. في الدراسات القرآنية واللغوية، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي. الطبعة الثانية (القاهرة، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر، ١٩٧١).

٦٧. في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس. الطبعة السادسة (القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٨٤).

٦٨. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (بيروت، دار الجيل، د.ت).

٦٩. قواعد التلاوة، قحطان الدوري، وفرج توفيق الوليد (بغداد، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠).

٧٠. الكتاب، سيبويه. تحقيق: د. عبد السلام هارون، الطبعة الأولى (بيروت، دار الجيل، ١٩٩١).

٧١. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي. تحقيق: د. محيي الدين رمضان، الطبعة الثانية (بيروت، مؤسسة الرسالة ١٩٨١).

٧٢. الكوكب الدري في شرح طيبة ابن الجزري، محمد الصادق قمحاوي (القاهرة، ١٩٧٠).

٧٣. لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (بيروت، دار صادر، د.ت).

٧٤. اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان. الطبعة الثالثة (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢).

٧٥. اللهجات العربية في التراث، د. أحمد علم الدين الجندي (ليبيا، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٣).

٧٦. المبسوط في القراءات العشر، أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني. تحقيق: سبيع حمزة حاكمي (دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٨٠).

٧٧. المختصر المفيد في معرفة القرآن وأصول التجويد، حمدي سعيد مدوخ. الطبعة الثالثة (غزة، الجامعة الإسلامية، ١٩٨٣).

٧٨. مراتب النحويين، أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي. تحقيق وتعليق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة، مطبعة نهضة مصر، ١٩٥٤).

٧٩. المزهر، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. تحقيق: أحمد جاد المولى، وعلي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة، مكتبة البابي الحلبي، د.ت).

٨٠. مشاهير علماء الأمصار، أبو حاتم محمد بن أحمد بن حبان البستي. وضع حواشيه وعلق عليه: محمد بن منصور بن سيد الشورى، الطبعة الأولى (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥).

٨١. المعارف، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة. تحقيق وتقديم: ثروت عكاشة (القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٩٦٠).

٨٢. معجم الأدباء، ياقوت الحموي الرومي (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت).

٨٣. معجم علم الأصوات، د. محمد علي الخولي. الطبعة الأولى (الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٩٨٢).

٨٤. معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة (دمشق، المكتبة الهاشمية، ١٩٤٩).

٨٥. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي. حققه وقيد نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف، وشعيب الأرناؤوط، وصالح مهدي عباس، الطبعة الأولى (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤).

٨٦. المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، د. محمد سالم محيسن. الطبعة الثانية (بيروت، دار الجيل، ١٩٨٨).

٨٧. المقتضب، محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة (بيروت، عالم الكتب، ١٩٨١).

٨٨. الممتع في التصريف، علي بن مؤمن بن عصفور الإشبيلي. تحقيق: د. فخر الدين قباوة، الطبعة الرابعة (بيروت، دار الأفاق الجديدة، ١٩٧٩).

٨٩. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي. دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢).

٩٠. المنهج الصوتي للبنية العربية، د. عبد الصبور شاهين. (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠).

٩١. المهذب في القراءات العشر، د. محمد سالم محيسن (القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٨).

٩٢. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي. تحقيق: علي محمد البجاوي (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٣).

٩٣. ميكانيكية النطق، د. سمير شريف ستيتية، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٧.

٩٤. النشر في القراءات العشر، أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري. تصحيح ومراجعة: علي محمد الضباع (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).

٩٥. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم (الكويت، دار البحوث العلمية، ١٩٧٧).

٩٦. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي باعتناء: محمد الحجيري، الطبعة الثانية (ستوتغارت، فرانزشتايز، ١٩٩١).

٩٧. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان. تحقيق: د. إحسان عباس (بيروت، دار صادر، ١٩٧٢).